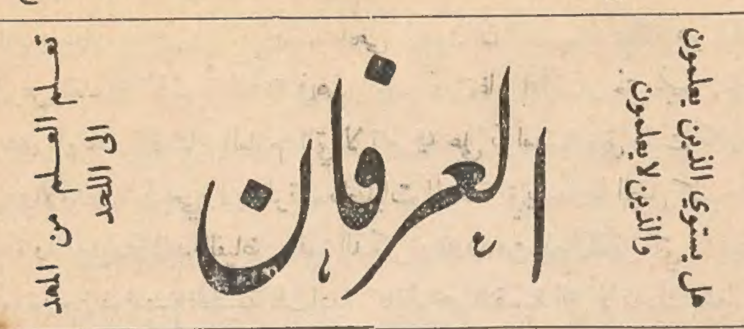
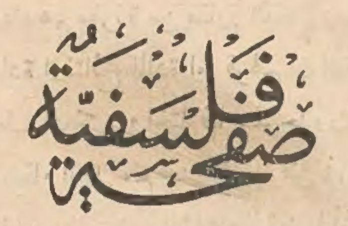


ربيع الثاني سنة ١٣٣٠　　نيسان سنة ١٩١٢



الفلسفة العقلية والمادية

وارتباطهما

وتطبيق بعض نواميس الماده والعقل

الفلسفة العقلية والمادية

ان بعض الفلاسفة من الماديين من انكر علم ما وراء الطبيعة والعقليات المحضة التي تكرر فيها النظر من زمن افلاطون الحكيم حتى الآن بناء منهم انها لا تجري على ناموس من نواميس الطبيعة كما تجري عليه علوم الطبيعة المادية ولا تثبت بالامتحان العلمي والعملي الذي هو اساس الصحة والتصديق للحواس البشرية وان من افرغ جهد حياته باقتناء مثل هذه المبادىء العقلية والعلوم النظرية المبرهنة بغير البرهان الحسي والمثبتة بسوى الامتحان الطبيعي الجاري على نسق نواميس الطبيعة المادية يكون اهجن هجنة عليه بين النوع الانساني والجنس البشري قد نسجت عليه عناكب الجهل بيوتها وبنت على افكاره الهمجية ركائزها ولو نظرت معي ايها المتأمل

بنظر غير بسيط ساذجي ولا تقريري سطحي لرأيت ان السبب في ذلك هو البحث والنقب عن الفاسفة الطبيعية المادية في هذا العصر دون غابر الاعصار حتى نجحت نجاحا باهرا ادى الى عدم الاعتناء بالعلوم التي لا تجري على نواميسها حتى تثبت بالبرهان الحسي والامتحان الطبيعي ولو ناظرتهم بالعقليات المحضة التي يصدرها العقل كالوجدان والارادة والتجريد والمبدء الفياض وقوة الذاكرة وغيرها من افعال العقل التي لا تجري على ناموس من نواميس الطبيعة المادية كالظواهر النفسية التي لا تدرك بمشعر من المشاعر بل انما تدرك بالحس الباطني ولا اعني به الا الوجدان لقالوا ان هذا كله عمل المادة ونتائجها وأن العقل مادة من الماديات وكل ظواهره نتائج المادة وعملها فالفكر الذي هو من اعمال العقل عندهم مفرزة من مفارز الدماغ ومادة متحركة فيه وكل الظواهر العقلية المحضة امامادة اونتائج المادة اما قولهم ان العقل هو الدماغ يستدلون عليه بضعفه في الهرمين لضعف ادمغتهم واختلافها عند حدوث المرض الدماغي وهو ملق لا تقبله الفلسفة العقلية لبقاء العقل مع حدوث المرض في الدماغ ولو نظرت في جميع الافعال النفسية كالفرح والحزن والشك واليقين لرأيتها انما تدرك بالحس الباطني اعني الوجدان وان شئت فقل النفس عينها وهي لا تدرك بالحواس الظاهرة لقصورها عن التوصل الى ادراكها وهي بسيطة لا تقبل التجزء والزيادة ومجردة لا تقبل الانقسام بخلاف سائر اعضاء الجسد فان كلا منها لا يناسب غير وظيفته فالرئتان اللتان وظيفتهما التنفس لا تناسب الكبد الموظف لافراز الصفراء وهو لايناسب الشرايين والاوردة الموظفة لدورة الدم ولا تتغير النفس وتتجدد كالمادة المؤلفة منها اعضاء الجسد كيف ولو قلنا بماديتها وتغيرها وتجددها لزمنا ان لانتذكر الماضي البعيد اذ لم تبق فينا عين النفس بل تغيرت بتغير دقائقها كما هو شأن المادة والهيولى والناظر بعين البصيرة يرى ان تسمية مثل هذه بالظواهر النفسية تدل على مسماها فان تقيدها بالنفسية ليس الا لعدم ارتباطها بالجسد واختصاصها بالنفس ولما رأوا ان مثل هذه الدعوى لا تثبت الا بالادلة الراهنة والحجة القوية على الخصوص في العقل انتقلوا عن قولهم ان العقل هو الدماغ الى قولهم ان العقل اهتزاز جواهر الدماغ كل هذه العقبات يلتزمون بها ليثبتوا قولهم ان كل مافي الكون ناتج عن المادة وحركاتها ولو سلمنا لهم ذلك بالقوة الفرضية فما الرأي الذي يرتأونه في الوجدان والذاكرة والمبدء الفياض والارادة والتعقل فهل نقدر ان نقول ان المادة تولد الوجدان

والتعقل وان حركتها لتفتح الذاكرة والمبدء الفياض فان ما نراه في الكون من المادة لا يولد الوجدان والارادة فكيف يولده في اجهزة الدماغ وهل ذلك منهم الا قحة ومغالاة في العلوم الطبيعية المادية وعدم تثبت واطلاع على العلوم العقلية المحضة وما فيها من الفوائد الجمة والمنافع الغزيره وكفاك فيها قول احد الفلاسفة العصريين وهو السر واسيم هملتون استاذ العلوم العقليه في مدرسة ادنبرج الكلية (ليس شيء عظيم في الارض الا الانسان وليس شيء عظيم في الانسان الا العقل) وهو قول يشرق في نور الحكمة ويلمع بمصباح الفضيله اذ من امعن النظر وتثبت في العلوم العقلية المحضة ظهر له شرف الانسان على ابناء جنسه فان من طاب التفرقة بينه وبين سائر انواع الحيوانات لا يجعل مقياس تفرقته عضلات القوى الجسدية واجهزته المادية فقط ان الانسان لا يقول احد انه مركب من الجسد والمادة فقط الا الماديون فانهم يرون كل ما في الكون المادي والمعنوي اما مادة او نتائجها وحركاتها وافعالها وانفعالاتها بل لا ندحة له الا وان ينظر الى قواه العقليه ايضا التي بها امتاز على ابناء جنسه ولا يبعد ان يأتي عصر بعدنا بمن يعطي العلوم العقليه حقها ويهزأ بالعلوم الطبيعيه ومن اثبتها ببرهان حسي او امتحان عملي اذ لا حد لقوى الانسان واكتشافاته فلا نقف لو قلنا ياتي عصر بمن يصدع بنظريات داروين واكتشافات اسحق نيوتن واختراعات وط وستنفصل والسنيور ماركوني فتكون امثال هذه الافذاذ من موطدي دعائم العمران والاجتماع الذين لم يلمسوا الحقيقة ولا قيد اظفور كما انهم صدعوا بنظريات من سبقهم من فافة السلف وعلماء الحقيقة فدكوا عروش فلسفتهم وصعقوا بما تضاربت فيه آراؤهم ودونته كتبهم مما يضيق عنه نطاق البيان والتدقيق

ارتباط الفلسفة العقلية والمادية

اما ارتباط العقل بالمادة لا بد وان ينظر فيه الى مباحث فيسيولوجيه اذ بالجهاز العصبي يرتبط العقل بما في العالم الخارجي فيتناول التصورات البسيطه وذلك الجهاز على قسمين قسم لا يرتبط بما نحن فيه وهو ما يتعلق به حفظ الحياة الحيوانية كالنخاع الشوكي وبقية الاعصاب الناشئة منه وقسم لا يرتبط بما نحن فيه وهو الدماغ والاعصاب الصادرة عنه اما الدماغ على ما يقال انه مركز الادراك واما الاعصاب فعلى قسمين خارجية وداخلية والاولى تسبب الحركة والثانية تسبب الحس والعقل والعقل لا يحصل

عنده بعض من التصورات بدون هذه الاعصاب الخارجيه والداخليه وقد اشتهر بعض الفلاسفة بالآلة ذات الاوتار فانها لا ترده بالحاناتها ما لم يقع عليها الضرب وكذلك العقل لا يحصل عنده جزء من التصورات بدون التاثيرات الخارجيه اما الاعصاب الداخلية وهي التي تنقل التاثيرات من المحيط الى الدماغ فتحصل التصورات للعقل فان الاذن اذا توجهت نحوها امواج الصوت يعكسها الصيوان ثم يجمعها في الصماخ السمعي الظاهري فتقع على الغشاء الطبلي وتهتز العظيمات المتجمعة في الاذن المتوسطه ثم تنتقل هذه الاهتزازات عليها وعلى الهواء المحيط الى كوتين احداهما في الدهليز والاخرى في قوقعة التيه فيهتز الغشاء الواقع عليها وينتقل الاهتزاز الى السائل ثم الى فريعات العصب السمعي ومنه الى الدماغ فتشعر النفس بالصوت فيكون الحاصل عند العقل من هذا التأثير هو السمع

وكذلك العين تنكسر الشعاع من الشبح اولا في القرنيه ثم في الرطوبه المائيه ثم في البلوريه فالزجاجية فتقع آنئذ على الطبقة الشبكية راسمة للصور مقلوبة عليها والصور تنقل اثر النور الى العصب البصري وهو ينقله الى الدماغ فيشعر العقل بالصورة فيكون الحادث عند العقل من هذا التاثير هو البصر .

واما الاعصاب الخارجية هي ما تصدر عنها بواعث الحركة الاختيارية اذ تتوزع في العضلات وتهيج الدورة الدموية في سائر عضلات الجسد فيسبب الحركه وتنقل من المركز الى المحيط وتحمل الارادة من العقل الى المركز المادي فتنتج المقاصد المطلوبه

تطبيق بعض نواميس المادة على العقل

جل قصدي من هذا المبحث هو تطبيق بعض نواميس المادة على العقل وذلك ان في الفلسفة الطبيعية نواميس خصها بها الفلاسفة الطبيعيون ولو نظرنا بعين الحقيقة لرأينا تلك النواميس لا اختصاص لها في المادة فقط دون العقل بل تنطبق على العقل انطباقا تاما لو نظرناها بعين التامل من هذه النواميس التي اريد تطبيقها على العقل ثلاثة دونت في الفلسفة الطبيعيه (١) اذا تحرك جسم بقي الى الابد في خط مستقيم ما لم تمانعه قوة اخرى ولا يخفى ان هذا الناموس عين الاستمرار المذكور في الفلسفة الطبيعية

(٢) اذا فعلت قوة بجسم ساكن او متحرك عملت عملا واحدا سواء كانت وحدها او اقترنت بغيرها

(٣)الفعل يساوي الانفعال ويعاكسه والمقصود من الفعل تاثير شيء في آخر وبالانفعال رجوع ذلك التأثير الذي اثره الفعل ولما كانت هذه المسائل عقلية نظرية التزمنا في تطبيقها على امثلة نظرية تحتاج الى الفكر والتأمل ليتضح ما اردنا بيانه فنقول ان الناموس الاول كما يمكن تطبيقه على الرقاص اذ يبقى متحركا في خط مستقيم على قوس خطراته بقوة متصلة حتى تصادمه قوة اخرى من اضداد الحركة فتقاوم خطراته المزدوجه او المفرده بقوة زخمها فتنقل هذه القوة الى جميع دقائقه على التدريج حتى تلاشية عن نصف خطره كذلك نقدر بالتصور التام ان نجري هذا الناموس المادي على العقل وسائر اعماله فانه لو اراد ان يتصور برهانا من البراهين التي تدل على اللاتناهي في الابعاد كالبرهان الترسي او السلمي او الموازاة او المسامته يتحرك على خط مستقيم باده بدئه من التصور لم يك همه الا الوصول الى النقطة المطلوبة من مركز البرهان على اللاتناهية فهو اما ان يصل الى تلك النقطه فيقف عن حركته المستقيمة بسبب مصادمة زخم النتيجة له وتنقطع تلك القوة المتصلة التي تحرك بها واما ان تصادمه قوة عقلية اخرى قبل ان يصل الى النقطة المركزية من المطلوب فيقف عن حركته بسبب مصادمة زخم القوة العقلية وعند ئذ اما ان يقاوم هذه القوة باقوى منها ويصل الى النتيجة المطلوبة او لا يقاومها فيبقى دونها هذه انواع ثلاثة للصور التي يتصورها العقل ولا يشذ عنها ولا قيد انملة

اضرب لك مثالا ينطبق على الصورة الاولى من الصور الثلاثة وهي كما اذا تحرك على خط مستقيم ووصل الى النتيجة المطلوبة بدون معارضة قوة اخرى له ولتفرض تلك النتيجة معرفة الشكل الخامس من الكتاب الاول لاقليدوس الملقب بالماموني فان العقل اذا ادرك ان الزاويتين على قاعدة المثلث المتساوي الساقين متساويتان وكذلك اللتان يحدثان تحتها متساويتان وعرف ان برهان هذه القضية القضية الثالثة والرابعة من كتاب اقليدوس يسير على خط مستقيم من الحركة حتى يثبتها بدون مصادمة قوة اخرى له بل يسير بقوة متصلة مركزها النتيجة المقصوده

الصورة الثانيه من الصور العقلية الثلاث كما اذا تحرك وصادمته قوة اخرى وقاومها باقوى منها حتى يصل الى النقطة المركزية من النتيجة

وهذه الصورة يمكن تطبيقها على احد براهين اللاتناهي في الابعاد واحسن ماتظهر في البرهان الترسي وملاكه مبني على فرض مثلث متساوي الاضلاع غير متناه

فلنفرض المثلث (ن ج اب) فكلما ازداد الضلعان اب ازداد وتره ن اذ من البداهة ازدياد وتره على حسب ازدياد ضلعيه فلو كانت الابعاد غير متناهية لصح فرضنا الضلعين اب غير متناهيين ويلزمنا بحكم المساواة كون الوتر ن غير متناه والمفروض انه محصور بين حاصرين وهما ضلعا المثلث اب ج فيلزمنا الجمع بين المتناقضين هذه قوة عقلية تصورها العقل بحركة مستقيمة ولو يصادمها زخم قوة عقلية اخرى مثل الوصول الى النتيجة كما لو تصور ان الوتر ن بعد فرض كونه محصورا بين حاصرين انما يلزم منه تناهي الضلعين اب فلم يثبت البرهان على اللاتناهية في الابعاد كان قادرا على رد تلك القوة باقوى منها حتى يصل الى النتيجة بان يحكم بعدم التعيين ثم يحكم بالتصور الاجمالي ان عدم نهاية الوتر لازمة لعدم نهاية الضلعين وبعد ذلك يحكم بانحصار الوتر بين الحاصرين المستلزمين للتناهي في الابعاد (الصورة الثالثه من الصور العقليه) وهي ان تصادمه قوة ترد حركة التصوريه ولا يقدر على مقاومتها باقوى منها ويمكن تطبيقها على الناموس الثالث من نواميس الرقاص وهو (اذا خطر اكثر من رقاص واحد واختلفت طولا اوقات خطراته لا تكن متساوية بل متناسبة للجذور الماليه من اطوالها

فلو تصور العقل خطرات الرقاص ن الذي طوله ١/٢١ طول الرقاص ج يحكم بان ن خطر ع مرات سرعة ج لان الجذر المالي من ١/٢١ اربعة ولو اراد ان يحكم ان سرعة ٣ من سرعة ج اوقفه الناموس الثالث من تناول النتيجة وقاوم تلك القوة التي تحرك بها حتى يفرض ان طول الرقاص ن ١/٩ طول الرقاص ج فيكون الجذر المالي عندئذ ٣ وبالخلاصة اقول ان الناموس ج

للحركة كما ينطبق بالفرض على المادة كذلك ينطبق على العقل ولكن لما كان لم يتحقق في جسم من الكون المادي للاشاة اضدادها له كذلك لم يتحقق بالعقل وقواه الا بالفرض

الناموس الثاني هو اذا فعلت قوة واحدة او مزدوجة بجسم ساكن او متحرك تعمل عملا واحدا

اما عمل القوة الواحده بالجسم المتحرك كما يظهر في نقل الاجسام الارضيه فانها متحركة على الدوام مع انا لو دفعنا جرما لا تجذبه الارض الا بمقدار القوة التي دفعناه بها واما عمل القوتين بالجسم فعلا واحدا فلنفرض ن خ د د ج نكرة فعلت بها قوتان في آن واحد احداهما تدفعها الى جهة الخط

ج د والاخرى الى جهة ج ر فالكرة تمضي مع قوة دون اخرى بل تسري في جهة القطر ج ح المسمى بالنتيجه

اما عمل القوة الواحدة وفعلها كما لو اراد احد ان يدرك بقواه العقلية القضية التاسعة عشر من كتاب اقليدوس فلم تؤثر وتعمل تلك القوى الاتاثيرا واحدا وعملا واحدا هو اثبات ان الزاوية العظمى من المثلث يوترها الضلع الاطول ببرهان عقلي واتيان عملي

واما عمل القوتين العقليتين عملا واحدا كما لو اراد ان يتصور بقواه العقليه معرفة منطقية قوس قزح وسبب تلوينها بالوان الطيف الشمسي ثم عرض له تصور آخر بقوة عقلية اخرى بحيث تتحد مع القوة الاولى في زمانها المعرفة سبب استدارته وظهور الاشعة الحمراء او البنفسجية فيه او كما اراد ان يدرك القوس الداخلية الاصلية ثم عرض له ادراك القوس الخارجية الاخرى بدون فاصل بين زمن هاتين القوتين فـفي نظائر هذه لا يفعل العقل سوى فعلا واحدا ناتجا من قوتين حادثتين في زمان واحد وهو السير على النتيجة الواقعة بينهما لا يصل الى احدهما دون الاخرى حتى تتقدم واحدة منها بمقاومة صاحبتها لها فيعمل ايضا عملا واحدا فيكون نتيجة له

الناموس الثالث — هو ان الفعل وهو تاثير لشيء آخر يعاكس رد الفعل وهو رجوع ذلك التاثير ويظهر ذلك في فعل الطاهر اذ يضغط الهواء بجناحيه الى الاسفل فيرد الهواء فعله الى اجناحيه فيرفعه الى الاعلى وهذا الناموس يمكن تطبيقه على العقل بتقديم مقدمة فسيولوجية هي ان جواهر الجسد ودقائقه تتغير وتتجدد في كل آن ودقيقة فالجسد بين بنيان وتهدم دائبين معه حتى يقال لم تحدث فيه حركة لطيفة او عنيفة كرمش الجفون واللطم والضرب الا واندثرت بعض جواهره ودقائقه وان من جملة الاسباب التي عدها الفسيولوجيون لخرج الجسد عمل الافكار بمركز الدماغ وتهيجها الاعصاب والعضـلات وتهدم بنيان جواهرها فلا بد لهـا من التعـويض عما خسرته ولاريب ان تصور العقل للمسائل النظريه والعقليه يكون فعل قوته تهدم بنيان جواهر الجسد وتخريب دقائقها شيئا فشيئا ويكون رد الفعل منها هو رجوع ذلك التاثير بان نتوصل الى النتيجة المطلوبة اضرب لك مثالا من العالم المادي الذي قرره هذا الناموس ومثالا من العـالم الادبي الذي ينطبق عليه العقل فاقول ان الملاح يضرب

الشاطيء ببليجه فيرد له الشاطيء الفعل ويسير قاربه بالجهة التي يريدها والفيلسوف يتصور في حقيقة الجوهر الفردوجوهرية الروح او ماديتها فيهدمبنيان جواهر جسده ويخرب دقائقه بفعل قوة التصور فيرد له الفعل حتى يسير بالجهة التي يقصدها وهي اثبات عدم معرفة حقيقة الجوهر الفرد وجوهرية الروحاو ماديتها والعالم الطبيعي يتصور في معرفة ماهية الكهرباء التي لم يذكر عنها الآطاليس قبل المسيح في ٦٠٠سنة ويخرب بنيان دقائق جسده بفعل قوة تصوره فيرد لهالفعل حتى يسير على النتيجة التي يقصدها من اكتشاف طاليس لها او الدكتور (كلبرت) الانكليزي في اواخر القرن السادس عشر

والفلكي يرصدعطارد وبقية السيارات ويتحقق في دائرته ويطلع على نواميس الجاذبية العامة فيهدم دقائق جسده وجواهره بفعل قوة تصوره فترد له الفعل فيسير بالجهة التي يقصدها

وهي امتياز عطارد عن سائر السيارات بكون دائرة فلكه لا تنطبق على نواميس الجاذبية العامه التي اكتشفها الفيلسوف اسحق نيوتن من سقوط تفاحة على الارض

هذا آخر ما اردت تطبيقه من نواميس الفلسفة الطبيعية المادية على الفلسفه العقليه وهو يطلب الدقة واجهاد الفكر

النجف عبد العزيز الجواهري

صدأ الافهام

لقد صدئت افهام قوم فهل لها	صقال ويحتاج الحسام الى الصقل
وكم غرت الدنيا بنيها وساءني	مع الناس مين في الاحاديث والنقل
سأتبع من يدعو الى الخير جاهدا	وارحل عنها ما امامي سوى عقلي
اذا جهزتني غائبا غير آيب	تركت لها ما حملتني من الثقل
منيرة الحالات نافضة القوى	موثقة الاغلال محكمة العقل
تواصت بها الارواح في القيظ بعدما	تناصت بها الأرماح في زمن البقل
ومن كان في الاشياء يحكم بالحجى	تساوى لديه من يحب ومن يقلي

ابو العلاء المعري

صحف تاريخية

تاريخ صيدا

تابع لما في الجزء الاول صفحة١٦

وفي سنة ١١٤٣ ﻫ كان واليا على صيدا اسعد باشا العظم وكان يبغض الامير ملحم الشهابي بغضا شديدا حتى قيل انه كان لما يصل اليه كتاب من الامير ملحم يضع يده على اسمه لئلا يقع نظره عليه ومع ذلك لم يقدر عليه ان يضره ولا يغيره من حكمه

وفي سنة ١١٤٧ انتقل اسعد باشا العظم من ايالة صيداء الى ايالة دمشق وتولى ايالة صيداء اخوه سعد الدين باشا والي طرابلس

وفي سنة ١١٥٦ تولى سعد الدين باشا المومى اليه دمشق وقام مقامه عثمان باشا المحصل . وفي سنة ١١٦٣ كان واليا على صيدا مصطفى باشا القواص ولقب بالقواص لانه كان ماهرا في اطلاق البنادق حتى قيل انه كان يرمي الرصاص من دار الامير ملحم في الدير الى قاطع بعقلين فيصيب الهدف المنصوب له وقد دعى هذا الوالي الامير ملحم الى دير القمر ثم الى الباروك وقدم له كل اكرام

وفي سنة ١١٧٥ كان واليا على صيدا رجل اسمه نعمان باشا

وفي سنة ١١٧٧ كان واليا عليها محمد باشا العظم

وفي سنة ١١٧٤ تولى عليها درويش باشا بن عثمان باشا الصادق ولما انكسر عسكر ابيه في الحوله انهزم من صيداء الى دمشق واقام بها اياما وبعد رجوعه الى صيدا عصت عليه مشايخ المتاولة وارسلوا يتهددونه كي يقوم من صيداء فاعلم بذلك الامير يوسف الشهابي فارسل له عسكرا ليحافظ على المدينة فترك له مقابل ذلك مطلوب بيروت والجبل تلك السنة ثم رأى ان الشيخ ظاهر العمر ومشايخ المتاولة متشددين في العصيان فخاف على نفسه لانه كان جبانا واخلى صيداء ورجع الى دمشق

وفي سنة ١١٧٥ قدم الامير يوسف الشهابي بعشرين الف مقاتل الى جبل عامل

وفي وصوله الى جسر صيداء ارسل عقال الدروز للمحافظة على صيداء مع الشيخ علي جنبلاط وقد انكسر الامير يوسف كسرة هائلة لان المتاولة تغلبت عليه ومزقت مقاتلته كل ممزق مع كثرتهم ولما بلغ ذلك الشيخ علي جنبلاط والعقال الذين معه فروا من صيداء الى بلادهم ولما انصرفوا وخلت صيداء من الرجال ارسل الشيخ ظاهر العمر من قبله متسلما يقال له احمد آغا الدنكزلي

فارسل عثمان باشا المصري الذي جاء ساري عسكر على عربستان الدالي خليل وجاء معه احمد بك الجزار ومعهما الف فارس ومدافع وزنبركات وذخيرة وعند وصولهم الى عين السوق التقاهم الامير يوسف بكل اكرام وجمع عساكر بلاده وساروا جميعا الى حصار مدينة صيداء وكانت عساكرهم اكثر من عشرين الفا فأقاموا على حصار صيداء سبعة ايام وتضايق احمد آغا الدنكزلي وعزم ان يسلمهم المدينة ويطلب الامان وفي اثناء ذلك رجع اكثر عسكر الدروز الى البلاد فسكن روع احمد آغا بذلك وكان الامير علي بك والشيخ ظاهر العمر ارسلا الى ملكة المسكوب ان تمدهما بالمراكب الى بلاد العرب واتفق في ذلك الوقت وصول المراكب الى عكا وهي خمسة مراكب كبار وجملة مراكب صغار وعند وصولها الى هناك ارسلها الشيخ ظاهر الى صيداء وكان عسكر الامير يوسف وعسكر الدولة لم يزل على حصار صيدا فأطلقت المراكب عليهم المدافع فرحلوا الى حارة صيداء وحضر الى الامير يوسف رسالة من الشيخ ظاهر العمر ان يرجع بعسكره الى جسر صيداء وهناك يصير الاتفاق بينهما والا تصل اليهم العساكر فابى الامير يوسف الرجوع ولما وصل جوابه الى الشيخ ظاهر سار بعساكره وعسكر المتاولة وجملة خيل من الغز التي حضرت مع علي بك من مصر فكان عسكرا ينيف عن عشرة آلاف نفس حتى وصل الى براك التل التي في اول سهل الغازية بالقرب من مدينة صيداء فبات هناك وعند صباح ٢٢ ايار الموافق شهر رجب نهار الثلاثا التقى العسكران في سهل الغازية فكان عسكر الدولة مغلوبا واما المراكب المسكوبية فانها بعد كسرة العساكر في صيداء سارت الى مدينة بيروت

ثم طلب الشيخ ظاهر العمر الامان من والي الشام عثمان باشا المصري فكتب الوالي المومى اليه كتابا الى الامير يوسف جاء فيه مايلي

وقد انتهت الامور الى استكشاف مافي الصدور والهم الله كلا من ذوي العقول

رشده وطلب نجاحه وسعده فمن اجل من طلب النجاح وغرد طائر سعده بجيءٍ على الفلاح قدوة المشايخ الكرام وعين اعيان العقلاء الفخام صاحب المقام المعتبر اخونا الشيخ ظاهر العمر وقد حرر الى نادينا الدستوري وسأل الدعاء وتمسك بحبل العهود والوفاء واعان الطاعة لحضرة مولانا السلطان ظل الله في ارضه نصره العزيز الرحمن على شروط وعهود معلومة واستعطف ان ينعم عليه بأيالة صيداء على وجه الملكية ويرسل البقايا الباقية عليه في ايالة صيداء خمسمائة الف غرش من المال السلطاني ويؤدي خدمة حراسة ولوازم المحمل الشريف كجاري المعتاد

وقد وصل هذا الكتاب سنة ١١٨٧ فأجاب الاميريوسف جوابا حسنا لكنه كان يكره باطنا ذلك لانه يعز عليه ان يكون الشيخ ظاهر العمر واليـا على ايالة صيدا ويكون هو حاكما من تحت يده

غير ان هذه النعمة لم تدم للشيخ ظاهر لأن الدولة كانت واجدة عليه مستاءة من غروره بنفسه فطلب محمد بك ابو الذهب المصري ان يكفي الدولة شره وكشف لها سرًّ احد انصـاره علي بك المصري وسره فاذنت له بذلك فكانت العاقبة قتل الشيخ ظاهر خارج عكا وكان متسلم صيدا آنئذ من طرف الشيخ ظاهر احمد آغا الدنكزلي فقدم معروضا لمحمد بك ابي الذهب فأقرّه على ولايته وفي ذلك الحين نهب الشيخ علي بن الشيخ ظاهر العمر الاموال الموجودة في خان الافرنج

وفي سنة ١١٩١ حضر احمد باشا الجزار واليا على ايالة صيدا وعزل منها محمد باشا الذي كان واليا من قبل حسن باشا غازى وجاء عسكرٌ تلك السنة من الاستانة فارسلهم الجزار الى بيروت ولما علم بذلك الامير يوسف الشهابي ارسل ليلا المشايخ النكدية وصحبتهم مائتي فارس ليقطعوا على العسكر الطريق عند السعديات فانتشب بين الفريقين القتال واسفر عن قتل بعض مشايخ النكديين وانكسار عسكرهم فرجع عسكر الجزار الى صيدا ومعه الاسارى الذين قبضوا عليهم فسجنوهم هناك وابلغ الامير يوسف حسن باشا والي عربستان في واقعة الامر وكان يكره الجزار لتعيينه واليا على صيدا بدون رأيه فحضر بالمراكب من عكا الى صيدا ولما خرج الى البر التقاه الجزار وتقـدم ليقبل ذيل ثيابه فنفر منـه حسن باشا واصاب الخنجر وجه الجزار فجرحه

وفي سنة ١١٩٢ هرب الشيخ واكد نكد وابن عمه الشيخ محمود من قلعة صيدا

بواسطة رجل من ساحل صيدا اسمه حنا بيدر كان يتردد عليها ففك قيودها وانزلها من كوة القلعة ليلا فوهبها قرية الوردانية وصار لقدومها فرح عظيم في البلاد

ثم نقل الجزار مركز الولاية الى عكا لحصانتها فضعف امر صيداء لكن بقيت الايالة يطلق عليها اسم ايالة صيداء وان كان المركز عكاء وكانت صيداء غالبا مركز بعض العساكر ويتردد عليها جماعة من الامراء الشهابية والمشايخ الجنبلاطية وفي سنة ١٢٠٦ حصل بها وباء شديد وحضر ماية رجل مع حنا بيدر الذي اطلق المشايخ النكدية الى جسر صيدا فأخذوا ذخيرة عسكر الدولة وكانت ٢٨ بغلا

وما زال الجزار يخاطب بوالي صيداء وقد حضر له فرمان سنة ١٢١٢ من السلطان سليم يحثه به على قتال الفرنساويين يقول له به بعد الديباجة (والي صيداء الحاج احمد باشا الجزار) (١)

وفي الاجمال ان جعل الجزار عكا مركز ولاية عجل على سقوط صيداء وقد طرد الافرنسيين منها سنة ١٧٩١ مسيحية وابتدأت بيروت من ذلك الحين ان تكون مينا البلدان السورية (٢)

وقد عرج على صيداء اثناء سياحته في سوريا (فولناي) السائح الافرنسي الشهير في القرن الثامن عشر المسيحي وقال بان الفرنساويين يوردون الى صيداء وعكاء بضاعة تساوي مليوني فرنك اي ماية الف ليرة وكتب ما يلي

ايالة صيداء او عكا

يبتدىء حد ايالة صيدا من الشمال حيث ينتهي حد ايالة طرابلس وينتهي عند جبل الكرمل اما مركز الوالي فكان يتراوح بين عكا وصيدا وبعد سقوط ظاهر العمر اتسعت حدود الايالة بما ضم اليها الجزار من بلاد صفد وطبريا وبعلبك واما حدها اليوم فهو الارض الممتدة من نهر الكلب شمالا حتى القيصرية جنوبا وهي الواقعة بين البحر المتوسط غربا وانتيلبنان شرقا على طول مجرى الاردن وهذه الايالة جيدة التربة وافرة الخصب لاحتوائها على سهل عكا ومرج ابن عامر وصور والحولة والبقاع واهم حاصلاتها القمح والشعير والذرا والقطن والسمسم الذي ولئن كانت زراعته يعوزها الاتقان فهي تغل من ٢٠ الى ٢٥ ضعفا وفي جهات القصيرية حرج بلوط لا يوجد

(١) الى هنا ملخص عن تاريخ الامير حيدر

(٢) السائح كيران الفرنساوي

سواه في البلاد وقطن صفد لا يقل في بياضه عن قطن قبرص وتبغ الجبال المجاورة لصور يشابه في جودته تبغ اللاذقية ويفوقه احيانا

اما والي هذه الايالة فهو كسائر الولاة متمتع بكل حقوق منصبه ويوءدي الباب العالي لقاء المنصب مالا سنويا قدره سبعمائه وخمسون كيسا ويفرض عليه ايضا مثل والي طرابلس تقديم الجردة اي جهاز الحج الشريف حيث يبلغ ثمن ما يقدر من القمح والارز والشعير السبعمائة وخمسين كيسا واما دخله لقاء ذلك فمن الاموال الاميرية ومما يلتزمون جمع الجزية من الدروز والمتاولة وبعض قبائل العرب ومن مصادرة الاغنياء على اموالهم ومن الرسوم الكمركية المضروبة على البضائع الصادرة من البلاد والواردة اليها وتقدر الرسوم الكمركية وحدها بالف كيس الخ

اما صيدا فهي مدينة تجارية لانها ميناء دمشق والبلاد الداخلية وكل ما فيها من الافرنج نفر من الفرنساويين يتجرون بالحرير والقطن وعدد اهلها حوالي الخمسة آلاف نفس وعلى مسافة بضعة اميال منها صور الشهيرة مهد الصنائع والعلوم وموطن اشهر الامم صناعة وموقعها اليوم على رأس لسان داخل في البحر وتكاد تكون قرية وسكانها من النصارى والمتاولة

وقد تكلم عن الطوائف الموجودة في سوريا فقال عن المتاولة مايلي

الى شرقي بلاد الدروز في الوادي الفاصل بين لبنان وبلاد دمشق يقيم شعب صغير يعرف بالمتاولة على انهم لم يعرفوا بهذا الاسم قبل هذه الآونه (زمن المؤلف) وقد اشتهروا لهذا العهد بحروبهم وغزواتهم وكانوا يسكنون بعلبك وبعض جهات البقاع ولبنان الشرقي (انتيلبنان) ويخضعون لعدد كبير من المشايخ الا انهم يرجعون في حكمهم العام لرئيس اكبر من مشايخ آل الحرفوش

وقد امتدت سلطتهم بعد سنة ١٧٥٠ الى اعالي البقاع وتجاوزته الى لبنان ودخلوا ارض الموارنة حتى وصلوا الى بشري فنهض حينئذ الامير يوسف الشهابي واحط عليهم برجاله فطردهم الا انهم كانوا من الصوب الآخر قد اعتزوا وامتدت سلطتهم حتى مدينة صور(١)

وقد اصاب صيدا سنة ١٨٣٧ زلزال مهم وقد اشعرت به اهالي فلسطين وسورية ولكن سليمان باشا القائد الـلافي اعاد لها عمرانها واحاطها بسور من جهة

(١) مجلة المباحث مجلد ٣ جزء ٥و٧

اليابسة وفي سنة ١٧٤٠ ضربت بالقنابل الانكليزية واستولى عليها القومندان (نابيا) والارشيدروق (فراد ريك) النمساوي وكان ابراهيم باشا المصري ترك بها ٢٥٠٠ جندي مصري فاعتصموا في الجبال بعد مقاومة عنيفة والعساكر التي اتحدت على مقاومة ابراهيم باشا كانت مؤلفة من ٩٠٠ تركي و ٣٠٠ انكليزي و ٦٠٠ نمساوي(١)

بقي سليمان باشا واليا على ايالة صيدا مدة وذلك في اواخر القرن الثامن عشر وما بعده وكان ممدوح السيرة حسن المعاملة وخلفه في الولاية عبد الله باشا وكان مركزهما في عكا(٢)

معاملة صيدا — هي احدى معاملتي جبل لبنان سابقا اولها جسر المعاملتين وآخرها نهر الاولي عند صيدا ومقاطعاتها ست عشرة كسروان والقاطع والمتن وساحل بيروت والغرب الاسفل والغرب الاعلى والشحار والجرد والمناصف والعرقوب والشوف وجزين والشوف البياضي واقليم التفاح واقليم الخروب وجبل الريحان وكان يتولى على هذه المعاملة قديما الامراء التنوخيون ثم الامراء المعنيون ثم الامراء الشهابيون وكان الولاة على مقاطعات المعاملة الاخرى اي معاملة طرابلس المردة وبني العساف . وفي سنة ١٨٤٤ قسمها السلطان عبد المجيد قسمين جاعلا طريق دمشق فاصلا بينهما فولى على القسم الثاني الامير حيدر اللمعي قائمقام للنصارى وعلى القسم الجنوبي الامير احمد عباس قائمقام للدروز وجعل اصحاب المقاطعات تحت ولايتهما وجعل عند كل منهما ديوان شورى مؤلفا من ١٢ عضوا من كل طائفة ثم بعد حادثة سنة ١٨٦٠ تغير الترتيب المذكور وجعل لبنان متصرفيه مستقلة والحقت صيدا بولاية سوريا ثم بولاية بيروت

وفي ٢٠ ك ٢ سنة ١٨٥٥ اكتشف ناووس اخذ الى اللوفر منقوشا عليه بالخط الفينيقي ٢٢ سطرا ومعنى الكتابة ان مدينة صيدا مقر راحة شلمناصر ملك الصيداويين ثم وجدت نقود ذهبية قديمة في انحاء مختلفة من المدينة تعزى الى ايام اسكندر الكبير وقد اكتشف حديثا نواويس عليها نقوش ورسوم وكتابات ذات اهمية كلية تعد من اشهر آثار الازمان الغابرة اعتنت بها الحكومة السنية فارسلت الى المتحف السلطاني بين جملة الآثار في الاستانة العلية

(١) كيران

(٢) رايت في مجموعة سيدي الوالد ان سليمان باشا وعبد الله باشا المومى اليهما زارا جدنا المرحوم الشيخ علي الزين في شحور وقد رد لهما الزيارة وانزلاه في قصر البهجة

وقد فاتنا ذكر فقيه شافعي نشأ في القرن الحادي عشر وها نحن نذكره هنا وهو محمد بن عثمان الصيداوي الفقيه الأصولي الشافعي المذهب نزيل دمشق . قال المحبي كان من العلماء العاملين كامل الخصال كثير التقوى والصلاح والورع وكان زاهدا في الدنيا لذيذ المصاحبة خفيف الروح تميل اليه القلوب الا انه كان حاد المزاج كثير الانفعال مع صفاء السريرة وكان علماء دمشق يعظمونه وللناس فيه اعتقاد عظيم وبالجملة فهو بقية السلف الصالح خرج من بلدته صيدا وهو في ابان الطلب فدخل القاهرة واخذ عن علمائها واقام مدة بجامع الازهر وبرع في كل الفنون واشتهر صيته وكان مع تغربه ذا وجاهة وايثار على طلبة الازهر ثم قدم الى دمشق سنة ١٠٣٠ واقام بمحلة القنوات واقرأ وافاد وكان لا يفتر ولا يمل من المطالعة والبحث وحضر دروس الشمس الميداني والنجم الغربي وولده الشيخ سعودي تحت قبة النسر ولزم العمادي المفتي في دروسه ايضا وكان اصحاب المجلس يرجعون الى ما يقوله وكان يطيل البحث وكان صوته جهوريا فيسمع من بعيد وربما تهور على بعض الطلبة فآله بالكلام ولا ينفعل كل الانفعال الاتلافى ما يقع منه لصفاء طويته وكان لاينادي احدا الا باسمه كائنا من كان ولم يلبس السراويل مدة عمره وكان كثير التقشف في امر العبادة وربما عارضته الوسوسية في الوضوء والصلاة ودرس في بقعة بالجامع الاموي فرغ له عنها ابو العباس المقري ايام ارتحاله الى القاهرة واعطي بعض جهات في بعض الاوقات وكان جميع ذلك لا يقوم به لما عليه من السخاء وبسط الكف وكان متوكلا في اموره كلها واذا فاوضه احد في مصرفه يجيب بقوله انفق ما في الجيب يأتي ما في الغيب وكان كثير الشغف بأيراد حديث «انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا» وكانت ولادته بمدينة صيدا سنة ٩٩٥ وتوفي ١٠٦٥ ودفن بمقبرة باب الصغير في قبر كان اشتراه في حياته واعده لنفسه قبل موته بنحو عشر سنين بالاقرب من قبر سيدي نصر المقدسي (١)

وممن اشتهر ايضا ما بعد القرن العاشر الشيخ صالح بن سليمان بن محمد العاملي الصيداوي قال صاحب الروضات : كان عالما فاضلا صالحا عابدا ساح الى العراق وجاء الى مشهد الكاظم عليه السلام . وقد يكون هناك جماعة كثيرون لم نقف على اسمائهم لانا رأينا الخطيب البغدادي صاحب كتاب تاريخ دار السلام يروي كثيرا عن جماعة من صيدا وصور ايضا

(١) دائرة المعارف للبستاني

احتلَّ ابراهيم باشا المصري عكا وجهاتها سنة ١٨٣٢ م وذلك بمساعدة نابليون وبقي الى سنة ١٨٤٠ حيث استعانت الدولة على اخراجه منها بانكلترا والنمسا وبلغنا عن بعض المعمرين انه حينما حل صيدا اراد ان يجعل بها ادارة صحية (كرنتينا) فابى عليه الاهالي اشد الاباء على زعم ان ذلك مفسد لبلدتهم مضر بمصلحتهم فما كان منه الا ان بناها في بيروت ومن ذلك الحين بدأت بيروت تتقدم رويدا رويدا

ولا يخفى على القاريء انصيدا كانت مباءة للامراء المعنيين والتنوخيين والشهابيين لانهم كانوا يحكمون صيدا احيانا او مقاطعة الشوف آونة ويترددون الى صيداء دائما

وقد حدثت سنة ١٨٣١ م فتنة في صيدا بين الامير بشير ملحم والشيخ يونس البزري قاضي المدينة لان الامير المذكور كان يناقض احكامه بغير علم فقه · فهيج القاضي المذكور بعض اهل المدينة واتى بهم بالسلاح الى السرايا ليطردوا الامير منها فتباحثا في الكلام وتشاتما واتصل ذلك الى جماعة الامير · ثم توجه بعض حزب القاضي الى ابواب المدينة لطرد جماعة الامير منها فصدمتهم الجماعة · فارتد كل الى مكانه · فرفع هذا امره الامير بشير لانه كان ارسله لمحافظة صيداء ومعه جماعة تقوم بخدمته وطلب منه حق شرفه فكتب الامير الى نقيب افندي في عكا فعرض النقيب الامر الوزير فامره ان يرسل الامير ليبعث بجماعة من اعوانه ويقبضوا على القاضي والمفتي ومن ساعدهم على الهياج ففعل ذلك وارسل الجميع الى عكا وقدم شريف باشا اليها فامر بعقد ديوان شورى على الصيداويين فحكم الديوان ان خمسة عشر رجلا من المعتقلين يسجنون وان الذي رفع السلاح على الامير يقطع عنقه على باب صيداء ففعلوا كذلك وهم ينادون هذا جزاء من رفع يده على الوالي(١)

هذا ما اردنا كتابته عن تاريخ صيدا الحديث ومنه يعلم انها لم تكن شيئا مذكورا الا لما اصبحت باشاوية وكانت مصدر الاحكام ومركز الحكام ثم تراجعت لما حول مركز الايالة الى عكا وسوف نأتي ان شاء الله على تاريخها المعاصر الذي يبتدأ بحادثة الستين اي منذ اثنان وستين سنة ونجتهد في ايفاء البحث حقه والله الموفق للصواب

---

(١) تاريخ الامير حيدر

مختارات ادبية واخلاقية

تخميس الدريديه

توطئه

في ايام كنت فيها نضو اسفار وجواب انجاد واغوار عنّ لي وقد اصطحبت مجموعا يضم فيما يضم مقصورة الشيخ ابي بكر بن محمد بن دريد الازدي ومكانة هذه المقصورة عظيمة في قلوب رواد الادب ومتطلبي فصح العربية ان اسمط تلك الفرائد . ومما حبب الي ذلك معان جاءت في اثنائها تنطبق على الحالة التي انا فيها اذ ذاك فشرعت وانا في ذنابى تلك الرحله اخمس البيت تلو الآخر مقتفيا في كثير منها خطة ابن دريد في اختيار شوارد الالفاظ الغريبه وتوخي اوابد اللغة القليلة الاستعمال وتلك وان لم تكن الخطة التي رسمتها لنفسي ولا هي مما يماشي ذوق المعاصرين الا انه اثر عربي حرصت على تخليده واشفقت عليه من الدثور ولو لم يكن من حسنات نشره الا انه يمثل دورا من ادوار حياة اللغة العربيه ويجمع شيئا من الاخلاق الخشنة والمذاهب المستهجنة التي دعى اليها غلاظ البادية وفظاظة البادين وكذلك يلم افكارا واخلاقا ناضجه ونبذا من الفلسفة الادبية الروحية والاخلاقية التي تقتضيها طبيعة الاف اريف واخلاف العمران الى غير ذلك من محتويات هذه المقصورة لكفاك فائدة من وراء تلاوتها وعقبى المطالعه

ثم اني عدت الى مستقري في ذلك الاوان وقد نجز شطر وافر مما صمدت له وها انا ناشره في العرفان غير معيد فيه نظرة المستريح من وعثائه ولا معمل به فكرة المستجمع قواه اوروية المنتقد الخائف من الزلة والحذر من العثرة وذلك لان ضيق الوقت وسعة الاعمال تقف بيني وبين القصد واذا سمحت الفرص عدت فانتقدت وانتقيت واتممت ما ابقيت وهاك التخميس

لا تطلبيه للهوى بعد النهى ولولها لاختار فيك الولها
فانت مثلت الجوازي شبها يا ظبية اشبه شيء بالمها
ترعى الخزامى بين اشجار النقا .

اين الهوي اعيا الفوءاد اينه قرت ثواغيه وحان حينه
اري شبابي جد فيه بينه اما ترى رأسيَ حاكى لونه
طرة صبح تحت اذيال الدجى

ماضي شباب شبت دون رده وحق للمقصر ساوى عهده
حل القتير نازلا بفوده واشتعل المبيض في مسوده
مثل اشتعال النار في جزل الغضا

مبيض شيب كفرند المرهف حل بفود كالظلام مسدف
اسود غربيب العقاص مغدف فكان كالليل البهيم حلّ في
ارجائه ضوء صباح فانجلى

مررت يا عمر التصابي حلما وان تعد لم تلق ذاك المغرما
طويت كشحي للنهى مستسلما وغاض ماء شرتي دهر رمى
خواطر القلب بتبريح الجوى

خالفت ايام الصبا مواضيا وكيف الهو لا انثنيت لاهيا
وقد غدا رسم السرور عافيا وآض روض اللهو يبسا ذاويا
من بعد ما قد كان مجاج الثرى

فارقت دارا لم اسمها جفوة لعل بالنأي المشت سلوة
فلم اجد في البين الا شقوة وضرّم النأي المشت جذوة
ما تأتلي تسفع اثناء الحشا

كم جبت لو اجدى البعاد نفنفا حتى اذا طاح الظلام مسدفا
وفى الكرى جفني هجراً او جفا واتخذ التسهيد عيني مألفا
لما جفا اجفانها طيب الكرى

صابرت دهري والاناة ظفر لكن و ان لاقين قلبي غير
لم يبق مني للنوى مصطبر فكل ما لاقيته مغتفر
في جنب ما اساره شحط النوى

حتى م ابقى منجدا اومتهما مودعا في البين او مسلما
لاقيت ما قد صبغ الدمع دما لولامس الصخر الاصم بعض ما
يلقاه قلبي فض اصلاد الصفا

قدعرقت عودالصبا ايدي المحن   وامتص باقي مائه ريب الزمن
ذوى رطيب الغصن ريان الفنن   اذاذوى الغصن الرطيب فاعلمن
ان قصاراه نفاد وتوى

اكلما قلت انبرت لي فرصة   عزت من الاقدار فيها رخصة
او قلت مالي في التشاجي حصة   شجيت لا بل اجرضتنى غصة
عنودها اقتل لي من الشجا

حميت دمعي ببقايا جلدي   لكن بكيت من فؤاد موجد
دمعان من عين وقلب مكمد   ان يحم عن عيني البكا تجلدي
فالقلب موقوف على سبل البكا

لله كم شاهد قلبي ازما   كوارثا لاقين مني برما
ما حلم الفكر بها توهما   لو كانت الاحلام ناجتني بما
القاه يقظان لا صماني الردى

وحاجة اعرضت عن طلابها   وكيف لا اصدف دون بابها
وان سعي الحر في اكتسابها   منزلة ما خلتها يرضى بها
لنفسه ذوادب ولا حجى

برق الاماني خلب خافقه   فاستتر العزم مضى صادقه
هل يشبه البرق انكفا وادقه   شيم سحاب خلب بارقه
وموقف بين ارتجاء ومنى

ها انامحصوص الجناح اعزل   يلفني نائي المراح مجهل
ابعد ان قلت العلى لي منزل   في كل يوم منزل مستوبل
يشتف ماء مهجتي او مجتوى

فكلما استقصيت دهري املا   وقلت معوج الزمان اعتدلا
ثناني الدهر على رغم العلا   ما خلت ان الدهر يثنيني على
ضرآء لا يرضى بها ضب الكدا

حملت هما تحته الطود يئن   وهمة عن نعتها يعيي اللسن
لاعشت عيش الغمر بالبرض الخشن   أرمق العيش على برض فان
رمت ارتشافا رمت صعب المنتسا

يازمنا جار وكان العادلا عودني عـزا ومجدا طائلا
لكنه اقلع ظلا زائلا اراجع لي الدهر حولا كاملا
الى الذي عود ام لا يرتجى

يادهر لا وليت بالعيش الرغد وعاتب اصلاك ايراء الكبد
لم تبد عتباك له ولم تعد يادهر ان لم تك عتبي فاتئد
فان اروادك والعتبى سوا

قذفت بي اقتم غمط السنن وقدتني قود الجنيب المذعن
قد ضقت ذرعابالذي حملتني رفه علي طالما انضيتني
واستبق بعض ماء غصن ملتحى

كم لـك من عوراء حلمي واسع عنها وهل حلمي فيها نافع
ونكبة ما انا منها جازع لا تحسبن يادهر اني ضارع
لنكبة تعرقني عرق المدى

هيهات لايخشاك روع مطمئن وقارح يختال كالمهر الارن
مارست مني غير خوار افن مارست من لوهوت الافلاك من
جوانب الجو عليه ما شكا (١)

ورب حذاء بها الشعر احتذى (٢) لم تبرها للدهر سهما نفذا
لا دحرة الضيم ولا الكز الاذى لكنها نفثة مصدور اذا
جاش لغام من نواحيها غما

جرعني صرف القضاء مضضا حتى لقد اغضيت عنه معرضا
لم ارض مختارا به ومذقضى رضيت قسرا اوعلى القسر رضا
من كان ذا سخط على صرف القضا

هل تعلم الصفوة ما حل بيا بينا مشتتا ونزوعا مضنيا
صبا جديد العهد لم يبق ليا ان الجديدين اذا ما استوليا
على جديد ادنياه للبلى

فارط عيش ليس فيه مرجع وليس للآمال فيه مطمع

---

(١) جاريته في هذا البيت وشبهه واني بريء منها ومن كل اغراق في كل شيء وقد اسقط ايضا المدح
(٢) الحذاء القصيده السائره التي لا عيب فيها

شمل شتيت بالنوى مصدع ما كنت ادري والزمان مولع
بشت ملموم وتنكيت قوى

حتى ميدنيني القضا لكبوة عمياء ما فيها سبيل خطوة
حسبي من الدهر احتمال جفوة ان القضاء قاذفي في هوة
لا تستبل نفس من فيها هوى

سلمت نفسي لاساطير خلت فعللتها ليت لا تعللت
لكنها عثرة نفس جهلت فان عثرت بعدها ان وألت
نفسي من هاتا فقولا لا لعا

تدهورت لا عدمت مقيلة فان تكن مدتها قليلة
دبرت لي الى العلى وسيلة وان تكن مدتها موصولة
بالحتف سلطت الاسى على الاسى

ساحمل النفس على نهج هدى ارعاه ملحوب الثنايا جددا
فان ثناني عن مدى القصد ردى ان امرء القيس جرى الى مدى
فاعتاقه حمامه دون المدى

خاطر الى العزة قربا ونوى ان كليبا وهو مرهوب القوى
من دونها ذاق تبارا وتوى وخامرت نفس ابي الجبر الجوى
حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

ورب قيل جر فيها بوسه واستسهل الطعنة تفري ترسه
ربيعة استقبل فيها رمسه وابن الاشج القيل ساق نفسه
الى الردى حذار اشمات العدى

واملى الوضاح ما تمنت من بعده الزباء نيل الترة
فسلمته للرهيف المصلت واخترم الوضاح من دون التي
املها سيف الحمام المنتضى

لا تعب البزلاء سعيا دائبا واضرم الارجاء عزما ثاقبا
وان سموت بالعلا مطالبا فقد سما قبلي يزيد طالبا (١)
شأو العلا فما وهى ولا ونى

(١) يزيد بن المهلب بن ابي صفره خرج على بني امية

وان اتى دوني ما ليس يرد فكم شديد الباس مشهود الجلد
جد الى العلياء سعيا واجتهد فاعترضت دون الذي رام وقد
جد به الجد اللهيم الاربى
وكم فتى سار علاه مثلا خاب رجاء وتردى املا
يادهر زدني منك جورا وقلا هل انا فرد من عرانين علا
جار عليهم صرف دهر واعتدى
ولي بهم كل اشم اشوذ ابيض يدعو بيَ ياوفد لذ
ما نلت من دهري ولا قال خذ فان انالتني المقادير الذي
اكيده لم آل في رأب الثاى
وترتني يادهر بالمكاره والحر لا يكرى عن انتصاره
فقد سعى مهلهل اشاره وقد سما عمرو[1] الى اوتاره
فاحتط منها كل عالي المستمى
قد طرق اللبوة غيري لم تدن زباء خافته ومن خاف امن
واكتمنت افرع يأوي المكتمن فاستنزل الزباء قسرا وهي من
عقاب لوح الجو اعلا منتمى
والحرث لم تبرح به عزمته حتى انجلت بخالد ازمته
وانحسرت لسيفه لمته وسيف[2] استعلت به همته
حتى رمى ابعد شأو المرتمى
خلا رباه للعدى مرابعا حتى اذا استضرى مليكا رائعا
كسا اليها بالجنود راجعا وجرع الاحبوش سما ناقعا
واحتل من غمدان محراب الدمى

النجف محمد رضا الشبيبي

---

(١) هو عمرو بن اخت جذيمه الابرش وكان خاله هذا قد قتلته الزباء فاخذ بثاره وقتلها او سبب موتها بالسم في قصرها على الفرات والقصة مشهورة في كتب التاريخ

(٢) سيف بن ذي يزن غلبه الاحبوش على اليمن وفي كتب التاريخ العربية انه استنصر ملك الفرس على عهده فوجه معه جندا الى اليمن واخرج منها الحبشه

بنو حمدان

والادب

كان بنو حمدان وهم امراء الموصل والشام كما قال الثعالبي في حقهم "اوجههم للصباحة والسنتهم للفصاحة وايديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة» وكان الادب الغض في ديارهم رياض زاهرة وللشعراء في نواديهم مجالس حافلة سيما مجالس سيف الدولة الذي كان كما قال صاحب اليتيمة مشهورا بسيادتهم وواسطة لقلادتهم وناهيك بمجالس تضم بين جوانحها امثال حكيم الشعراء ابي الطيب المتنبي والنامي والزاهي والببغاء والرفاء والوأواء وقد قال ابن خلكان عن صاحب اليتيمة انه لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ العصر ونجوم الدهر وانما السلطان سوق يجلب اليها ماينفق لديها وان ابا محمد الفياض وابا الحسين الشمشاطي اختار كل واحد منهما من مدائح الشعراء في سيف الدوله عشرة الآف بيت كلها غرر مثل قول ابي الطيب المتنبي

نهبت من الاعمار مالو حويته　　لهنئت الدنيا بانك خالد

فانت حسام الملك والله ضارب　　وانت لواء المجد والله عاقد

وقوله

وقفت ومافي الموت شك لواقف　　كانك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة　　ووجهك وضاح وثغرك باسم

ومثل قول ابي فراس

لقد ظننتك بين الجحفلين ترى　　ان السلامة من وقع القنا تصم

نشدتك الله لاتسمح بنفس علىً　　حياة صاحبها تحيا بها امم

ولا عجب اذا اينع غرس الادب في دولة الحمدانيين وهم من صميم العرب عرقت فيهم لخول البلاغة من تغلب بن وائل الى جدهم حمدان وكان ابني ورقاء العرب الكرام وهم لهم كالصنو من الصنو يد كريمة في نهضة الادب يومئذ في ديار الشام.

وحسب الحمدانيين فخرا ان يكون مقدم شبيبتهم وطراز بلاغتهم ابو فراس الحارث بن سعيد الحمداني الذي قال عنه صاحب اليتيمة انه كان فريد دهره وشمس عصره ادبا وفضلا وكرما ونبلا ومجدا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة وهو ذو القول الرقيق والنظم العجيب وقد قال في حقه الصاحب بن عباد وناهيك به ناقدا بصيرا بدء الشعر بملك (يعني امرء القيس) وختم بملك يعني (ابا فراس) وقد كان في اسرياته اشعر الناس

وحسب الحمدانيين فخرا ان تكون الشام بل حلب كعبة الادب التي تحج اليها قصاده وبها علا ذكر ابي الطيب المتنبي شاعر عصره وقريع دهره وانما لزم طريقة التفوق في النظم لما اجزل له سيف الدولة المنحه وقد قال بعض الشعراء

لأن جاد شعر ابن الحسين فانما تجود العطايا واللهى تفتح اللهى

مع ما كان يعني به سيف الدولة من نقد كلام المتنبي وقد اشتهرت معارضته له لما انشده قصيدته الميمية التي اولها (على قدر اهل العزم تأتي العزائم)

فهو اذاً خريج نعمة تلك الدولة وغرس كرمها

نعم ان توفر حساد المتنبي على الوقيعة فيه وعلو نفسه كانا سببا في رحيله الى مصر ثم العراق ولكنه ما زال يذكر ايادي سيف الدولة لديه ونعمه عليه ويحن الى مجالسته ويتندم على مفارقته وما ذاك الا لعظيم اياديه وجليل احسانه وقد قال

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وانعلت افراسي بنعماك عسجدا

وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

وما كان ابدع عتابه له لما ازمع الترحال الى الشام وقد اهانه ابن خالويه في مجلس سيف الدوله وما احسن ما جاء به في قصيدته الميمية التي اولها

واحر قلباه ممن قلبه شبم

مالي اكتم حبا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الامم

ان كان يجمعنا حب لغرته فليت انا بقدر الحب نقتسم

ويقول فيها

يامن يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

ان كان سركم ماقال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم

وحسب الحمدانين فخرا ان يكون لامراءهم في الادب الباع الطويل والنظر الناقد والفكر الثاقب والقريحة السياله ومن مثل سيف الدوله في انصرافه الى الغزوات وشغله بما يجب عليه من حق السيف والقنا وقضاء لبانة الحزم والعزم وتأسيس ملك عظيم ارتفع به بعد ما كان صاحب واسط الى ان ملك الشام باطرافها والجزيرة باكنافها ثم ابلى في الروم احسن البلاء وتوغل في ارضهم حتى قيل انه جمع ما علق بثوبه من غبار الغزوات وعمله لبنه صغيرة وضعت تحت خده في لحده وكان بعيدا عن اللهو والبطاله قلما ينشط لمجلس الانس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب وممارسة الحروب كما قال الثعالبي في اليتيمه — من مثله وهذه حاله — وهو يهز قريحته فتساقط درا ثمينا ورطبا شهيا مثل قوله في قصة

راقبتني العيون فيك فاشفقت ولم اخـل قط من اشفـاق
ورايت العذول يحسدني فيك مجداً بالنفس الاعلاق
فتمنيت ان تكونى بعيدا والذي بيننا من الود باقي
رب هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف فراق

وقوله قد جرى في دمعه دمه فالى كم انت تظلمه
رد عنه الطرف منك فقد جرحته منك اسهمه
كيف يسطيع التجلد من خطرات الوهم تؤلمه

ومثل قوله

تجنى على الذنب والذنب ذنبه وعاتبني ظلما وفي شقه العتب
واعرض لما صار قلبي بكفه فهلا جفانى حين كان لى القلب
اذا برم المولى بخدمة عبده تجنى له ذنبا وان لم يكن ذنب

وهو القائل لاخيه الاكبر ناصر الدوله صاحب الموصل وكان سيف الدوله كثير التأدب معه وناصر الدوله شديد الحب له حتى انه لقد ضعف عقله لما اخترمت المنية سيف الدوله قبله

رضيت لك العلياء اذ كنت اهلها وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
ولم يك بي عنها نكول وانما تجافيت عن حقي فتم لك الحق
اما كنت ترضى ان اكون مصليا اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

نعم انه كان في عصر سيف الدوله مثل الصاحب ابن عباد صاحب الادب البارع

والكرم الفياض وكانت بابه مثابة للشعراء وكعبة للادباء بل كان هو المتفرد بالغاية في المحاسن ولكنه لم تكن له شواغل سيف الدوله ولئن ملك الصاحب فضيلة القلم فلقد كان لسيف الدوله السيف والقلم وطالما تطلعت نفس الصاحب العاليه الى اقتناص شعراء سيف الدوله ومشاركته له في روائع مدحهم وبلاغة اسلوبهم وتعاصى عليه من بينهم ابو الطيب المتنبي حتى كان من امره ما كان ولقد بلغ من ولع الصاحب بشعراء الشام ورهط الحمدانين فيها انه كان يحرص على تحصيل الجديد من اشعارهم ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع والطرائف حتى كتب دفترا ضخم الحجم عليها وكان لا يفارق مجاسه ولم يملاء احد منه عينه غيره وصار ماجمعه على طرف لسانه وفي شق قلمه فطورا يحاضربه في مخاطباته ومحاوراته وطورا يحله او يورده كما هو في رسائله (قاله الثعالبي)

اما اريحية سيف الدوله فقد كانت اذا انشد عذب القول تهزه هز الكماة عوالى المران ثم تطلق منة كفا لم تحبس عن عاف او معدم وقد نقل لي بعض الافاضل انه راى في بعض تراجم ابى الطيب انه لما عاتب سيف الدوله يوم ازمع الترحال عنه بقصيدته الميمية المشهوره كان ابو فراس يطعن في ابياتها ويهون امرها حتى اذا بلغ الى قوله

ان كان سركم ماقال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم

لم يتمالك سيف الدوله ان نهض فقبل فاه اما هذه القصيدة فهي كاللؤلؤ المنقى لاتجد فيها بيتا يعاب وفيها من الدلاله على نبوغ هذا الساحر ببيانه في ملكة الشعر الايتسع له بيان وعيب ابى فراس لها لم يكن الا لما كان في نفسة على ابى الطيب لكثرة ما كان يراه من اثار اعتداده بنفسه وزيادة تكبره كما هي حاله مع الصاحب بن عباد وهو اعرف الناس بقدره وساحر شعره ومع ذلك فقد كان متتبعا سقطات المتنبي ينشرها ويخرج عن الحد في تنقيصها ولا يذكر جيده بلسان وان دخل اقتباسه في جيد نظمه ونثره

نعم قال صاحب اليتيمه ان ابا الطيب تحامى جانب ابى فراس فلم ينبرى لمباراته ولم يجترء على مجاراته وانما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيبا له واجلالا. لا اغفالا واخلالا وان المتنبي كان يشهد لابى فراس بالتقدم والتبريز ولا اظن ان هذا الكلام يخلو من المبالغة وان كان في بعضه قد اتى بالحقيقة ومن علم عتو نفس ابى الطيب واعتداده العجيب بنفسه يعلم انه لم يقتصر عن مباراة او مجاراة ابي فراس عجزا وهذا جيد نظمه شاهد له بانه الجواد الذى لايشق له غبار ولا يبعد ان يكون

ذلك لمقام ابى فراس عند سيف الدولة وتحاشى ابي الطيب عـن ان يغضب سيف الدولة فلا يتعرض لابن عمه بما لا يرضيه وترك مدحه له لايكون عن خوف في نفسه بعثه هيبة لابي فراس واجلال ولكنه كان لشركتهما في الصنعة وتناظرهما وان اختلفت الغاية وهذا هو السبب في تنقيصه قدر القصيدة الميمية كما رويناه لبعض الافاضل وقد كان لسيف الدولة من الاحترام في نفس ابي الطيب ما لا يتسع له القول وكيف لا يكون كذلك وقد كان له من بره وانعطافه ما سارت بذكره الركبان واليك بعض ما كان فقد روى الثعالبي انه لما انشد سيف الدولة قصيدته التي اولها

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والابل

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة فلما انتهى الى قوله

ياايها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الاحسان لاقبلي

اقل انل اقطع احمل عل سل اعد زدهش بش تفضل ادن سرّ صل

وقع له تحت اقل قد اقلناك وتحت انل يحمل اليه من الدراهم كذا وتحت اقطع قد اقطعناك الضيعة الفلانية بحلب وتحت احمل يقاد اليه الفرس الفلاني وتحت عل قد فعلنا وتحت سل قد فعلنا فاسل وتحت اعد اعدناك الى حالك من حسن راينا وتحت زد يزاد كذا وتحت تفضل قد فعلنا وتحت ادن ادنيناك وتحت سر قد سررناك قال ابن جني فبلغني عن المتنبي انه قال انما اردت سر من السرية فامر له بجاريه وتحت صل قد فعلنا قال الثعالبي وحكي لي بعض اخواننا ان المعتلى وهو شيخ بحضرته ظريف قال له وحسد المتنبي على ما امر به يامولاي قد فعلت به كل شيئ سألكه فهلا قلت له لما قال هش بش هه هه هه يحكى الضحك فضحك سيف الدوله وقال له ولك ماتحب وامر له بصله (انتهى)

هذا شئ من هبات سيف الدوله لشاعره المتنبي وفيه من الدلالة على علو مقام الادب في نفسه مالا يحتاج الى مزيد بيـان ولاجل ذلك لم يخرج معه ابوالطيب عن حد التادب لما هجر دياره مغاضبا كما فعل بكافور وغيره فمن كانت هذه منزلته في قلبه لا يقدم على اغاظته بمناظرة ابن عمه مهما بالغ هنا في الغض منه ولو لا توفر معاصري ابى الطيب من شعراء الدولة الحمدانيه على الوقيعة فيه وكثرتهم حول الكلام عليه ما كان ترك مقاما ارتقى فيه من جائزة على ابن منصور الحاجب الدينارية الى هبات سيف الدوله العظيمه

احمد رضا

رجال المبادىء العاليه

ومنزلتهم من التاريخ

تمهيد

عبرنا بالمبادىء عن الاخلاق والفضائل مماشاة لكتاب العصر حيث اصطلحوا على ذلك ولا مشاحة في الاصطلاح والمبادىء في اصطلاح الفلاسفة هي اصول المركبات واوائلها وكأن اطلاق المبادي على الاخلاق اطلاق مجازي والعلاقة غير خفية على من يعلم منزلة الاخلاق من البشر وانها الاوليات لكل ما يحكم عليهم او هي بداية ما تبنى عليه حياتهم الشخصية والنوعية والفردية والاجتماعية ولا غرو فان

لسان الفتى نصف ونصف فواده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وما المرء الا الاصغران لسانه ومعقوله والجسم خلق مصور

فان تر منه ما يروقك ربما امر مذاق العود والعود اخضر

فلسفة المبادي

ان في الانسان مبدئين او خلقين هذا يدعوه الى الخير وذاك يدعوه الى الشر وبعبارة اخرى ان في الانسان ملكة الاستعداد لذينك الامرين ويقوى في نفسه احدهما او يضعف تبعا للموءثرات الاجتماعية وسيرا مع العوامل الوسطية وسمي خلقا منهما او مبدأ ما صارت عنه الافعال بسهولة وتأصل في النفس

نعم ان للوراثة تاثيرا على المبادي وقد تتعاصى على التربية وخاصة اذا كانت تعم العشير والقبيل واخص من ذلك كله اذا كانت شاملة للشعوب والقبائل والامة التي هي منتهى صيغ الجماعات

ان في البداوة مبادىء هي غيرها في الحضارة ولكن مبادىء البداوة اثبت من مبادىء الحضارة وسكان البدو اشد اعتصاما واستمساكا بمبادءهم من سكان الحضر ومبادىء البداوة من حيث النوع اعم نفعا واكثر خيرا من مبادىء الحضريين لابتناء تلك على اسمى الفضائل الانسانية وهى الاستقلال الفكري وقوة الارادة وحرية الضمائر وثبات الجنان وكرم النفس وشجاعة القلب واللسان والوفاء بالعهد والاباء والنجدة ومنعة الجار وامن اللائذ وابتناء مبادىء الحضريين على ضد ذلك

قلنا ان في الانسان ملكة الاستعداد لمبدئي الخير والشر ولا ادل عليه من قوله تعالى

وهديناه النجدين وقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

ان سكنى البدو لا تسلب الانسان انفس شيء عنده وهو الحرية والاختيار بل تدعه ممتعا بحريته واختياره متنعما باستقلاله فيعيش وليس له غير ضميره وازعا عن ارتكاب الدنيئات يسير على ضوء من وجدانه ومصباح من هداية نفسه حيث هو خلو من كل سلطة خارجية يتأثرها وتصرفه تبعا لمشيئتها وتقوده الى حيث تهوى لا الى امياله الخاصة وتحول دونه ودون التصرف باقواله وافعاله ضمن دائرة مبادئه المستفادة والمطبوعة كما هو الحال في الحضري الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا واذا كان للتربية المنزلية والمدرسية اثر في تقويم الاخلاق وتعديل المبادىء في الحضريين فان سلطة الوازع اذا كانت لا تعرف الحكمة والعدل ولا تسير الامتأثرة بشهوات الانفس تبطل ذلك الاثر المستفاد من التربيتين المنزلية والمدرسية بالكلية

نعم ان في سلطة الوازع الجائر الغير محدودة مفسدة الاداب ومضيعة المبادىء واذا كان في سلطة الوازع العادل ذهاب لكثير من الخلال الانسانية الشريفة فماذا يكون مبلغ السلطة الجائرة لاجرم انها مبانة فساد الاخلاق واساس التواء المبادىء

قال العلامه الاجتماعي ابن خلدون في المقدمة ونعم ما قال ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم

« وذلك انه ليس كل احد مالك امر نفسه اذ الرؤساء والامراء والمالكون لامر الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان يكون الانسان في ملكة غيره ولابد فان كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعاني منها حكم ولا منع وصد كان الناس من تحت يدها مدلين بما في انفسهم من شجاعة اوجبن واثقين بعدم الوازع حتى صار لهم الادلال جبلة لايعرفون سواها

واما اذا كانت الملكة واحكامها بالقهر والسطوة والاخافة فتكسر حينئذ من سورة باسهم وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة

وقد نهى عمر سعدا (رضي الله عنهما) عن مثلها لما اخذ زهرة بن حوبة سلب الجالنوس وكانت قيمته خمسة وسبعين الفا من الذهب وكان اتبع الجالنوس يوم القادسية فقتله واخذ سلبه فانتزعه منه سعد وقال هلا انتظرت في اتباعه اذني وكتب الى عمر يستاذنه فكتب اليه عمر تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك

ما بقي من حربك وتكسر فوقه ء وتفسد قلبه وامضى له عمر سلبه

واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذهبة للبأس بالكلية لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من سورة باسه بلا شك

واما اذا كانت الاحكام تأديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا اثر في ذلك بعض الشيء لمرباه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا ببأسه وهذا نرى المتوحشين من العرب اهل البدو اشد باسا ممن تأخذه الاحكام ونجدايضاً الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مرباهم في التأديب والتعليم في الصنايع والعلوم والديانات ينتقص ذلك من باسهم كثيرا ولا يكادون يدفعون عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه

ان الناس يوءتون من طريق الرهبة والرغبة اومن ناحيتي الرجآء والخوف وزمام ذلك بيد الامراء والسلاطين فاذا شآءوا اعوجاجهم او تقويمهم كانوا لكلا الامرين املك حيث بيدهم مقاليد الامرومن الناس فريق عبيد الدنيا وآخر عبيد العصا والاقلون منهم من لا يستهويه الطمع ولا يستزله الخوف والامرآء والسلاطين يصرفون ما بايديهم من رهبة ورغبة حسب ما توحيه اليهم ضمائرهم وعلى مبلغ ما أوتوه من التربية وعلى نسبه مبادئهم فالناس المحكومون لهم تتجلى فيهم مباديهم باجلى مظاهرها وترتسم في نفوسهم صور اخلاقهم باوضح صورها فان خيرا فخيرا وان شرا فشرا الا من عصم الله وقليل ماهم

ان موقف الحاكم من المحكوم له موقف الحكم والموءدب معا وليست وظيفته تنحصر في اطلاق عنان السلطة او في مجرد رفع الخصومات وحسم المنازعات ونفوذ الحكومات بفضل ماأوتي من القوة الحاكمية بل له وظيفةاسمى من تلك وهي وظيفة التأديب بطرقهاالرشيدة وبهذ التمهيد تدرك سر قول عثمان (رض) ما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع باالقرآن

وجاء في تأريخ الطبري خطب عمر بن الخطاب (رض) فقال ياايها الناس اني والله ما ارسل اليكم عمالا ليضربوا ابشاركم ولا ليأخذوا اموالكم ولكني ارسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الي فوالذي نفس عمر بيده لاقصنه منه فوثب عمرو بن العاص فقال ياامير المومنين أرأيتك ان كان رجل من امراء المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته انك لتقصه منه قال اي والذي نفس عمر بيده اذا لاقصنه منه وكيف لا اقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقص من نفسه ، الا لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم

اذك ترى كيف يؤدب عمر (رض) رعيته وكيف يبين لهم حقوقهم وتراه لايشاء ان يعطوا امرهم كله الى عماله ، وهو بهم ارأف منهم ، واحوط على رعاية مبادئهم من ان تعبث بها سلطة اولئك العمال

ومن ينظر الى ماكان يعهد به امير المؤمنين علي (ع) لعماله ، ويتأمل في عهده للاشتر النخعي (ره) لما ولاه على مصر واعمالها ، يعلم ان الاستبقاء على ملكات الرعية ، والاحتفاظ بمبادئها وامن خائفها ، والانتصاف لمظلوميها من ظالميها وتقويم ادابها ، وتعليمها احكام دينها ، واسعافها على الاخذ باسباب دنياها ، هو افضل ماكان ينحوه ذلك الامام العظيم من المناحي الرشيدة ، ويرشد عماله الى العمل به ، واحتذاء مثاله ، وتحدي طريقته ، واقتفاء سنته

نعم ان في صلاح العمال صلاح الرعية ، وفي فسادهم فسادها وهم مسئولون عندالله عز وجل وتجاه التاريخ عن اوزارها ولا غرو فانهم يحملون اوزارهم واوزارا مع اوزارهم وكل سنة يسنونها فيها يعود عليهم وزرها الى يوم القيامة ان كانت سيئة ويرجع اليهم اجرها الى يوم القيامة ان كانت صالحة ذلك فحوى الحديث الشريف ومضمون الاية الكريمة ونكتب ماقدموا وآثارهم

والسر في ذلك جلي واضح فان الناس مدينون للسلطة ، فاذا احسن استعمالها ذووها وصرفوها في وجوهها ، غير متجاوزي حدودها المشروعة ولا مفككين من قيود الشرايع الالهية والسنن الاجتماعية ، اثروا الاثر المجيد في مجتمعهم ، واستقامت مبادي رعيتهم ، واذا اساؤا الاستعمال واستخفهم زهو السلطان ، ورواء الملك فاطاعوه ، وصرفوا سلطتهم حسب اهوائهم ، ومشتهيات انفسهم ، التوى القصد وكانت العقبى تحدر الرعية في مهاوي السقوط ، وضياع الامر من يدهم وعموم الفساد ، وحقت عليهم وعلى رعيتهم الكلمة ، وادينوا بسنته تعالى التي لا تتبدل ولا تتحول « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا »

سليمان ظاهر

يعز على الكمال

الى كم انت تضحك في عبوسي وتونسني وما بك من انيس
درستك ياكتاب الكون حتى عرفت رموز سحرك في دروسي
ابيت سوى عداوة كل حر وغير مودة الوغد الخسيس
تُموّه بالحقايق كل وهم وما لك بالحقيقة من مسيس
تنافس يا زمان على الدنايا فما بك في الحقيقة من نفيس
فكم ضمنت طروسي فيك علما ولا علمي افاد ولا طروسي
كاني بالكتابة من علومي اسوّدُ جلد وجهك بالنقوس
تقيس لي الليالي كل هول يعاركها اصطباري في خميس
فشأني ياليالي ان اقاسي وشأنك ياليالي ان تقيسي
تعست فكم اخي جهل سعيد لديك وكم اخي فضل تعيس
وكم بي منك من داء دخيل رسى قِدما على وجد رسيس
برأسي حكمة تابي خضوعا لمرئوس بحكمك او رئيس
احسُّ بضجة في الكون تعلو وما للصدق فيها من حسيس
اذا لم الق صدقاً من صديقي عسيت ترحلاً وركبت عيسي
تنافست الورى في السبق لكن تنافسهم على غير النفيس
تَناُفس لا على املاء علم شريف بل على املاء كيس
سقتهم نشوة الدنيا كؤوسا فهم صرعى بهاتيك الكؤوس

* * *

يعز على الكمال (ابا اديب) سراك فديت من سوء وبوس
برغم المجد سرت وانت شهم مسير الليث . . . . . .
ببيتك قد كبست وانت فرد ككفذ اليوم في العام الكبيس
ولو اني بلغت بك الاماني فديتك بالنفيس وبالنفوس
فيا بدرا تنقل في بروج وتحسبه تنقل في حبوس
ويالبثا ثوى في خيس غاب وغاب على عن المثوى الخسيس
ليهنك ان اخذت ولا هناة عليك . . . . . .

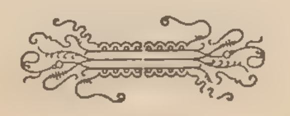
فللاسياف بعد الغمد سَلٌّ يسيل دماء حامية الوطيس
ومن بعد السرار البدر يبدو ومن بعد الدجى الَق الشموس
ومن ينهض لنصر الحق يلق له العقبات كاشرة الضروس
وتلك شريعةٌ في الكون امست على الاحرار نافذة الطقوس
تسود على الاسود الرخم فيه وتستعلي الذيول على الرؤوس
فيا ضربت يد الاقدار باسا على تلك الضرايب والمكوس
فلو تبدو الحقايق عاريات وتُلقي ما عليها من لَبوس
لكنت رايت انك في نعيم نعم وسواك في عيش بئيس
سلمت وساخاتك في سعود بوارح للأعادي في نحوس

(مح . . ن . .)

(العرفان) نظم هذه القصيدة الفريدة استاذنا العالم الجليل صاحب التوقيع وذلك حينما طلبنا لبيروت وقد تأثر غاية التأثر من مجيء العسكر ليلا الى قرب دارنا واخراجنا بحيلة ان بعض الناس ينتظرنا خارج البيت واخذنا الى دار الحكومة محفورين بالعسكر كما يفعل بالجناة الذين لاسبيل الى الوصول اليهم الا بتلك الطريقة ثم ما أعقب ذلك من حكم الديوان العرفي علينا بالسجن شهرا ونصف شهر ويقرأ القارئ بهذه القصيدة عواطف الاستاذ الشريفة وشعوره الحي وما جاء بها من المدح مما لم يكن نشره مناسبا لان ذلك خلاف خطتنا التي يعرفها القراء فقد نشر ونحن في بيروت فنسأله ان يكثر من امثال هذا الاستاذ الكريم الذي لانبالي بعد احراز مودته بكل خطب جسيم

تنبيه

نظرا لعدم حضورنا على تصاليح الملزمة السابقة وقع بها عدة اغلاط لا تخفى على القارئ اللبيب واهمها ما جاء في صفحة ١٥١ سطر ٢٤ فحق عليهم والصواب لحق عليها



فلسفة اجتماعية

المعارف

الناس عالم او متعلم والباقي همج

لكمال بك — امير الكتاب ونابغة العثمانيين اسلوب بليغ مستملح يبلغ به اعماق القلوب وقد عثرت له على مقالة نشرتها مجلة (رياضيات) فاحببت تعريبها ليقف ابناء قومي على ما دبجته يراعة ذلك الكاتب العظيم فعسى ان يتعظوا بها وما احسن العظة والاعتبار بعدما كشفت الخطوب لناعن ليل الهموم والاخطار الاستار

شرف الانسانية في الدنيا عبارة عن ازدياد المعرفة ، والا فلا فرق بين الهوام والعوام — الذين لم يملكوا من العلم نصابا ، ولم ينكبوا على دراسته وتحصيله انكبابا ، لنستعرض المزايا الانسانية ولنجل فيها قداح النظر ولو مرة واحدة !

قل لي بربك من التي هدت الانسان بساطع انوارها الى خالقه العظيم ودلته على وظيفته الاجتماعية في معترك الحياة ؟ اليست تلك الهداية انبعثت عن المعارف ؟ — من التي اظهرت كوامن الاستعداد المركوزة في فطرتنا لبلوغ اسمى ذرى الكمالات ؟ اليست هي المعارف ؟ من التي جعلت الارض وما فيها من اكثر الخاصيات خادمة لبني نوعنا ؟ اليست هي المعارف ؟ من التي جعلت فوائد النعم في احدى جهات الكون مستأثرة على من هم في الجهات الثانية ؟ اليست هي المعارف ؟ من الذي جعل مآثر العرفان التي ولدتها بنات افكار الامم التي درستها دوارس الفناء — دائمة الاستقرار في العالم المتمدن ؟ اليست هي المعارف ؟ وفي الحقيقة ! فلا يمكن ان يتصور في الدنيـــا مزية اسمى واعظم من المعارف ؟

ان المعارف منبع العمران ما مثلها للعز من اركان
واجلّ الطاف الاله ولم تكن الا لتحفظ مجد كل كيان

وتصرفت في الكون حتى خلتها   للكائنات هي الآله الثاني

ان المعارف قد بسطت ظلالها على اوربا فتركت كائناً من كان هناك قادرا على ان يكون ظهيرا للمبعوث المنتخب من الاهالي وكافلا له في احراز المنافع التي يرتئيها ، مع ان الحال في آسيا على العكس من ذلك ، اذ لا تجد شخصا فيها يقدر على حماية مبعوثي الاله الذين يبينون شرائعه !

ان المعارف تركت الدولة الانكليزية تدخل بفصيلة من جندها عاصمة حكومة الصين التي تنوف رعاياها عن ثلاثمائة مليونا من النفوس — مع ان تلك الحكومة الصينية العظيمة لم تجسر ان ترسل شرذمة من جيشها تؤدب فرقة ثائرة قليلة العدد

ان المعارف جعلت ثلة من الاوربيين يجتازون البحر المحيط ويطوفون العالم ببضعة ايام — مع ان ملايين من التاتار لم يقدروا بمئات من السنين ان يجتازوا حائطاً او سورا

ان المعارف جعلت مداواة العلل المهلكة التي اختفت حقيقتها في العالم المتمدن عن عين الادراك في قيد الاستطاعة — مع ان البدو الذين يعيشون في الصحراء لا يقدرون على رد غوائل السباع الضارية عن حياتهم

ان المعارف صيرت الاديب الكامل في باريس ذا ثروة طائلة ، تدعه في مأمن من العوز والفاقة ، فيما لو اشتغل بتأليف رواية ينفق عليها من اوقاته خمسة اشهر ، مع ان علامة العلماء في الاستانة الذي لا يشق له غبار ، ولا يدرك في مضمار ، لو باع جميع آثاره النفيسة التي انفق عليها غرر ايامه وبيض لياليه ، لا تسد له عوزا عن خمسة اشهر (*)

(*) نبين ثروة بعض ادباء فرنسا المشهورين على الوجه الآتي كما اراد ان يلمح اليه المرحوم كمال بك

فرنك	
٦٠٠ — ٠٠٠	فيكتور هيكو
١ — ٨٠٠ — ٠٠٠	جورج سان (امراة قصصية مشهورة)
٧ — ٦٠٠ — ٠٠٠	اميل دوجيراردن (موسس جريدتي لابرس والليبرتة في باريس)
٤٠٠ — ٠٠٠	الكسندر دوما فيس (ان والده اسكندر دوما الف ٢٤٥ جلد و١٢٩ نوعا من الحكايات ووضع توقيعه على اربعمائة كتاب الفه غيره بعد ان صححه لينال الرواج — وقد اكتسب في مدة حياته من تأليفه مليونين من الفرانكات)
٢٥٠ — ٠٠٠	ادمون ابو

ان انتشار نور العلم بين الامم التي نعرفها كان اعظم سبب لظهور ابدع الآثار التي يخطئها العد ، تدونت بضعة شعب من الطبيعيات : حتى افتخر احد الحكماء بهذه الفرضية الممكنة وهي « لو وجدت في الخارج نقطة استناد لحركت الارض من موضعها » مع انه يعجز عن ان يحرك بكل قواه كرة حديدية

كما ان بعض القواعد السياسية قد تعينت واصبح المليك الذي لايتجاوز مملكة ثلاث ايالات ، يقيم الارض ويقعدها بمدة قليلة ، يصح ان يقال عنها قبل ان يرتد اليك طرفك ،

اتم ظهور الاسلام مكارم الاخلاق : واصبحت اكثر الجهات من القطعات الثلاث « اوربا وآسيا وافريقيا » بمدة لاتتجاوز العصر والعصرين منقادة لحكم الشريعة التي هي قانون العدل والحق ،

اقدم العلماء الكرام على تدقيق قواعد العقل والنقل ، فاعدوا الاسباب الكلية للمدنيه التي جعلت الدنيا فردوس عمران ، ظهر فيما بينهم ملوك خططت سيوف عدالتهم الارض من الشرق الى الغرب

نبغ حكماء كانت تآليفهم العديدة واكتشافاتهم الجديدة برهانا ساطعا على كمال قدرة الصانع المبدع ، واوجد بعض الصناع الطباعة ، فكانت سببا لتعمم الكمالات العقلية التي كانت منحصرة في تلك الآونة بالخواص ، وبذلك بلغت فوائد التمدن الى الدرجة التي رايناها

اعتاد بعض ارباب المعرفة على السياحة الحربية ، فاكتشفت قارة عظيمة كانت الى ذلك الوقت في عمان الخفاء ، وادخلت اليها انوار المدنية المتألقة فاستفاد النوع

---

٥٠٠ – ٠٠٠ . الفونس قار

٥٧٠ – ٠٠٠ . جول جانن

١٠٠٠ ١٠٠٠ ١١ . ادولف تير (رئيس جمهورية فرانسا)

١٠٠٠٠٠ . و يقتورين ساردر

اليس كمال بك اشهر مشاهير الادباء عندنا ؟ فبربك قل لي ما ذا استفاد من تآليفه حينما لم يوجد من يقدر على كتابة اثنى عشر سطر يماثل مقالة يكتبها بخمسة وعشرين سطرا واعظم مانلناه من السعادة هو انه طبع كتابه مرتين في مدة ثلاثة اشهر وطبع من كل كتاب الفا نسخة

اما فيكتور هيكو فقد طبع من كتابه البوءساء مائة وعشرين الف نسخة ومع هذا لم يجد عنده نسخة ثانية الى مساء اليوم الثالث من نشره وقد طبع كتابه في السنة اربع مرات وفي كل مرة كان يطبع منه مائة وخمسين الف نسخة فهكذا يكون حال ادباء الامم المتحلين بحلي المعارف .

البشري من عطايا القدرة المكنوزة فيها ء

ايد بعض الحكماء احتياج الاستدلالات النظرية الى التطبيقات الخارجية ء فازدادت الاستفادة مما افاضته الطبيعة اكثر مما تتصوره منها ء كما ان الافكار توسعت الى درجة لا يمكنها الاحاطة بادراك بعض خفايا القدرة ء مثل اصول الهيئة وقوانين القوة الجاذبة ء وخواص العناصر ء واذا تاملنا في النتائج النافعة التي تكونت سعادة حالنا على اثر اكتشافاتها ء نجد كل واحد من المصنوعات الماثلة امام انظارنا دليلا منتظما لنغض الطرف عن كل مآثر التمدن فهل يتصور العقل خدمة عظمى اكبر من قوة البخار والسلك الاثيري؟ انهما في الحقيقة لواسطتان عظيمتان لترقي المدنية ء احدهما كالروح بديعة الاثر ء والثانية كالخيال سريعة السفر ء اولاهما تخدم البشر في تدارك حاجياتهم فتشتغل في مملكة لا يزيد عدد ساكنيها عن الاربعة والعشرين مليونا من النفوس ما يكفي لحاجيات اربعمائة مليونا بدون ان تقف دقيقة للاستراحة ء وثانيهما اصبحت كنقاة البريد واضحت المخابرات تتبادل بواسطتها ء فاصبحت الكرة الارضية لابناء آدم بمثابة مجلس صحبة ومودة

ما اعظم تلك القدرة التي تتجلى في البخار ! وما اغرب حالاتها! تنفذ احكامها وتنفذ ارادتها في البر والبحر ء ولا تعبأ بهوج الرياح ء فما احراها بان توصف بانها حاكمة الاقطار ء ومالكة البحار ء وما اعجب تلك المعجزة الفطرية التي تشبه اسلاكها المعدة لنقل القوى الكهربائية ء بسرعة انتقال الافكار فلا تحتاج في نقل وقائع اقصى الشرق الى منتهى الغرب ء الى مدة تنوف عن دقيقة بل تكون اقل منها

ان بني نوعنا الذين اتوا خرابة الدنيا وهم عزل السلاح ء لا وسائل دفاعية تدرأ عنهم عاديات الطبيعة وغوائل المفترسين كالشعور والاظافير ء ولا قوة تذب عنهم حرارة الحر وصبارة القر ء وتحملوا منذ ثلاثة الاف عام من البلايا ما يضيق به الذرع اصبحوا بعد ان ادركوا اسرار الطبيعة على اثر ذلك الاقدام المدهش ء والمساعي العظيمة في كشف لقاع الخفاء عن محيا المعرفة — مرتقين الى اقصى درجات العلو بصورة تحار دون ادراكها البصائر ء فما بالك بالابصار ؟ كيف لا يحار المرء ؟ وهناك مخلوق ضعيف اصبحت الطبيعة الكلية بارادته الجزئية ء انشأ في عالم البسيطة المدائن العظيمة وشيد الروابط الاجتماعية ء واظهر السفائن الجسيمة في المحيط الاعظم ء فازدادت وسائط الانتفاع ء واصبح يسير مع تلاطم الامواج بتلك الادوات التي

اعدها سير السابح وسط الاقيانوس ، اما فطرته فهي مبرأة من تلك الماهية ، طفق يدور في طبقات الهواء بتلك الآلات التي اوجدها كذوي الاجنحة ، ولكن خصلته عارية من تلك الخاصية ،

جسمه حقير ، ولكن افكاره لا حد يتخيل لها ، عمره قصير ، ولكن آثاره كالاعداد لا احصاء يتصور لها ، ها هو يزين الافكار بسرائر الطبيعة المستورة في مكمن القدرة ، وها هو يتاجر بجواهر المعرفة المطمورة في مخزن الفطرة ، تجده طورا يستنتج الدلائل من ادق وقائع الدهر ، وطورا يستعمل حاجياته من اعمق اماكن الارض ، ها هو يفصل بين القطعات ، ويوصل البحور ، ويحمل البحر في البر والبر في البحر ، — يستفيد من كل لذة من لذائذ العالم ، و كل قوة من قوى الطبيعة وعلى قدر استفادته يزداد تحملا للمشاق . واقداما على المصاعب ، يتجرى على الادوية للادواء ، ويحاول ان يستوفي كل حاجة من الحاجيات ، تشكلت دول فلا تغيب الشمس عن حدود ممالكها

وتاسست ممالك ، فلا ترى وجه الليل بعد غروب الشمس

ان فجر المعرفة قد اضاء الدنيا — فالى م نبقى نغط في نوم الكسل والفتور غطيطا

لنزيل الغشاء عن اعيننا اذا كنا مخدوعي النفس بتلك الاقاصيص التي اسمعنا اياها لسان المداهنة ، ولنمعن النظر في درجة عرفاننا ،

ان الملل المتمدنة التي لم تبلغ بعد اقصى درجات الرقي تجد نصف عامتها يقرأون ويكتبون ، مع ان الواحد من الالف منا يعجز عن كتابة اسمه وقراءته !!!

ان ما يحصله الخواص من ضروب العلم ليبعث الاسى والاسف اكثر مما يجهله العوام منها ، واذا استثنينا المدارس العسكرية فانا نجد مدارسنا العامية لا تخرج لنا رجلا من بين طلابها الا تبا ركز فيه من فائق الغيرة والفطانة التي تجتاز كل مشكلة ، وتقتحم كل معضلة ، ومع ذلك

فاكثر هؤلاء المتخرجين عبارة عن مهندس ، ومدرس ، وكاتب ، وضابط وما اشبه ذلك من صنوف الموظفين

ليت شعري هل نتيجة المعرفة والفائدة المبتغاة منها ، تكون عبارة عن جعل المتعلم ضيفا يتناول مواد حياته من مائدة الاحسان العمومية ؟

اللهم ان الحقيقة لا كما يظنون ، اذ نرى في اوربا التي نغبطها على ثروتها وعمرانها وتتصاعدمنا الحسرات على عدم ادراكنا شأوها — المدرسة اكبر معمل ، والمعرفة اول استاذ في محصولات تمدنها حتى الابرة والخيط

اذا كانت الحقيقة كما صورها اليراع فما هو السبب الذي جعلنا متلكأين عن تزييد معارفنا ؟

فهل نحن نذهب ذلك المذهب الباطل الذي يسلكه بعض المتعصبين القائلين « ان العلم يضعف الدين » كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا — ? ان هذه لعقيدة ضالة حسب ذلك الامر السامي القائل « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » وكل من ينحو ذلك الاعتقاد من بين الفرق الاسلامية لجدير بان يوصف بالجهل والغباوة

فاذا كان الدين عبارة عن زبدة عرفان من فنون شتى فهل تتصور بينه وبين العلم مباينة ، واذا حصروا هذه المباينة وخصصوها بالمعقولات فهل يمكن ان نقبل بهذا ؟ ان الحكمة علم يشمل جميع المعقولات وقد وصفت بالنص الكريم بان من اوتيها فقد اوتي خيرا كثيرا

وما عدا هذا فاذا تعارض العقل والنقل ، وجب تطبيق النقل على حجة العقل البالغة ، ومن اجل ذلك اصبح علماء الشريعة مكلفين بان يشتغلوا بالمعقولات ، كما هو مسلم لدى اهل العلم عامة

ان توهم الضرر في الاعتقاد من المنطق والهندسة وما شاكلها من

البراهين المعقولة ، التي وضعت لاثبات الحقيقة — ليليق بمن يريد ان يجمع بين التوحيد والتثليث

لندع هوءلاء الزاعمين جانبا وتعال بنا لنتحرى عن الاسباب التي صدتنا عن اقتباس اشعة العلم فهل نشأ ذلك من زعم بعض المستبدين القائلين « ان العلم والعرفان يخل بنظام المملكة » ؟ ان المعرفة نكمل احكام الحرية لانها تعرف كل انسان ماله وما عليه ، والا فلن يتصور منها انها ستكون سببا لاختلال نظام الدولة في وقت ما في استطاعة كل انسان ان يدرك حقوقه

عجبا هل نشأ ذلك السبب في عدم مراعاتنا شوءون المعارف عن نقص في الثروة العمومية ؟ كيف يجوز ان يكون البخل جائزا في سبيل التحصيل ؟ لا ترقى الدولة ولا تهبط بتقليل مصارفها ولا باسرافها في الادارة العامة ولكنها بازدياد معارفها تنهب خزائن الدنيا

ان الاسبانيين امتلكوا في احدى الادوار اثمن المعادن الذهبية ، ولكن نقص عرفانهم كان اعظم سبب لان يكونوا صفر الايدي منها والانكليز الذين سكنوا في مملكة انحصرت محصولاتها بمعادن الحديد والفحم اصبحت مملكتهم بمثابة خزينة الثروة الدنيا نظرا لبلوغهم اسمى درجات الكمال في العرفان

ان المعارف هي معدن الثروة ، كما انها مخزن السعادة

واذا جرينا على هذا الزعم فهلا يكون انتظارنا ارتقاء المعارف بارتقاء الثروة كانتظار ولادة الام من ابنتها ؟

عجبا هل الاحتياج الى الملك يترجح على المعارف ؟ واذا كان الامر كذلك فاي الاحتياجات نعني ؟

نحن لا نرى ما يجب تقديمه على الامور العسكرية من بين ضروريات الادارة ، ومع ذلك فلا يجب ان تكون متقدمة على المعارف

نعم تقوم الامة بظل سيفها ، ويكتب لها الدوام باتكائها واستنادها عليه ، ولكن كم من فاتح عظيم ملك رقاب العالم بشجاعته اصبح اسيرا غير انه اذا كان في قبضته التدبير ، فانه يكون من ذوي التاثير

نعم : كان يقول الذين يجعلون الحسام الحكم القاطع في الدعوى

المجد للسيف ليس المجد للقلم

الا انهم يعترفون اليوم وقد راوا المدفع كالبرق الساطع في تنوير المدعي — بهذا القول

الفوز للعلم ليس الفوز للعلَم

اننا اذا ارصدنا ما يجب انفاقه على المعارف لتزييد السطوة العسكرية فلا يكون عملنا هذا من قبيل من يأكل دماغه ليقوي جثمانه ؟ وخلاصة القول انه لم يبق عذر لمعتذر

ليس زماننا زمان توقف ، فان العالم الانساني يقطع الخطوات الواسعة في سبيل الارتقاء بكمال الشوق والسرعة ،

اما كعبة الكمالات التي يتوجهون اليها في هذه الدار دار المحن والاحن فهي ديار السعادة ، ولكن ليتسنى بلوغها يفترض على كل عاقل ان يكون ذا عزم واقدام ،

واذ كان الامر كذلك فوا لهفي على الذين لا يزالون نائمين على سرر البطالة ، لا شك انه سيكون مستقرهم في صحراء الوحشة التي يكون كل نوع من محصولاتها سم محنة ومشقة ، وستكون نتيجة تاثيرات تلك السموم الهلاك والندم ، وما الذريعة الناجعة في تخليص المجتمع من

ذلك الهلاك والندم غير الغيرة والمعرفة

فاذا كنا عقلاء فعلينا ان نبرز منتهى الاقدام ، حتى لا نبقى متأخرين في هذا الطريق عن اي كان ، ولنسارع الى الامام قبل ان تفوتنا الفرص السوانح

صيدا محمد علي حامد مشيشو

الاسلام في افريقيا

صرح امبراطور المانيا الحالي في خطابه الأخير الذي احدث ضجة هائلة في العالم «انه من اللازم مقاومة الدين الاسلامي في المستعمرات الالمانية في افريقيا» وما كلمات الامبراطور هذه الا نتيجة مقررات رسمية صدق عليها من المؤتمر الالماني الاستعماري في تشرين الاول سنة ١٩١٠ وهذه خلاصته (بما ان امتداد الاسلام في افريقيا يضر بصالح الاستعمار الالماني فنحن نستلفت الانظار للتدقيق في هذا الامر المهم) ولم يكن هذا القرار الا لحث الالمانيين المسيحيين على ارسال المرسلين الالمانيين الى الامكنة التي ينتشر بها الاسلام

اما فرنسا فانها لا تساعد على انتشار الاسلام او عدم انتشاره فهي لا تعاكس المسلمين في الامور الدينية البحتة وانما تمنعهم من الامور السياسية والاجتماعية التي تصاغ بقالب ديني وتبذل جهدها في محاربة العادات الاسلامية التي لا تنطبق على عاداتها ويمجها ذوقها وبالحقيقة ان الافرنسيين لا يقاومون الديانة الاسلامية وانما تتجه افكارهم الى نقطة واحدة وهي ان الوثنيين القاطنين في افريقيا يستجلبهم المسلمون بسهولة دينهم واسباب ذلك سهولة تعاليم الدين الاسلامي وامكان فهمه ببساطة وموافقته لاذواقهم من بعض الوجوه ككونه لا جنسية فيه فالناس فيه شرع ويبيح التزوج بعدة نساء ويجيز العبودية اي اقتناء العبيد ! ! ! والايمان بالاشياء الغير منظورة كالجن وخلافه ومن جملة معتقداتهم (كذا) تعليق ذيل البقره في اعناقهم لانه يحفظهم من العدو بزعمهم ويعتقدون بالطلاسم وما شاكلها

فهل يجب علينا الحذر من انتشار الروح الاسلامية في افريقيا ؟ وهل يخشى من انتشارها تزعزع السلطة الافرنسية هناك ؟

نعم ان ذلك يضر في استعمارنا لان هناك امرا سياسيا وامرا دينيا فكل مكان اردنا وضع سلطتنا به قام علينا المسلمون باسم الدين الاسلامي هذا فيما غبر اما في وقتنا الحاضر فلم تكن مقاومة المسلمين لنا الا لاسباب اقتصادية والذين قاومونا بشدة هم المتنفذون الذين اردنا في احتلال بلادهم ان نمنع عنهم رزقهم ونقضي على نفوذهم قضاء مبرما وهؤلاء يتاجرون في خشب الآبنوس فبوجودنا بين ظهرانيهم نكون مزاحمين لهم وكلهم او جلهم من المسلمين

اما الذين نبسط عليهم نفوذنا فقد دخلوا بالاسلام من جديد فهم غير ميالين للحرب ويحفظون الجميل الذي اوليناهم اياه من تعميم الامن وغيره من الامور الحيوية وهؤلاء لا جامعة تجمعهم والذي يجلب الخوف والحذر من المسلمين هو الجامعة الاسلامية فاسلام افريقيا ليسوا من هذا القبيل اما الاسلام في بقية الاماكن فتجمعهم جامعة واحدة وهم يسيرون للحروب الدينية عند اللزوم باجمعهم وهؤلاء متفرقوا الرأي فلو اتى مثلا شيخ من السنغال الى مكان شيخ طريقة آخر لايكون له اعتبار او سلطة على اولئك بل ربما يحتقر لأن عقائدهم تختلف عن بعضهم البعض ولا يوجد جماعة اسلامية في افريقيا يخشى بأسها سوى طائفة الكوريد الموجودة على شطوط نهر السنغال لكنها ربما تفنى بفناء شيخها (احمد بابا) المسن جدا وهو رجل محب للسلام

فعلى فرنسا ابقاء هؤلاء الاسلام على حالهم ومنع كل فكر يرمي الى الجامعة الاسلامية والذين نخشى منهم هم الشيوخ الوافدين من مصر وطرابلس الغرب فانهم يهيجون المسلمين هناك وينفرونهم منا وياخذون منهم دراهم ايضا مع انهم فقراء وقد قررت الحكومة قرار امؤرخا في ١٤ ايلول سنة ١٩٠٧ مآله فرض القصاص الصارم على اولئك الذين ينفرون من الحكومة الافرنسية وقد قرر حاكم غينيا سنة ١٩١١ مصادرة اولئك الشيوخ لانهم يضرون بالصوالح السياسية الافرنسية ويعتبرون اولئك الغرباء نظير المتشردين فاذا كان لاصناعة لهم ولا مكان معين لهم اولا مرتزق يرتزقون منه يطبق عليهم نظام المتشردين ولا تعتبر مهنة لهم جمعهم المال من السكان او بيع الاحراز والطلاسم

فتبين مما تقدم ان الاسلامية في افريقيا ليست مضرة بصوالحنا ولا خطر علينا منها انما يلزم ان لانسعى بتقدمها بل فلنبقها كما هي

عند حلولنا في هذه المستعمرات الجأتنا الضرورة لاستخدام المسلمين في مصالحنا وتعيينهم موظفين ومساعدين لنا لانهم يعرفون اللغة المحلية وطبائع السكان وعاداتهم بخلاف الوثنيين فانهم اميون يجهلون اللغة وكانت كل معاملات الحكومة الرسمية في اللغة العربية فهذه المعاملة جلبت الوثنيين للدين الاسلامي لأنهم ظنوا باننا نحترمهم لكونهم مسلمين اما الآن فقد تبدلت الاحوال لأننا اصبحنا ننتخب مشايخ القرى من نفس السكان سواء كانوا مسلمين او وثنيين ومنعنا بحسب قانون ١٩١١ المحاكمات القضائية والمضابط الادارية بغير اللغة الافرنسية فبلغنا بهذه الواسطة ما نريده لان قصدنا منح الحرية لجميع الاديان لكن في الوقت نفسه ننظر الى المستقبل ونمنع كلما يخل بسياستنا وقد قال الحاكم العام لمستعمراتنا الافريقية عند افتتاح المجالس ما يلي : ليس من غرضنا الضغط على الديانة الاسلامية الحقة لاننا نجد في افريقيا الغربية من الجماعة الاسلامية قوما مستقيمين في معاملاتهم شجعانا في خدمتنا الجندية وانما نحن نقاوم المشعوذين الذين يستعملون الطلاسم وما شاكلها من الاعمال السحرية والخرافية

(جان دريفوس)

(العرفان) يرى القارىء من مطالعة هذه المقالة التي ترجمناها عن جريدة الطان الافرنسية منازع القوم وغاياتهم وهذا كلامهم وبه ما به من الضغط على الحريه الاسلامية مع اننا لم نر حكومة اسلامية ضغطت على رعاياها المسيحيين لدرجة منعتهم بها من اقامة شعائر دينهم والمحافظة على جامعتهم ولكن هذا حال الضعف امام القوة والمغلوب ازاء الغالب فهل للمسلمين ان يهبوا من رقدتهم ويحافظوا على كيان دينهم وامتهم ام قضي عليهم السبات الدائم الذي لا يقظة بعده! فاللهم اليك المشتكي وبك المستعان

ارى طوفان هذا الغرب يطغى واهل الشرق سادتهم نيام
فان لم يأتنا نوح بفلك على الاسلام والدنيا السلام

(شوقي)

معرض الشعر

حياة البخاري

تتمة

وقال الحافظ بن الاحزم لما قام مسلم بن الحجاج واحمد بن سلمة من مجلس محمد بن يحيى بسبب البخاري قال الذهلي لا يساكنني هذا الرجل في البلد فخشي البخاري وسافر وقال الامام ابن السيد البطليوسي الاندلسي في كتابه الانصاف في الباب الخامس في الخلاف العارض من جهة الرواية وللبخاري ابي عبد الله رحمه الله في هذا الباب وباب نقد الرجال — عناء مشكور . وسعي مبرور · وكذلك لمسلم وابن معين فانهم انتقدوا الحديث وحرروه ونبهوا على ضعفاء المحدثين والمتهمين بالكذب حتى ضج من ذلك من كان في عصرهم وكان ذلك احد الاسباب التي اوغرت صدور الفقهاء على البخاري فلم يزالوا يرصدون له المكاره حتى امكنتهم فيه فرصة بكلمة قالها فكفروه بها وامتحنوه وطردوه من موضع الى موضع وحتى حمل بعض الناس قَلَقُه من ذلك على ان قال

ولابن معين في الرجال مقالة ... سيسئل عنها والمليك شهيد
فان يك حقا قوله فهو غيبة ... وان يك زورا فالعقاب شديد

وما اخلق قائل هذا الشعر بان يكون دفع مغرما وأَسرَّ حسْواً في ارتغاء لان ابن معين فيما فعل اجدر بان يكون مأجورا من ان يكون مأزورا . وان لايكون في ذلك ملوما بل مشكورا اه

رجوعه الى بخارى . ونفي اميرها له . ووفاته

قال احمد بن منصور الشيرازي : لما رجع ابو عبد الله البخاري الى بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة اهل البلد حتى لم يبق مذكور . ونثر عليه الدراهم والدنانير فبقي مدةً ثم وقع بينه وبين الامير فامره بالخروج من

بخارى[1] فخرج الى بيكند

وقال الحاكم عن ابي بكر بن ابي عمرو قال : كان سبب مفارقة ابي عبد الله البخاري البلد — يعني بخارى — ان خالد بن احمد — الذهلي والي بخارى — خليفة ابن طاهر سأله ان يحضر منزله فيقرأ التاريخ والجامع على اولاده فامتنع من ذلك وقال : لا يسعني ان اخص بالسماع قوما دون آخرين : فاستعان خالد بحريث بن ابي الورقاء وغيره من اهل بخارى حتى تكلموا في مذهبه فنفاه عن البلد : وقد انتقم الحق سبحانه من الامير وكل من قصده بسوء فصار عاقبة الامير الى الذل والحبس بعد ان نودي عليه وهو على اتان واشخص على اكاف وكذلك البقية . وروى غنجار ان خالداً الذهلي والي بخارى بعث الى محمد بن اسماعيل أن احمل اليّ كتاب الجامع والتاريخ لاسمع منك فقال لرسوله : قل له اني لا اذل العلم ولا احمله الى ابواب السلاطين فان كانت له حاجة الى شيء منه فليحضرني في مسجدي او في داري فان لم يعجبك هذا فانت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة اني لا اكتم العلم فكان سبب الوحشة بينهما .

وقال محمد بن ابي حاتم الوراق : سمعت غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك[2] يقول انه اقام اياما فمرض حتى وجه اليه رسول من اهل سمرقند يلتمسون منه الخروج اليهم فاجاب وتهيأ الركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة او نحوها الى الدابة ليركبها وانا آخذ بعضده قال ارسلوني فقد ضعفت فارسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى ثم شال منه عرق كثير وكان قال كفنوني في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة : قال ففعلنا ولما ادرجناه في اكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت اياما وجعل الناس يختلفون الى قبره اياما يأخذون من ترابه الى ان جعلنا خشبا مشبكا وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة (٢٥٦) ست وخمسين ومائتين . وكانت مدة

---

(١) السعي باخراج الدعاة الى الحق كانه مما توارثه المفسدون عن آبائهم « اتواصوا به بل هم قوم طاغون » انظر الى آية « اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون »

(٢) حدثني احد صلحاء بخارى وكان رفيقي في البابور في رحلتي الى المدينة المنورة عام (١٣٢٨) ان البلدة التي دفن بها الامام البخاري المسماة بخرتنك (بفتح الخاء وسكون الراء وفتح التاء وسكون النون بعدها كاف) تسمى الآن خاجا آباد (قال) وهي من سمرقند على ثلاث ساعات بسير الخيل اه جمال الدين القاسمي

عمره (٦٢) اثنتين وستين سنة الا ثلاثة عشر يوما تغمده الله برحمته

ثناء الائمة على البخاري

قدمنا قول النسائي : مافي هذه الكتب كلها اجود من كتاب محمد بن اسمعيل

وقال الاسماعيلي : نظرت في كتاب الجامع الذي الفه ابو عبد الله البخاري فرأيته جامعا كما سمي لكتب من السنن الصحيحة ودالا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطه التي لا يكمل لمثلها الا من جمع الى معرفة الحديث ونقلته والعلم بالروايات وعللها علما بالفقه واللغة وتمكناً منها كلها وتبحرا فيها (قال) وكان رحمه الله الرجل الذي قصر زمانه على ذلك حسن النية والقصد للخير فنفعه الله ونفع به

وقال الحاكم ابو احمد النيسابوري : رحم الله محمد بن اسمعيل فانه الف الاصول — يعني اصول الاحكام — من الاحاديث وبين للناس وكل من عمل بعده فانما اخذه من كتابه وبلغ علي بن المديني ان البخاري يقول : ما استصغرت نفسي عند احد الا عند علي بن المديني فقال — ابن المديني — : دعوا قوله فانه مارأى مثل نفسه

وقال قتيبة بن سعيد جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسمعيل وهو فى زمانه كعمر في الصحابة :

وسئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن اسمعيل فقال قتيبة للسائل هذا احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعلي بن المديني قد ساقهم الله اليك : واشار الى البخاري وقال احمد بن حنبل : ما اخرجت خراسان مثل محمد بن اسمعيل وقال يعقوب بن ابراهيم الدورقي ونعيم بن حماد الخزاعي : محمد بن اسمعيل فقيه هذه الامة .

وقال مبذار محمد بن بشار : هو افقه خلق الله في زماننا : وقال لما قدم البصرة قدم اليوم سيد الفقهاء :

وقال رجاء بن رجاء الحافظ : فضل محمد بن اسمعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء وقال يحيى بن جعفر البيكندي : لو قدرت ان ازيد من عمري في عمر محمد بن اسمعيل لفعلت فان موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن اسمعيل فيه ذهاب العلم :

وقال عبدالله بن محمد المسندي : محمد بن اسمعيل امام فمن لم يجعله اماماً فاتهمه وسئل الدارمي عن حديث وقيل له ان البخاري صححه فقال : محمد بن اسمعيل

ابصر مني وهو اكيس خلق الله ، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه من كتـابه وعلى لسان نبيه ، اذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وسمعه وبصره وسمعه وتفكر في امثاله وعرف حلاله من حرامه :

واستقراء الثناء عليه من اشياخه واقرانه واتباعه يطول وقد استوفى غرراً من ذلك الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح فليرجع اليها المستزيد

عدد مصنفاته

(الجامع الصحيح) وهو الذي اشتهر فى الآفاق ، وتطالت الى الاتصال بجامعه من الاعلام الاعنـاق ، صنفه فى ستـة عشر سنة وانتخبه من ستمائة الف حديث كما آثرناه قبل

(قضايا الصحابة والتابعين) صنفه لما طعن في ثماني عشرة

(التاريخ الكبير)

(التاريخ الاوسط)

(الادب المفرد)

(القراءة خلف الامام)

(بر الوالدين)

(خلق افعال العباد)

(كتاب الضعفاء)

(الجامع الكبير)

المسند الكبير)

(التفسير الكبير)

(كتاب الاشربة)

(كتاب الهبة)

(اسامي الصحابة)

(كتاب الوحدان) وهو من ليس له الآ حديث واحد من الصحابة

(كتاب المبسوط)

(كتاب العلل)

(كتاب الكنى)

التغالي في رفع الاسانيد الى جامعه

ولعت انفس الفضلاء بالاتصال بجامعه وعنيت في اثباتهـا بتنوع الاسانيد اليه والتفنن في تسلسلهـا وغلت في محبة القرب منه والاغراب في الظفر بالمعمرين لتقل الوسائط اليه وزاد بعضهم في الاغراب فزعم الاستجازة من الجن وآخر تباهى بأجازة منامية طوت له المسافة طياً كبيرا كما يراه متتبع الاثبات المتاخرة ، وقد تكلمت على مثل هذا التغالي في كتاب (الطالع السعيد في مهات الاسانيد) والذي اراه انه لم يوت هؤلاء المتواعون بذلك الا بما احاط بازمنتهم المتأخرة من ضعف العلم وموت التحقيق وذهاب رجال النظر والاستدلال اللهم الا بقايا غمرهم ذلك المحيط فلم يكن لهم صوت الا داخل بيوتهم اومدارسهم او في مؤلفاتهم ، والا فمتى عهد من أئمة الحديث وابطال الرواية من السلف ان يعولوا في الرواية على منام اوتخيل جني؟ هل سمع ذلك من امثال البخاري ومسلم بل ممن هو دونهمـا بمراحل ممن جمع الاجزاء والمعاجم كلا فأنا لله وانا اليه راجعون وبالجملة فحلية السند معرفة رجاله وطبقاتهم وشهرتهم وكابدئ هذا الامر بانتقاء الرجال وتخيرهم فكذا يكون فيمن يوصلنا بهم ولا ارى التساهـل في ذلك وان ولع به من ولع من المتناظرين لما اوضحنا فلـذا اسوق ما اراه اجود سند دمشقي لي الى الامام البخاري لشهرة رجاله وحفظ تراجمهم وفيه عدا عن ذلك تتويجه بالآباء والاجداد الـذين انعم الله عليهم ورفع درجتهم بالعلم — وتسلسله بالدمشقيين من اوله الى اواخره ومثل هذا معدود من لطائف الاسناد عند المحدثين فاقول : اروي هذا الصحيح سماعا لبعضه واجازة لباقيه عن مولاي الامام الوالـد الاستاذ الشيخ محمد سعيد رحمه الله ورضي عنه «امام جامـع سنان باشا في دمشق ومدرسه » عن ٢ والده جدي العلامة الشيخ قاسم بن صالح بن اسمعيل الشهير بالحلاق «امام جامع سنان باشا في دمشق ومدرسه ايضا» عن ٣ العلامة الاوحد الشيخ السيد صالح الدسوقي الحسيني « امام جامع سنان باشا ومدرسه ايضـا » وهو خال جدتي لوالدي عن ٤ ابيه العالم النحرير السيد محمد بن السيد محمد الدسوقي الحسيني (امام جامع حسان في دمشق ومدرسه ايضا) وهو جد جدتي لأبي عن ٥ الشيخ علي السليمي الدمشقي الصالحي عن ٦ العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي عن ٧ نجم الدين محمد الغزي الدمشقي عن ٨ والده بدر الدين محمد الغزي الدمشقي عن ٩ تقي الدين ابي بكر بن قاضي عجلون الدمشقي عن ١٠ خاتمة حفاظ الديار الشامية شمس

الدين محمد بن ابي بكر الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي عن ١١ علاء الدين علي بن ابي المجد بن الصائغ الدمشقي عن ١٢ ابي العباس احمد بن ابي طالب الحجار الدمشقي الصالحي قال حدثنا ١٣ الحسين بن المبارك الزبيدي بصالحية دمشق قال حدثنا ١٤ عبد الأول بن عيسى السجزي الهروي قال حدثنا ١٥ عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي قال حدثنا ١٦ عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي قال حدثنا ١٧ محمد بن يوسف الفربري قال حدثنا ١٨ مؤلفه محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله

وقد آثرت طول السند لما ذكرت والا فقد استخرجت سندا قريبا الى البخاري من طبقات رجال اسناده لا اعلم اقرب منه على التحقيق فيه طي واسطة من الاسناد المشتهر الآن بانه اقرب سند الى البخاري وقد ذكرته مع تنوع اسانيدي في الطالع السعيد الذي نوهت به ، ومع مجاراتنا لما الف من مثل هذا فان اغتباطنا بفقه الدراية لا بالقرب ولا بسرد الدراية فلله الحمد في الأولى والآخرة

(ما نظم في مدح البخاري وكتابه الجامع الصحيح)

من ذلك ما قاله الامام الشهير ابو حيان الأندلسي[١]

اسامع اخبار الرسول لك البشرى	لقد سدت في الدنيا وقد فزت في الاخرى
تشنف آذانا بعقد جواهر	تود الغواني لو تقلده النحرا
جواهر كم حلت نفوسا نفيسة	فحلت بها صدرا وجلت بها قدرا
هل الدين الا ما روته اكابر	لنا نقلوا الأخبار عن طيب خبرا
وادوا احاديث الرسول مصونة	عن الزيف والتصحيف فاستوجبوا الشكرا
وان «البخاري» الامام لجامع	«بجامعه» منها اليواقيت والدرا
على مفرق الاسلام تاج مرصع	اضاء به شمسا ونار به بدرا
وبحر علوم يلفظ الدر لا الحصى	فانفس به درا واعظم به بحرا
تصانيفه نور ونور لناظر	فقد اشرقت زهرا وقد اينعت زهرا
نحى سنة المختار ينظم شتها	يلخصها جمعا وجاب لها تبرا
وكم بذل النفس المصونة جاهدا	فجاز لها بحرا وجاب لها برا

(١) اوردها المقري في نفح الطيب في ترجمة الى ابي حيان

فطورا عراقيا وطورا يمانيا وطوراً حجازيا وطورا الى مصرا
الى ان حوى منها الصحيح صحيحه فوافى كتاباقد غدا الآية الكبرى
كتاب له من شرع احمد شرعة مطهرة تعلو السماكين والنسرا

ومن ذلك قول بعض الفضلاء(١)

اعيا فحول العلم حل رموز ما ابداه في الابواب من اسرار
فازوا من الاوراق منه بما جنوا منها ولم يصلوا الى الاثمار
ما زال بكرا لم يفض ختامه وعراه ما حلت عن الازرار
حجبت معانيه التي اوراقها ضربت على الابواب كالاستار
من كل باب حين يفتح بعضه ينهار منه العلم كالانهار
لاغرو ان امسى البخاري للورى مثل البحار لمنشأ الامطار
خضعت له الاقران فيه اذا بدى خروا على الاذقان والاكوار

هذا ما يسر الله سبحانه من فضله جمعه من ترجمة البخاري ، وقد اعددته درسا يقرأ يوم ختام جامعة الصحيح ، ليقف متحمله على فضله الرجيح ، اغدق الله على جدثه سحائب الرحمة والرضوان ، وغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمؤمنين انه ولي الفضل والاحسان

دمشق جمال الدين القاسمي



العلم

هذب النفس بالعلوم لترقى وترى الكل فهي للكل بيت
انما النفس كالزجاجة والـ علم سراج وحكمة الله زيت
فاذا اشرقت فانك حي واذا اظلمت فانك ميت

الفارابي



(١) اوردها القسطلاني في مقدمة شرحه

وليم ستيد

صاحب مجلة المجلات الانكليزية

ينبغ في هذا العالم نوابغ كثيرون غير ان الذين ينفعون الانسانية جماء باقوالهم واعمالهم قليلون لان ذلك يحتاج الى شجاعة ادبية وقلب متين لايحلع من الحوادث ولايتهيب النوائب والكوارث

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وانف ابي
واباء محلق بي عن الضيـ م كما راغ طائر وحشي

وهل يتسنى للمرء خدمة امته خاصة والانسانية عامة بدون ان ياتي على العادات المضرة والامور المستهجنة فيسعى في محقها ويجتهد في سحقها لتكون بعيدة عن الترهات وفي معزل عن الخرافات ومن اولئك النفر القليل المستر وليم ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية الذي ناتي على اجمال سيرته نقلا عن المجلات الراقية

نشأته ومجمل سيرته

ولد المستر ستيد في سنة ١٨٤٩ م في بلدة قرب نيوكاسل من بلاد لانكليز وكان ابوه قس تلك البلدة فتربى تربية دينية ولذلك بقي متدينا الى آخر حياته وقد تلقى هناك الدروس الابتدائية واخذ عن ابيه شيئاً كثيرا ولما بلغ الرابعة عشر من عمره وضع في محل تجاري بمدينة نيوكاسل ثم تمرن ومهر حتى عين كاتبا براتب معين وكان لذلك المحل معاملة تجارية مع روسيا فتولد في نفسه حب الروس ومن لطائف ما يروى عنه انه كان طماحا للمعالي من صغره مولعا بانتقاد احوال السياسة والاجتماع وكان يباحث في ذلك مناظريه ويجادلهم حتى ملّ منه ابوه فقال له (ارى الافضل يا وليم ان تترك هذا العالم احيانا الى خالقه فيدبره كما يشاء)

وكان وهو كاتب تجاري يرى من نفسه ميلا للصحافة فكان ينتهز ساعات الفراغ ويراسل جريدة (نور ثرن ايكو) في دارنتن فاعجب صاحبها به واتفق فراغ مكان رئيس التحرير فعينه مكانه وقد احس اولا بحراجة الموقف ثم اعتاد ورآه سهلا ثم هاجر الى لندن واجتمع مع كبار الرجال واشتهر اسمه في الصحافة ولما تولى المستر مورلي رئاسة تحرير البال مال غازت سنة ١٨٨٠ اختار ستيد مساعدا له ولما استقال مورلي سنة ١٨٨٣ عين ستيد مكانه وقضى ست سنوات لايهدأ عن السعي والتحرير فرفع قدر الجريدة وفي الاجمال فانه قد هذب الصحافة تهذيبا بينا ولما

عرضت مسألة الرقيق الابيض اهتم بها ستيد غاية الاهتمام ولما جمع المواد اللازمة لها نشر كل ما يعلمه عنها فهاج الشعب ضده وماج لانه اظهر فضائح كثيرة ومن جملتها فتاة قال ان ابويها باعاها فاعترضه محرر جريدة (دلويدس نيوز) واثبت ان الذي اقتنى تلك الفتاة وكيل ستيد نفسه فسيق الى المحاكمة وخدعه وكلاؤه فحكم عليه بالحبس ثلاثة شهور وجعل يوم دخوله للسجن عيدا يحتفل به هو واصدقاؤه ومريدوه اجلالا لعمله وما قاساه في سبيل نصرة الحق وكانت عاقبة الامر نجاحه وحمل الحكومة على تنقيح قوانين الرقيق الابيض

وكان السجن سببا في زيادة اصدقائه واعدائه فارتفع امره وعلا ذكره وقد حاول انشاء جريدة يومية فلم يفلح فانشأ (مجلة المجلات الانكليزية) سنة ١٨٨٩ وهي اعرف من ان تعرف ولم تضارعها جريدة في العالم وقد زار قيصر روسيا اسكندر الثالث ثم نقولا الثاني القيصر الحالي سنة ١٨٩٨ لمذاكرته في مسألة السلام لانه كان يكره الحرب اشد الكراهة ويحمل الحملات المنكرة على مضرمي نارها وله في انعقاد موءتمر لاهاي همة تذكر فتشكر

وكان نشيطا هماما لا يجتهد في الكتابة بالموضوع الذي يريده فقط بل يجتهد باتمامه ولا يرى شيئاً مستحيلا ومن طبعه نصرة المظلوم وتانيب الظالم وكان متفانيا في نصرة امته واعلاء شانها وهو السبب في تقربها من روسيا وازالة ما بينهما من الشحناء

وكان يعتقد بمخاطبة الارواح وله في ذلك المقالات الحافلة وقد فجع ببكره من عهد قريب فكان يعتقد بانه لم يزل قريبا منه يخاطبه من عالم الارواح وكان رشيق العبارة تتخلل كتاباته لطائف ونكات ويجاهر بما يعتقده حقا غير هياب ولا وجل وينتقد ما يراه مضرا امرءٍ نقد

ولما مضى على انشاء مجلته ٢١ سنة كتبت اليه الملكة الكسندرا وكثير من الامراء والعلماء والعظماء يهنئونه ببلوغها ذاك العمر ويذكرون فضلها عليهم

ولما نشبت الحرب بين الدولة العلية وايطاليا حمل على ايطاليا حملة عنيفة واجتهد ان يصرف الامر في موءتمر التحكيم حتى انه جاء الى الاستانة لهذا الغرض فلم يفلح

فلا غرو اذا اسف لفقد هذا الرجل العظيم الشرق والغرب لما له من الخدمات الجلى لنوع الانسان واحرِ بكل صحافي ان يتخذ خطته منهجا لاحبا يسير عليه ودستورا لعمله يلجأ منه اليه

حديث عن القوارير (*)

ليلى الاخيلية ومعاوية

روي عن عمرو بن العلاء انه قال : سأل معاويه بن ابي سفيان ليلى الاخيلية عن توبة بن الحمير فقال : ويحك ياليلى اكما يقول الناس كان توبة ؟

قالت : يا امير المؤمنين ، ليس كل ما يقول الناس حقا ، والناس شجرة بغي يحسدون اهل النعم حيث كانت ، وعلى من كانت.ولقد كان يا امير المؤمنين سبط البنان (١) حديد اللسان ، شجا(٢) للاقران ، كريم المختبر(٣) ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، وهو يا امير المؤمنين كما قلت له

قال : وما قلت له ؟

قالت : قلت ولم اتعد الحق وعلمي فيه

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره ألد ملد(٤) يغلب الحق باطله
اذا حل ركب في ذراه وظله ليمنعهم مما تخاف نوازله
حماهم بنصل السيف(٥) من كل فادح يخافونه حتى تموت خصائله

فقال لها معاوية : ويحك يزعم الناس انه كان عاهرا خاربا

فقالت : من ساعتها

معاذ الهي كان والله سيدا جوادا على العلات(٦) جما نوافله(٧)
اعز خفاجيا يرى البخل سبة تحلب كفاه الندى (٨) وانامله
عفيفا بعيد الهم صلبا قناته(٩) جميلا محياه قليلا غوائله
وقد علم الجوع الذي بات ساريا على الضيف والجيران انك قاتله
وانك رحب الباع (١٠) ياتوب بالقرى اذا ما اتيم القوم ضاقت منازله

(*) عن آثار ذوات السوار

(١) طويل الاصابع (٢) الشجا هو ما يعرض في الحلق من عظم وغيره والمعنى انه قاهر لاقرانه ومماثليه (٣) تريد اذا اختبرته رايته كريما (٤) الالد شديد الخصومة والملد الناعم اللين من الناس (٥) نصل السيف حده (٦) على اي حال (٧) كثيرة عطاياه (٨) الكرم (٩) الرمح (١٠) طويل الذراع كناية عن الكرم

يبيت قرير العين من بات جاره ويضحى بخير ضيفه ومنـازله

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى لقد جزت بتوبة قدره

فقـالت : والله يا امير المؤمنين لو رايته وخبرته لعرفت اني مقصرة في نعته(١) واني لا ابلغ كنه ما هو اهله .

فقال لها معاوية : من اي الرجال كان ؟ قالت :

اتته المنـايا حين تم تمامه واقصر عنه كل قرن يصاوله

وكان كليث الغاب يحمي عرينه وترضى به اشباله(٢) وحلائله(٣)

غضوب حليم حين يطلب حلمه وسم زعاف(٤) لا تصاب مقاتله

قال : فامر لها بجائزة عظيمة وقال لها : خبريني باجود ماقلت فيه من الشعر

قالت : يا امير المؤمنين ! ما قلت فيه شيئا الا والذي فيـه من خصال الخير اكثر منه . ولقد اجدت حين قلت :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه فتى من عقيل ساد غير مكلف

فتى كانت الدنيا تهول باسرها عليـه ولا ينفك جم التصرف

ينـال عليات الامور بهونة اذا هي اعيت كل خرق(٥) مشرف

هو الندب بل اسد الخلايا شبيهة بدرياقه من خمر بيسان قرقف

فياتوب ما في العيش خير ولا ندى يعد وقد امسيت في ترب نفنف(٦)

وما نلت منك النصف حتى ارتمت بك الـ منايا بسهم صائب الوقع اعجف(٧)

فيا الف الف كنت حيا مسلما لالقاك مثل القسور(٨) المتطرف

كما كنت اذ كنت المنجي من الردى اذا الخيل جالت بالقنا المتقصف(٩)

وكم من لهيف محجر قد اجبته بابيض قطاع الضريبة مرهف(١٠)

فانقذته والموت يحرق نابه عليـه ولم يطعن ولم يتنسف

الاغاني

(١) وصفه (٢ و ٣) الشبل ولد الاسد والحلائل النساء

(٤) السم الذي يقتل سريعا

(٥) هو الذي لا يحسن العمل والتصرف في الامور

(٦) النفنف صقع الجبل الذي كانه جدار مستو

(٧) الرقيق (٨) الاسد

(٩) القنا الرماح المجتمعة (١٠) دقيق الحد

العلوي وامرأة حسناء

حكى بعض الادباء قال :

ان العلوي حاصر مدينة دمشق واشرف على تملكها وكان فيها امراة مشهورة بالحسن فقالت لاهل المدينة : انا اكفيكموه

فخرجت وطلبت الوصول اليه فلما حضرت بين يديه قالت : الست القائل ؟

نحن قوم تذيبنا الاعين النجـ ـل على اننا نذيب الحديدا
طوع ايدي الغرام تقتادنا الغيـ ـد ونقتاد في الطعان الاسودا
فترانا يوم الكريهة احرا را وفي السلم للحسان عبيدا

قال : بلى

فالقت البرقع عن وجهها وقالت له :

احسنا ترى ام قبيحا ؟

قال : بل حسنا

قالت : ان كنت عبدا للحسان ، فاسمع واطع وارتحل عنا

قال : فنادى في جيشه بالرحيل ، فقال نقباء عسكره البلد بايدينا وقد اشرفنا على فتحه

فقال : لا سبيل الى الاقامة عليه ساعة واحدة وخطب المرأة وتزوجها

جاريتان وهارون الرشيد

كان هرون الرشيد جالسا بين جاريتين من جواريه ، فقال لهما : من يساهرني هذه الليلة

قالت احداهما : انا

فقالت الاخرى : لا ، بل انا

فقال للاولى : ما حجتك فيما ادعيت ؟

قالت قول الله تعالى « والسابقون السابقون اولئك المقربون »

ثم قال للثانية وما حجتك انت ؟

قالت قول الله عزوجل « وللآخرة خير لك من الاولى »

فقال : لتقل كل واحدة منكما شعرا في الغزل ، فمن كانت ارق شعرا سهرت عندي فقالت الاولى :

انا التي امشي كما يمشي الوجي(١) يكاد ان يصرعني تفحجي(٢)

من جنة الفردوس كان مخرجي

وقالت الاخرى :

انا التي لم ير مثلي بشر كلامي اللوءلوء حين ينثر

اسحر من شئت ولست اسحر ان سمع الناس كلامي كفروا(٣)

فقال لهما ! قد احسنتما وما لواحدة فضيلة على صاحبتها وسمرا عنده

(العقد الفريد)

تنبيه — ما قبل هذه عن (حديقة الافراح)

الصنايع والفنون

التجارة القانونية

اسواق تجارة العالم تتبادل المحصولات من الاقطار الخمسة . كيف يتاتى ذلك ؟ سوف يعلم القراء من هذه المقالة

التجارة مبادلة

التجارة فن يبحث به عن ممارسة الاشياء والمشتري والبائع في المتاجرة شرع ولم يكن اساس التمدن الحديث الا على التجارة والانسان مدني بالطبع بمعنى انه لا يتمكن من القيام باود نفسه مستقلا عن ابناء جنسه

فهذا القطن الذي يصنع قمصانا اكثر وروده من لوزيانيا في اميركا وينسج في روان وليل من اعمال فرنسا وهذه المصنوعات الصوفية يؤتى بصوفها من الجمهورية الفضية وتنسج في رامس والباف في فرنسا ويؤتى في البن من البرازيل والشوكولاتا من نيكاراكا في اميركا والشاي من سيلان وقس على ذلك فالتجار تحضر الاصناف من اقطار الارض وتقدمها للمعامل وهذه تصنعها وتقدمها مصنوعة فالبيض مثلا لا ياتي به الفلاح

(١) من لا نفع عنده ولا خير (٢) تكبري في مشي (٢) لما ذا يا ترى ؟

الى باريس ولا التاجر يذهب الى القرى ويبتاعه وانما هي التجارة التي تسهل للبائع والمشتري السبل

اذا ذكرت التجارة الدولية يقولون فرنسا وانكلترا وباجيكا يصدرون كذا ويرد منهم كذا والحال ليست الحكومات التي تشتغل بالتجارة وانما يشتغل بالتجارة الافراد

غرف التجارة

ان غرف التجارة التي ابتدأت من القرن الثامن عشر ليست هي الا واسطة لتسهيل سبل التجارة والصناعة وامر اعضاء غرف التجارة وانتخابهم موكول للذين يدفعون الرسومات والغرفة التجارية تحكم في الامور التجارية والصناعية وتدير دولاب كل ما يختص بالتجارة والصناعة كالمدارس التجارية ونوادي التجارة (بورصة) والموانئ والحرائر وغير ذلك

اصطلاحات تجاريه

نوادي التجارة *Bourses de commerce* — ان هذه الاندية توجد في المدن الكبيرة ويعين فتحها في ايام معينة وصعود اسعار البورصه وهبوطها مرتبط بالحصولات التي من اهمها الحنطة والطحين والحبوب على انواعها والمشروبات والزيوت والفحم الخ

البيع في البورصات على قسمين نقدا ووعدة فبيع التقديحصل مع التسلم والتسليم بالمال وبيع الوعدة واهمية البيع هناك في الوعدة لأوقات معينةويحصل البيع والشراء على حسب الاسعار الحاضرة ويحصل التسليم اما في الشهر الحالي مثلا اوفيمابعدوالبائع حر يقدر ان يسلم في الوقت الذي يوافقه ويجبر المشتري على الاستلام

البيع القطعي والبيع الموقوف

يثبت البيع بنوع قطعي عندما يحصل انعقاد بين البائع والمشتري لا يرداماالنوع الثاني فهو حفظ البائع والمشتري لنفسه حق الفسخ

البيوع الموقتة

تباع الاشيا بحسب الاصطلاح فمنها بالكيس ومنها بالكيلو الخ كالسكر والطحين وغيرهما ويحصل البيع قبل حصاد الاغلال ونتاجها فيكون ذلك بالفكر وتدفع سالفية

مقدرة الحيوانات

توجهت عناية العلماء في الازمنة الاخيرة لدرس مقدرة الحيوانات العقلية واختبار مقدرتها على تشخيص الاشياء في المخيلة واستخراج بعض استنتاجات من ذلك وقد بني موخرا في باريس لهذه الغايه بناية عظيمة محاطة ببستان مترامي الاطراف وعهد بادارته لمجمع من العلماء المحققين وقد خصصت بعض بناياته للحيوانات البريه والبحرية ويوجد محل لتشريحها وفيه غدير ماء محاط باشجار كثيفة وهذا مما يجعل الحشرات والاسماك والسراطين والطيور تأنس بهذا المحل لانها تجد فيه جميع ما اعتادته من مطالب الحياة

وحينما يريدون اختبار معيشة الحيوانات لا يكدرون عليها خلواتها بل يجتهدون ان يلاحظوها عن بعد مثلا عند ما يريدون درس معيشة الاسماك لايخرجونها من الغدير بل يلبس علماء هذا العهد ثياباً معدة لهذا وينزلون الى بركة وهناك يجرون امتحاناتهم العلمية وقد استطاعوا اخيرا ان يقرروا ما تمتاز به الحواس الخمس الخارجية في الحيوانات عنها عندنا فوجدوا ان شدة النظر عند بعض الحيوانات تفوقها عندنا فالخطاف يميز الحشرة عنا على بعد اربعمائة متر والباشق يميز الجيفة عن بعد خمسة كيلومترات والحمام حينما يكون على علو ثمانمائة متر يرى مائة متر الى الامام ولا تميز جميع الحيوانات الالوان بدقة واحدة فالاسماك والافاعي لا تميز سوى اللون الاخضر والقرفي والاحمر اما الحيوانات اللبونة فتستطيع ان تميز جميع الالوان التي توءلف انوار الشمس وهي الاحمر والبرتقالي والاصفر والاخضر والسماوي والازرق والبنفسجي · وقد اجروا هذا الامتحان على الهرة فقدموا ماء لها لتشرب في قدح احمر عدة ايام · ثم وضعو امامها اقداحا ملونة باللون الزنبقي والسماوي والاخضر والقرفي والبرتقالي ووضعوا على كل منها غطاء كي لا يظهر ما فيها فاتجهت الى القدح الاحمر لانها ميزته عن غيره من الاقداح وبعضها يمتاز بنحو حاسة اللمس عنده مثل الخفاش فهو يطير ليلا ولا يصدم شيئا اثناء الطيران ولما لاحظوا ذلك علموا ان هذا الطائر يستطيع ان يعرف ما في طريقه من ضغط الهواء الذي يشعر به بواسطة اجنحته الرقيقة · ويوجد عند الضفادع وغيرها من الحيوانات المائية خاصية لا توجد عند الانسان اي انها تستطيع ان تعرف في اي جهة يوجد ماء لانها تشعر في اي جهة يهب الماء الممتلىء بخارا فتتجه الى تلك الجهة · ومن هذا

القبيل ما اجروه بسلحفاة كبيرة العمر عمياء وضعوها على قطعة زجاجية ووضعوا بقربها اناء فيه ماء ثم اداروا الزجاجة على محور فاستقرت السلحفاة اثناء الدوران في موضعها ولما بطلت الحركة قفزت الى الماء وهكذا فعلت فارة الماء .

هل تستطيع الحيوانات ان تذكر من «انا» اي تميز شخصها عن غيرها ؟ ولهذا ينبغي ان يوضع الحيوان امام مرآة فرأوا ان قليلا من الحيوانات تعرف نفسها في المرآة ويوجد هناك عدة ببغات وغراب امتازت بمعرفة خيالها في المرآة فاذا رأت على ذيلها او احد اجنحتها شيئا قذرا تجتهد ان تزيله وكثير من القوارض كالسنجاب وغيره تسر بطون ذنبها حينما تنظر في المرآة واقدر الحيوانات في استعمال المرآة القردة فانها تجلس امامها وتجتهد ان ترى بعض اجزاء جسمها التي لا تستطيع ان تراها كالكرسوع (الكوع)

وقد لاحظوا ان اكثر الحيوانات تحفظ التاثيرات المتتالية وتستنتج منها استنتاجات وخصوصاً اذا كانت تتعلق بالاكل وقد علموا الاسماك والضفادع والسلاحف والطيور والحيوانات اللبونة ان تفتح ابواب المطاعم وكثير من الاسماك اعتادت ان تفتح الابواب المقامة في الغدير وذاك بان تدفعها ولكنها لم تستطع ان تفتحها بواسطة مقبض او شيء آخر اما الطيور فتفعل هذا وقد علموا احدى الطيور ان تفتح باب مطعمها بحبل

وكذلك تقدر الحيوانات على تميز الوقت وعلموا هذا من طائر يدعى كركي كان في وقت معلوم يوقظ رفيقاً له ناقدا اياه برقبته وقد وجدوا عند بعض الحيوانات مقدرة عظيمة على الانتفاع بالاشياء والدليل على ذلك هذا الحادث : يوجد في هذا المعهد قرد كلما يأكل جوزا يصاب بوجع في اسنانه لان قطع الجوز تدخل بينها فتسبب له الماً عظيما فيجتهد ان يزيل هذه القطع باصابعه ولكن عبثا فوضعوا مرة في غرفته مسناً وقطعة شريط معدنية وحددوا رأسها امام القرد على المسن ولما اكل الجوز تألم كثيرا فاخذ القطعة المعدنية وجعل يدخلها بين اسنانه الا انه لم ينل شيئا فاخذ الشريطة وحددها على المسن فصلحت للعمل وصار يستعملها دائماً بعدما يأكل جوزا

اما ابحاث هذا المجمع من حيث العقل فوجدوا ان القرد اكثر الحيوانات عقلا ثم بعض انواع الكلاب فالفيل الهندي فالدب فالاسد فالنمر فالهر فكلب الماء فالقندس ثم الارنب البري فالببغاء والفرس والحمار والجمل فالشاة

(عن الروسية) عبده ابو جمره

الاسفنج

كتب الكثيرون عن الأسفنج ولم يشبع المقال بشانه احد ونحن نذكر هنا نبذة عنه بوجه الاختصار

الاسفنج له علاقة بالحيوان والنبات فهو حيواني نباتي يعيش في الماء واذا خرج الى الشاطيء اصبح لونه اسودا اما الذي يتاجر به ويباع ويستعمل فليس هو الا الهيكل الداخلي وهو الذي يمنح الحيوان الداخلي قوة وحياة فمن اين يتغذى هذا الحيوان ذاك شيء لا نعلمه وانما نعلم بأن له مجاري يمر منها الطعام ومتوسط قياسه في السنة الرابعة ١٨ سنتيمترا (اي نحو ربع ذراع وكسور) واشهر محلات صيده سواحل سوريا والبحر الأدرياتيك وشطوط تونس ومنذ عدة سنوات بدأ يستجاب من اميركا خصوصا ساحل فاوريدا وياتي منه من كوبا ومن جزر بها وكيفية الغطس عليه ان يغطس الغطاس في مياه عمقها من ١٠ الى ١٥ مترا ويقلع ذلك الحيوان من الصخور المعلق بها ويستخدمون جرسا ليسحب الغطاس وقت الضرورة ويجب على الغطاس ان يصبح بحالة ميت اذا رأى الحيتان عازمة على افتراسه لانها لا تقترب من الجثث

الدكتور مور اشتغل في الاستحصال على اسفنج بدون عروق ورأى ان هذه اكثر قامة ومتانة من ذات الشروش وطريقته قص الحيوان قطعا كل قطعة تكون بحجم خمسة سنتيمترات مربعة وتعلق باوتار مغنطيسية بماء البحر فتنمو نموا عجيبا حتى انها بمدة ١٨ شهرا تزيد عن وزنها الاصلي ٢٥ ضعفا

السمك الاحمر

لم يكن معروفا قبلا الا نوع من السمك النهري الاحمر الذي كان يوضع للزينة والتسلية في اواني قزازية ولم يعد الآن يعتنى في امره نظرا لوجود اسماك ذات الوان مختلفة وانما يهتمون في الاسماك الغريبة التي يعتني الصينيون واليابانيون في تولدها بشكل غريب ولم يهتم الآن اهتماما خاصا في السمك الاحمر الا في سيسيليا حيث يصنعون بحيرات كل بحيرة ماية متر مربع ويفصلون بينها بحاجز غير انها تبقى متصلة ببعضها البعض وهي قليلة العمق وفيها يقسى جلد السمك ويصبح قابلا للتلوين ويجددون ماءها دائما لتكون

البيوض حسنة وتلوين الاسماك له واسطات خاصة كل واسطة تختلف عن الثانية فهم يستعملون الحديد وقشر السنديان والعفص وبهذه الواسطة يتمكنون من تلوين الاسماك واحسنها ما كانت مشابهة للعلم الالماني (ابيض واسود واحمر) اما طعامها فيلزم ان يكون من الدم الجامد ومن الحشرات ومن فضلات اللحوم ومن تفالة الشعير وهذه الاغذية تزيد في نموها واذا اردت تحسين هذا النوع فغير الذكور من وقت لآخر وبعد مدة تصبح الانثى عقيمة

ان السمك الاحمر يعيش شهرا بدون طعام ووضع بقايا الخبز والبطاطا في الاناء يفسد الماء



البنايات البحرية

نجحت اليابان نجاحاً مهماً منذ عشر سنوات في بناياتها البحرية وكانوا لا يتمكنون اولا من صنع مراكب يزيد محمولها على ثلاثة آلاف طن اما الآن فيبنون مراكب محمولها عشرة آلاف طن وقد اصبح تجهيز المراكب الحربية من معامل اليابان امرا بسيطا واسباب ذلك عناية الحكومة في ارسال الوطنيين لبلاد الاجانب لكي يدرسوا جميع الاسرار والدقائق المتعلقة ببناء المراكب وقد ابتدأوا من منذ ٢٧ سنة في تدريس كيفية عمل المراكب البحرية في الكلية الامبراطورية في هذه المدة كان يوجد دائما ٢٥٠ طالبا يدرسون هذا الفن ولم يكن ينبغ في السنة اولا سوى واحد او اثنان اما من سنة ١٨٩٦ عند ما نظم بروغرام تعلم الفنون البحرية تكاثر جدا عدد الناجحين وقد زاد المتخرجون عن عدد الوظائف ولكن ليس لهم باب للتذمر لان ذلك يحصل بالمسابقة فاقدرهم على اداء الامتحان هو المقدم وهذا من اهم اسباب نجاح هذا الفن وتقدمه في اليابان فتقدم هذه الصناعة اذا في حكم المقرر وسوف تمشي امة اليابان امام جميع الامم بواسطة هذه الصناعة وتزاحم كل الدول

فاين آذان رجال حكومتنا عن السماع؟!

اكتشافات واختراعات

مقص للفواكه : تسهيل على مجتني الاثمار

أوجد احد المخترعين الذي امضى سحابة عمره في بساتين الفواكه في قاليفورنيا مقصا يسهل به قطع الاثمار يشبه هذا المقص (الكشتبان) فيوضع في الابهام اما رأسه فحدد يشبه السكين في قطعه تام المشابهة ومتى اريد قطع الثمرة يوضع على اصلها فتقطع بكل سهولة بمجرد تحرك الآلة الموضوعة في الابهام ، واكبر فوائد هذه الآلة ان الاثمار تقطع به دون ان تنكسر الاغصان وتنطف الثمرة دون ان تجرح ، هذا وان الفائدة التي تستحصل بهذه الآلة لتكون مضاعفة بالنسبة الى استعمال غيرها من الادوات

سطل جديد للحليب

اخترع المستر بوتفر المقيم في قاليفورنيا سطلا جديدا للحليب يمتاز بالشكل المخصوص الموجود على غطائه وذلك انه جعل اطراف المحل المثقوب المختص بحفظ الحليب وعدم انتشاره مصفاة وقعره بلا ثقوب ، فمتى صب الحليب في هذا المحل المثقوب يتصفى بالتدريج دون ان يتدفق منه شيء ولا تقدر قطع التبن وسائر الاجزاء الاجنبية التي توجد على وجه الحليب ان تمر من المصفاة ، اما الاشياء التي ترسب في القعر كآثار الغبار والتراب فانها تترسب في قعر المحل المثقوب وتتراكم هناك

ويمكن جعل الغطاء مائلا بالدرجة التي يراد وضعه بها وبعد ان يتم العمل يخرج الغطاء من محله وينظف

مكنسة آخر الزمان

الغالب ان الكناسين سيعلنون قريبا افلاسهم ، لانه ظهرت آلة جديدة يعد استعمال المكنسة بوجودها ارتجاعاً في شرعة المدنية وهذه المكنسة الجديدة اوجدت على اساس مص الغبار وهي اقل كلفة واظرف شكلا من الماكينات المستعملة للتنظيف

في مملكتنا وهي عبارة عن منفخ تربطه الخادمة في وسطها وتضعه على ظهرها وشغله بالمناولة (وهى آلة لرفع الاثقال) الموجودة في يدها اليسرى وبالقضيب الاجوف المستدير الموجود في يدها اليمنى الموجود في رأسه فم منبسط يسحب الغبار والكناسة الى داخل المنفخ وبعداجراءعملية التنظيف يخرج من المنفخ الكناسة المتجمعة فيه وتكب خارجا وثقل هذه الآلة رطل وكسور

شهبال م٠ع

* * * *

النسمات والنفحات

من معين العاشقين الضعفا لشاعر عراقي

فندني اللاحي به وعنفا	ولو رآه ازداد فيه شغفا
مورد الوجنة من رقتهـا	رق بها معنى الجمال وصفا
مهفهف القامة من دلاله	يكاد ينقد اذا ما انعطفا
ماضره بعد المطال والجفا	المامة على الحمى لو وقفا
عسى يرق قلبـه لو امق	اوشك يقضي في هواه اسفا
فيجتلي ثغري من رضابه	الـكائن للقلب من السقم شفا
اويسرح الطرف على عارضه	المصقول في شرخ الشباب ترفا
حملني مالم اطقه كلفـا	من حبه فذاب قلبي تلفـا
ظبي من الترك اساء صنعه	ايقظ جفني للجوى ثم غفا
اوقدمابين الضلوع جذوة	زفيرهاعن الفؤاد ما انطفا
طل دمي بين الطلول لحظه	مذ سله الغنج حساما مرهفا
فمن مجيري من ظبا اجفانه	ومن معين العاشقين الضعفا
ذكره البرق محاني حاجر	وهزه الشوق لمهد سلفـا
نجـاء يسعى وسنا طلعته	جلاعن الرائي الدجا فانكشفا

ارخى على اعطافه سلاسلاً غاب بها عن العيون واختفى
يسحب اطراف الجمال قده وطرفه سوى الحشى ما اختطفا
يزفها من اللمى معسولة يدعونها ذوو الغرام قرقفا
على رياض ارقصت ازهارها الحان طير الانس لما هتفا
ينشر مطوي العتاب جهرة لا واشيا يخشى ولا معنفا
صير شمل الانس باقترابه عقيب ايام النوى مؤتلفا

البدويات الاعاريب

لشاعر عاملي (١)

ارنح بانات الغميم بليلها ام الهيف ريعان الصبا يستميلها
ومضواع مسك ام غوان تأرجت بمنعبق الورد الجني ذيولها
اجل انها عين المعاطير تزدري بما حملت من طيب نجد قبولها
من البدويات الاعاريب ناطق بها القرط غريد وخرس حجولها
ضعيفات احداق نحيلات معطف رعا الحسن طرا ضعفها ونحولها
اذا ما مشت نمّ الحلي بها كما ترجع من ذات الجناح هديلها
ظبا الوعس لولا دقة الساق بالظبا والحاظها الاسياف لولا فلولها
عداك الردى ياهيف ما انت والردى وما لعيون منك تدمي نصولها
ظفرت باحشاء المحبين فلرفتي بها انها مثوى المها ومقيلها
وليل مريض النجم عانقت طوله بكوماء ضمرا يملأ العين طولها
وزيافة للسير حرانة الحشى تخال من الترحال يطفى غليلها
من النيب لاناي المخارم عندها بناء ولا المرمى البعيد يهولها
من العيس قطع النفنف الرحب دابها وفري مناحير الفلاة سبيلها
من الشدنيات النوافح في البرى لاحداجها عوج الخياشم ميلها
من المرقصات الكور انى تناقلت بمشبوبة احقافها ورمولها
من اليعملات الشم ترتاح في السرى متى غرد الحادي وغنى دليلها
خدت بي نشوان الغرام تزيفه ذميلا وما الصهباء الا ذميلها

(١) هو الشيخ عبد الحسين صادق العلامة المشهور

شأت لي بصدر البيد حتى شهدتها يسيل الخدارا حزنها وسهولها
اقول لها والليل شابت عقاصه وتغليسة الاسحار ميطت سدولها
الى الجانب الوحشي ياناق فاجنحي فهذ محاني رامة وطلولها
قني لاتثيري بعدها العزم للسرى فما غاية الترحال الا وصولها
لعل بها ازمان ازمان عود وليلات ليلى راجع لي اصيلها
ليال خلسناها على حين غفلة من الدهر يالاشطعني جميلها
بحيث عليل الريح في الروض عاثر وازهاره يفتر عنه خمولها
وساقي الحميا يمزج الصرف باللمى فنصرفها مزجا صفا سلسبيلها
يطوف باكواب السلافة فوقها ثريا حباب ما الثريا عديلها
فما في الحميا في محياه من سنا وما بلماه ما حوته شمولها

﴿جرى في دمعهِ دمهُ﴾

لشاعر مصري (١)

به سحر يتيمهُ كلا جفنيك يعلمهُ
هما كادا لمهجته ومنك الكيد معظمهُ
فلا هاروت رق له ولا ماروت يرحمه
وتظلمه فلا يشكو الى من ليس يظلمه
أسرَّ فمات كتماناً وباح فخانه فمه
فويح المدنف المعمو د حتى البث يحرمه
طويل الليل ترحمه هواتفه وأنجمه
اذا جد الغرام به جرى في دمعهِ دمه
يكاد لعهده ابدا بعاد السقم يقسمه
ثنى الاعناق عوده والتى العذر لومه
قضى عشقا سوى رمق اليك غدا يقدمه
عسى ان قيل مات هوى تقول الله يرحمه
فتحيا من مراقدها بلفظ منك اعظمه

(١) هو احمد شوقي بك شاعر الخديوي وقد شرتها مجلة الزهور

الصحة وتدبير المنزل

التبغ

التبغ ينفع بعض الناس لانه يسليهم الهموم وينسيهم الاتعاب ويضر آخرين لكونه سم قتال في اي حالة يضر التبغ . سوف نبين اقوال القائلين بمنافعه ومضاره

حشيشة التبغ

ان حشيشة التبغ اكتشفها في بدء امرها الاسبانيون الذين اكتشفوا اميركا وجدوها في بلدة تاباكو احدى جزر الانتيل الصغيرة وهي نبات كبير جميل من فصيلة الباذنجان فلذلك اطلق عليها النباتي (لينا) (نيكوتيانا تاباكيم) Nicotiana Tsbacum تذكارا لتقدمة (جانيكو) اياها الى الملكة (كاتر ينادي مادتسيس) عند ايابه من سفارته في مملكة البورتغال وكان يسمى التبغ في اميركا (باتين) Petun ولم يزل يسمى بهذا الاسم في البرازيل وفلوريدا وقد وضعت عليه ضريبة سنة ١٢٦١ في فرنسا واسمه نفس هذا الاسم وقد استمرت هذه الضريبة عند جميع الحكومات واصبح منها موارد مهمة لا يستهان بها

حرق خمسة وعشرين مليارا من التبغ

بلغ ربح حكومة فرنسا وحدها من سنة ١٨١١ الى سنتنا هذه خمسة عشر مليار فرنك اما المبيع فبلغ ٢١ مليارا واذا ضممنا الى هذه القيمة الرسوم من تاريخ دخول التبغ لفرنسا وقدرها ٤ مليارات يبلغ المجموع ٢٥ مليارا

اعداء التدخين

قال (غاسبابوهان) في تاريخه المعنون بتاريخ النباتات وذلك في سنة ١٦٣٩ بأن استعمال التبغ بكثرة يجفف الدماغ وقد يفضي الى الجنون وقال (بوفون) سنة ١٧٨٠ بان كثرة استعمال (العطوس) يضعف الشم والذاكرة معا وقال (برو) سنة ١٨٨٢ ان الضعيف والسقيم يكون ضحية مواد التبغ السامة اذا كان من المدخنين وقال (ليترا) سنة ١٨٩٨ بان استعمال التدخين لا فائدة منه قط للصحة وما هو الا عادة

وبسط صناعي يتحول غالبا الى هموم واسقام

وقال الدكتور (سيشل) سنة ١٨٦٣ : اني مقتنع اقتناعا كافيا بان قسما قليلا من المدخنين بقيت ذاكرتهم وهيئتهم الطبيعية بحالها والقسم الاكبر فقد ذاكرته وشوه هيئته وقال (كلود بارنار) التدخين سم خفي للاعصاب وقال (تروسو) ينتج التدخين انقباضا بحكم رد الفعل ودوخة وتشويهاً في الهيئة العامة وفي قوى الذاكرة

وكثير من الفلاسفة والكتاب والشعراء كانوا يرون الآراء المتقدمة

وكان يقول (فوريه) انت ايها الشعب المدخن شعب هالك وقال (ستاندال) ستقع فرنسا في سبات عميق من جراء التدخين وكان (فيكتور هيكو) من هذا الرأي فقد قال بأن التدخين يحول الوهم حقيقة وتكون نتيجة ذلك النوم الذي لا يقظة بعده واتفق رأي اكثر الكتبة مع رأي هيكو غير ان (لامارتين) كان من المدخنين وكذلك افراد غيره ولكن اغلب النوابغ كانوا ضد التدخين

وكان من المولعين بالتدخين اسكندر دوماس الصغير غير انه اضطر اخيرا لتركه لانه سبب له دوخة دائمة فقال بعد تركه : التبغ والكحول يضعفان الفهم ويقضيان على الذاكرة فيجب اذاً ان يقل استعمالهما غير انا نرى الامر بالعكس اذ يزيد تعاطيهما ولا عجب فان سخفاء العقل والاشرار في الدنيا اكثر بكثير من صحيحي العقل والاخيار

مقرظو التدخين

كما انه يوجد عدة اطباء يشيرون بترك التدخين فكذلك كثيرين غيرهم يرون استعماله مفيدا فكان الدكتور (كيبلار) يعتقد عدم ضرر التدخين و كان (فورجت) يقول بانه اعظم واسطة لتنبه التصورات وكان الدكتور روشار يقول بانه مساعد على الاشغال العقلية اما الدكتور (فوساكريف) الذي كان مدخنا عظيما لم يزد في كتبه الصحية على قوله بانه مسرور من الدخان ولا يضر استعماله الا اذا افرط مستعمله

وقال الدكتور (لاڤاران) بان الاعتدال في التدخين لا يضر اقوياء البنية

وقال (تان) من مشاهير الكتبة اني اعتدت عادة التدخين الرديئة غير اني رأيت بانه اذا افتكرت بامرين كتبت احدهما ونسيت الآخر فادخن فاتذكر الامر الثاني

وقال (فرنسوا كوبا) بانه مسرور من التدخين ولئن ينسب الناس تأخر صحته للتدخين فهو يعاكس ذلك اذ يراه مفيدا لانه مهيج للفكر ومقو على العمل

وكان يقول (هويسمان) بانه لايستطيع ترك التدخين وبالاختصار اني احبه وقال (اميل زولا) بانه نظر عدة مدخنين لم يؤثر التدخين بذاكرتهم شيئا

وكان (بسمارك) مولعا بالتدخين واذا اغلق عليه امر سياسي وهو يكتب يتناول غليونه ويدخن به وكان عنده الفا غليون نادرة الوجود

حالة المدخن الصحية

قال بلزاك ان استعمال التدخين باعتدال لايحصل منه خطر وهو دواء لمرض البطالة او التمدن اما الافراط باستعماله فهو يعيق الوظائف الهضمية ويسبب انقباضا في الصدر فعلى المرء الاحتراس من ذلك اما المصابون بامراض النقرس وداء النقطة وعسر الهضم وامراض القلب فعليهم الاحتراس من التدخين او تركه بالمرة وتشويه الوجه وضعف الذاكرة والدوخة وانحلال الاعضاء علامات كافية على الافراط بهذا السم القتال واحسن دواء للابتعاد عن هذه الآفات ترك التدخين

نصائح للمدخنين

اولا لاتدخن قبل تناول الطعام (على الريق) ثانيا اذا دخنت لا تبلع الدخان ثالثا لا تدخن السيكار القوي الذي يؤثر تاثيرا سيئا في الدماغ والنخاع الشوكي رابعا لا تدخن السيكارة الى آخرها بل اطرحها اذا بقي منها الربع مثلا او اكثر

اذا استعمل المدخن خمسة سيكارات في النهار لا يضر ذلك في صحته

فعلى المدخنين اتباع القواعد التي رويناها عن الصحيين ولو تعدى البعض الحدود فهم يجلبون الضرر لانفسهم

فوائد بيتية

طريقة لخلع الزجاج من الشباك — يصنع لذلك معجون مؤلف من كلس ناشف مع ماء الرماد (صفوة) ويكون الكلس مضاعف الماء ثم يوضع هذا المعجون على معجون الزجاج يوما فيسهل خلع الزجاج اذ ذاك

غسل الابواب والشبابيك — تغسل الابواب والشبابيك الملونة باللون الابيض بالماء السخن بلا صابون ويضاف الى الماء ملعقة من روح النشادر لان الصابون يضر

بالدهان ويزيل اللمعان

غسل المرآة — تبل قطعة من خام بماء وتغسل بهـا المرآة ثم يؤخذ مسحوق الطباشير النقية ويذاب ثم يكب الماء على المرآة بتأن وتغسل به

غسل الة الخياطة — تغسل آلة الخياطـة التي يصعب الشغل بها من تكاثف الزيت والغبار بزيت البنزين وذلك بان تبل الفرشاة بزيت البنزين وتدهن المحلات المتسخة . ثم تمسح من زيت البنزين ويسكب عليها الزيت العادي .

تجديد لمعان الاشياء المصنوعة من خشب الجوز — تغسل اولا بماء سخن مع الصابون بقطعة صوف ثم يصنع مزيج من ملعقتين من زيت الزيتون وملعقة من الخمر الاحمر ويدهن الاثاث بهذا المزيج بقطعة من الصوف نظيفة .

ازالة البقع عن المرمر — يصنع مزيج من الطباشير والبنزين ويوضع على البقعة مرارا الى ان تزول .

ع . ا . ج

خبايا الزوايا

معاني حروف المباني

رأينا في مجموعة مخطوطة رسالة نسبت للخليل بن احمد في تفسير حروف الهجاء ولكنا لم نجد فيما كتب عن الخليل ان له شيئا في هذا الموضوع[1] ولما اردنا نشرها اخترنا لها العنوان المذكور لان اهل اللسان فيما نعلم قسموا الحروف الى قسمين حروف معان وهي الادوات المستعملة في تضاعيف كلام العرب بمعانيها المختلفة وحروف مبان وهي حروف

(١) جاء في الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربيـة لمؤلفه جرجي افندي زيدان صاحب الهلال مايلي : من الكتب التي تنسب الى الخليل كتاب في معنى الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين (العرفان)

الهجاء التي تبنى منها الكلمات العربية ليس الا ومن مقابلتها بحروف المعاني يظهر انها خالية من المعنى ابدا ولكن هذه الرسالة تنطق بان لحروف المباني معانيا في لسان العرب واليك ما فيها بنصه

قال الخليل بن احمد في تفسير حروف الهجاء عند العرب (الالف) الرجل الفرد

الباء

هو الرجل الكثير الجماع وفيه يقول الشاعر

نبئت انك باء حين تلقاها   وفي المعارك لا يستعمل الباها

التاء

البقرة تحلب يقول الشاعر

انا فارس الهيجاء في كل حومة   وانت ابن تاء تحلب التاء دائما

الثاء

العين من كل شيء وفيه يقول الشاعر

اذا ما عشى ضيف وقد ظلل الدجى   اجيء بثاء الخبز واللحم والسكن

الجيم

الجمل المغتلم وينشد

تجدني جيما في الوغى ذا شكيمة   ترى البزل منه راتعات هواربا

الحاء

المرأة السليطة قال المخيل

نماني بنو العنقاء وابن محرق   وانت ابن حاء مطرها مثل منحل (كذا)

الخاء

شعر الاست قال الشاعر

لاستك خاء في التواء كانه   حبال بايدي الساقيات المواتح

الدال

المرأة السمينة قال الشنفري

حوراء عطبولة برهرهة   دال كأن الهلال حاجبها

الذال

عرف الديك [illegible]

بـــه برص يلوح بحـاجبيه كذال الديك يأتلق ائتلاقا

الراء

القراد الصغير

الزاي

الرجل الاكول قال الشاعر

اذا اختلف السراة يكون راء وعند الاكل ناي جفطري (كذا)

السين

الرجل كثير التنحنح قال الشاعر

تجود على العفاة بغـير منّ اذا ماالشيخ نحنح ثم راغـا

الشين

الرجل الكثير النكاح قال ابو الحوزيق

اذا ما الغلب تـاه بحاجبيه فانت الشين تفخر بالجماع

الصاد

الديك المتمرغ في التراب قال ابن الرقيات

وانى اذا ماغبت عـني متيم كاني صاد في الثرى يتململ

الضاد

الهدهد يرفع رأسه ويصيح قال متمم بن نويزة

كاني ضاد يوم فارقت مالكا انوء اذا رمت القيام واكسل

الطاء

الرجل الشيخ الكثير الجماع قال حكيم بن منه

انا وان قلّ من كل الرجا املي طاء الجماع قوي غـير عنين

الظاء

ثدي المرأة اذا انثنى قال العجاج

نكحت من حي عجوزاً هرزمه   ظاء الثدي كالحداة هرمه

العين

سنام البعير

الغين

الابل الواردة قال الشاعر

الارب غين قد نحرت لطارق   فاطعمته من عينه واطايبه

الفاء

زبد البحر قال زياد بن الاعجم

وما مزبد طام يعاش بفائه   باجود يوم حين يأتيه سائله

القاف

المستغني عن الناس قال ابو النجم

مهذب الخلقة اريحي   قاف بسيط الكف عبقري

الكاف

المليح الامور وينشد

جواد اذا ماجئت تبغي سيوبه   وكاف اذا ما الحرب شب شبابها

اللام

الشجرة الناضرة قال روءبه

كأن عينيها لدى اسفارها   لام بدا من حسنها ازهارها

الميم

النبيذ وقال

مزج الميم بمآء الضحل

النون

السمك والدواة ايضا   (ن والقلم)

الهآء

اللطمة في خد الظبي قال بعضهم

كأن خديه وقد لثمته هاء غزال يافع لطمته

الواو

البعير ذو السنام قال الشاعر

وكم مجتدٍ اغنيته بعد فقره فآب بواو جمة وسوام

الياء

النار قال الشاعر

تيممت ذاك الحي حين رايتها بعيني كبدر طالع ليلة الياء

العراق — نجفي

منثور السيد الرضي

كنا ذكرنا ترجمة السيد الرضي في الجزء السادس عشر من المجلد الثالث من العرفان وقد استغرقت الترجمة اربعة وعشرين صفحة وقلنا بها انا لم نعثر على منثور لهذا السيد الجليل الا خطبة نهج البلاغة لاشتهاره بالنظم دون النثر وقد عثرنا الآن في كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة لمؤلفه السيد علي خان الشيرازي صاحب سلافة العصر على فصول منثورة للسيد الرضي قال عنها بانها نادرة الوجود وهاهي برمتها نثبتها هنا لتعميم فائدتها

فصل

واما فلان فما عندي انك تترب عرضه الا شاما صادقا ء وذايقا باصقا ء فاما ان تجعله لوكة لفيك ء وعرضة لقوافيك ء فتلك حال ارفعك عن الاسفاف اليها والرضا بها واجل سهمك ان يصيب غير غرضه وحدك ان يطبق غير مفصله فما كل رمية يصرد فيها النبال ولا كل فريسة ينشب فيها الاظفار

فصل

قد كاد الرسول يا اخي وسيدي اطال الله بقاك من كثرة الترداد تتظلم قدماه وكاد المرسل من امتداد الطرف لانتظاره تزورّ عيناه فلا تجعل للوم طريقا اليك ولا للعتاب متسلقا عليك وكن على مواصلتك ابا على مقاطعتك واحمل لمفارقتك كثيرا على مباعدتك فان ذلك اخصف لمعاقد العهود واعطف لتوالف القلوب

فصل

ان الشريف اطال الله بقاه ان يلقى الي طرفـا من حال سلامته وماجدده الله تعالى من حسم شكايته فحرام على جنبي الهـدو اذا نباجنبه ومحصن ? عن عيني الرقاد اذا سهر طرفه لان النفس واحده وان اقتسمها جسمان واستهم فيها جسدان ولست اشك في هزيعة الدآء ونقيصة الألم لما اجده من سكون النفس وطمانينة القلب ولو كان غير ذلك اعلقت نفسي لعلق قسيمتها وتأات مهجتي لألم مساهمتها والله يقيه ويقيني فيه الاسواء بمنه وقدرته ان شاء

فصل

وراودت نفسي في انفاذ رسول اليه يسئله الحضور ثم اضربت عزيمة الراي خوفا من ازعاجه في مثل هذا الوقت ولئلا ينسبني الى نقض الشرايط وفسخ العهود اللوازم لانه يشارطني في ليلة يومنا هذا في داره وكان عزمي في الانفاذ اليه بين رايين جاذب الى امام وممسك الى وراء فالجاذب يحفه الشوق ويحرضه النزاع الى روءيته فيجذب دأبا والممسك ينتبه الوفاء بعهده والمحافظة على وده فيقف هائبا والذي امكنني عند غيبته اني حرمت القراءة على نظري وصرفت مستأذن الحديث عن دخول سمعي وفزعت الى المضجع وان كان نائيا لنبوه والنوم وان كان نابيا لنـابه فان رأى ادام الله عزه ان يجعل شخصه الكريم جوابا عن هذه الاحرف لينشر من نسائمي ماانطوى لفراقه ويطني من جناني ما اضطرم من نار اشواقه فعل ان شاء الله تعالى

فصل

وان اتسق الامر الذي الى الله ارغب في تمامه واسأله العون على لم شمله وتاليف نظامه كان فلان عندي في المنزلة التي ان اسرف منها وجد الناس جميعا تحته والمكان الذي اذا طمح فيه بطرفه لم ير احد امن الرجال فوقه والله يعين على مشاطرته كرائم النعمى ويجعل الرشد مقرونا بصحبته في الدين والدنيا انه ولي ذلك والقادر عليه

فصل

قرأت ما كتب به مولاي الاستاذ اطال الله بقاه وملكني الابتهاج بما وقفت عليه من علم خبره واقتسمتني ايدي الارتياح لما انسته به من دوام سلامته والله يقيه الهم ويكفيه المهم بمنه وقدرته واما خبري فانا الآن في منزلة من العافية بعد ان كنت في نازلة من النزلة وتحت ظل من السلامة بعد حصولي في هجير من عارض العلة ولله الحمد على الابتلاء بالاول والانعام في الآخر ولولا شغلي بما ذكرت وانغماسي فيما وصفت لم اقنع لنفسي بالتأخر عنه طول هذه المدة مع السرور الذي يهفوني اليه والجواذب التي تسرع بي نحوه والله يحرسه ويحرسني فيه بمنه انه ولي ذلك والقادر عليه

فصل

فأن راى اطال الله مدته انه يجيبني الى ما التمسه ويحتمل ما اقترحته فانه اهل لنزول الحوائج به وموضع لتكاثر المسائل عليه فما يسأل الا باذل ولا يحمل الا حامل فعل انشاء الله تعالى

فصل

اخلف ميعاد وصدق بعاد اعيذك اطال الله بقاك من ذلك وعدتني بصير النصب فيه (كذا) على قولك احشفا وسوء كيله والمعنى يجمع هذا وذا الي واخلفت واوعدتني انك تجازيني على ما فعلته بالقطيعة فقدمت واسلفت وعادة الكريم انجاز الوعد واخلاف الوعيد فان لا بد فالصدق في كليهما لتتوارث الفعلان ويعتدل الامران ولا يكون الشر اغلب الطبعين عليك والخير انقص الحظين عندك والذي اسالك ادام الله عزك ان تسرع النهضة الي ولا تعجل الطلوع علي ان شاء الله تعالى

فصل

لو شئت اطال الله بقاك لا لتمت الخجل من قبيح ما ترتكبه وقعة بعد اخرى وانا دائب اتلاقاك بالاصعب والذلول والدقيق والجليل واستميلك استمالة النافر واستعطفك استعطاف الشارد واداريك مداراة الولد والوالد بل مداراة الناظر الرمد وانت ماض

على غلوائك في البعد وجار على شننك في القطيعة والهجر ولو رمت شرح جميع ما جرى منك لطال الكلام وكثر الخصام والآن فالذي اسالك ادام الله عزك ان تخرج من لباس الخلق الجافي وتشرع في غدير المودة الصافي فانه اولى بك واشبه بمثلك ان شاء الله تعالى

فصل

اذا كان انعام سيدنا الوزير اطال الله بقاءه عريض الاكناف بعيد الاقطار والاطراف ينال المحروم والمرزوق سجله ويسع القاصي والداني فضله كان احق من ضرب فيه واخذ منه بنصيب وقسم من سبقت منه خدمة وتوكدت له حرمة وقد شمل افضال سيدنا الوزير ادام الله عزه اشكالي وامثالي من اهل هذا البيت وانا اعوذ بغامر فضله ان يعريني الزمان من ملابس طوله فان راى حرس الله مدته ان ينعم علي بالتوقيع في معنى كيت وكيت فعل ان شاء الله

الأسئلة والمناظرة

نقد تاريخ آداب اللغة العربية

وقع في يدي كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) للمؤلف البحاث الشهير (جرجي زيدان) ونظرا الى نفاسة الموضوع واهميته رغبت في ان اوفيه حقه من المطالعة باباً بابا وفصلا فصلا فان هذه الخطة مما يهفو الى الوقوف عليها واستكمال النظر فيها كل ضارب من العربية بعرق اومايل اليها ولو بشق بيد ان شهرة المؤلف مما تحرك الاميال وتبعث الاهواء الى النظر في مواقع اقلامه وموضع ملاحظاته

ماصرفت عناية النظر في تصفحه الاوظهر لي مقدار عناء المؤلف في هذا الموضوع وجهده في جمع هذا المشروع من مواضيع متباعده ومجاميع متشتتة وانحاء متباينة وحقا (والحق يقال) انه قد مد الى العربية يدا واحسن لها حسب استطاعته صنعا ولكننا في غضون سبره والسير فيه عثرنا على غفلات فيه ومواضع سهو منه او خطأ اجتهاد له او تقصير في تتبع وفحص كان يلزم على من حمل على عاتقه النهوض بمثل هذا العبأ ان يرجع اليه ويستمد منه ويعتد اهماله لذلك غفلة تخل بالغرض المهم والمقصد الصميم مضافا الى

ماوجدنا من الخروج عن اصول العربية في التعبير مادة او وضعا كالخروج عن نواميس العلوم الادبية من نسبة الشعر الى غير قائله والكتاب الى غير مصنفه او وصف الرجل بغير صفاته وذكره بغير ما اشتهر به من علومه ووضعه من الفنون في غير مقامه وكبخس طائفة من الناس حقهم وعدم ذكر مآثرهم ومساعيهم في هذا الموضوع نفسه وهم من الشهرة وانتشار الذكر وظهور الآثار والمآثر بمكان لايجحد فضله ولا يجهله مثله ونحن اجابة لما اوعز اليه في نفس هذا الكتاب صفحة ٨ بقوله (فنتقدم الى من يقع لنا على خطأ ان ينبهنا اليه لنستدركه في الاجزاء الآتية) اشرنا الى تلك المواضع وذكرنا ما سنح لنا من الملاحظات عليها ثقة بان مثل ذلك الباحث المحنك سوف يعد تلك المراجعات معارفة لامناكرة وحسنة منا اليه لا سيئة وبالنقد والانتقاد واحتكاك الآراء ومساجلة الافكار تتجلى الحقايق وتظهر دفاين المعارف وان الامعان في الملاحظات على اي موضوع ومشروع لامحالة انما هي من مزيد العناية به والثقة فيه بيد انها تبعث طبعا على اشتهاره وتحث على انتشاره وتلك صنيعة بر الى العلم واهله والموءلفات واربابها ونحن مهما اوردنا ونقدنا فلسنا بغامطين حقه ولا باخسين كيله ولا جاهلين جهده وعناءه وانما العصمة والكمال لله وحده ومن السايغ ان يكون له عما نقدناه عذر خفي علينا وجهه واعتاص دوننا سره ولكن لا يصدنا ذلك عن بيان ما عندنا وأداء ما علينا من ذكر ما نراه حريا بالبيان خدمة للعلم وعناية بابراز الحقايق لطلابها وما المعونة الا بالله وحده وقد دللنا على مواضيع الملاحظات بالاشارة الى اعداد الصفحات وذكر نص العبارة ودونكها تباعا على الترتيب صفحة (١) (ولولاه لضاع اسماء كثيرة من الكتب النفيسة)

حق لابن النديم ماوفاه من البجالة وحسن الذكر وجميل الاحدوثة وشكر الصنيعة اما عدم ضياع كثير من الكتب النفيسة فليس هو منحصرا بكتابه ولا هو باول كتاب حفظ اسماء الكتب الموءلفة في القرون الاسلامية الاولى ولكن ليت الموءلف استبحر في البحث واستوسع في الطلب حتى يقف على كتب الامامية من الشيعة الاثنا عشرية الموءلفة في ذلك العصر او قبله في هذا الموضوع هذا (احمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن البرقي اصله كوفي فهرب جده عبد الرحمن بعد ان قتل يوسف بن عمر الثقفي اباه بعد قتل زيد بن علي ع) حتى ورد برق رود

هذا الحبر بحر واسع في العلم له اكثر من مائة تصنيف في علوم شتى ومواضيع مختلفة يسمى

مجموعها بالمحاسن وهي تعرف بمحاسن البرقي الذي يقول فيها (البعض) من نوع التوجيه باسماء الكتب في البديع(١)

يا ثغره قد اريتنـا عجبـا ـ حين رويت الحديث عن صدق
صحاحك الجوهري كيف غدا يروي لنا عن محاسن البرقي

والبرقي هذا من اهل القرن الثالث توفي قبل الثلثمائة فهو قبل ابن النديم باكثر من مائة سنة ومن بعض تلك الكتب كتاب الطبقات وكتاب الرجال ومنها كتاب التراحم والتعاطف كتاب الرفاهية كتاب الزي كتاب الزينة كتاب الحقايق كتاب الاحزان كتاب العويص كتاب الشعر كتاب ادب النفس كتاب ادب العاشرة كتاب مكارم الاخلاق كتاب الغرايب كتاب العجايب كتاب اللطايف كتاب المصالح كتاب المنافع كتاب الدواجن والرواجن كتاب الشعر والشعراء كتاب النجوم كتاب تعبير الرويا كتاب السما كتاب الارضين كتاب البلدان والمساحه كتاب الاوائل كتاب التاريخ كتاب الانسان كتاب جداول الحكمة كتاب النحو كتاب الافانين كتاب المغازي كتاب النوادر

هذا بعض ما ذكره علماء الرجال لهذا الرجل الكبير وقد ذكروا له ما هو اكثر من هذا بكثير وهذه الكتب كلها وان لم تطبع ولا يقطع بوجودها اجمع ولكن كثير منها يوجد في مكتبات العراق وايران وقد وقفت على ثلاثة او اربعة منها في النجف الاشرف في مكتبة المحدث العلامة النوري التي تفرقت اليوم ايدي سبا ولعل المتتبع يعثر على شيء منها في مكاتب العراق وايران فالذي يبحث عن كتب العربية وعلى الاخص كتب الاسلام في مكاتب ليدن وبرلين والبريطاني وفلان وفلان كان بالاحرى ان يبحث عن ذلك في مكتبات العراق وايران والهند التي هي ام تلك الكتب وفيها صنفت ومنها نشأت

هذا (احمد بن محمد بن الحسين بن دول القمي وهو ايضا من رجال القرن الثالث وتوفي في الثلثمائة وخمسين ذكر علماء الرجال ان له مائة كتاب وعددوها

---

(١) البيتان لصاحب النقد وله كثير من هذا النظير من اوايل شعره في صباه منها قوله في توجيه اسماء ستة كتب وهي

يا كاملا في الجمال اضحى مجمل وجدي به مفصل
تلخيص شوقي اليك يغدو ان رمت ايضاحه مطول

باسمائها واحدا واحدا وذكروا منها كتاب الحياة كتاب الحقايق كتاب الخصايص كتاب الاخوان كتاب الطبايع كتاب الطب كتاب العواصم كتاب الطبقات ويظهر ان هذه الكتب في القرن الرابع وما بعده قد كانت موجودة والرواة ترويها وتروي عنها والله اعلم كيف كانت بعد

هذا عبد العزيز بن يحيي بن عيسى الجلودي الازدي البصري شيخ البصرة واخباريها عدد له علماء الرجال ماينيف على مائتي كتاب بل ما يقرب من ثلثمائة كلها من عجايب الكتب وهو ايضا من اهل القرن الثالث على ما يظهر وله اربعون كتابا فيما يتعلق بخصوص امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام من غزواته مع النبي صلى الله عليه وآله وحروبه من الجمل وصفين والغارات والحكمين وبني ناجية وفضايله وما نزل في الخمسة وترويج فاطمة ومن احبه ومن ابغضه ومن سبه من الخلفاء وكتاب التفسير عنه وما نزل من القرآن في خصوصه وكتاب شعره وكتاب خطبه وخلافته وعماله وولاته والشورى وما كان بينه وبين عثمان وقضائه ورسايله ومن روى عنه من الصحابة وكتاب شيعته ومن مال بعده افرد لكل واحد من هذه المذكورات كتابا ثم على مثل هذا الف في ساير اهل البيت كتابا في فضل اهل البيت في ذكر خديجة كتاب في ذكر فاطمة عليها السلام كتاب في ذكر الحسن كتاب في ذكر الحسين كتاب مقتل الحسين وله عشرات من الكتب تتعلق بعبد الله بن عباس كتاب التنزيل عنه كتاب التفسير عنه تفسيره عن الصحابة الناسخ والمنسوخ عنه ما اسنده عن الصحابة مارواه من رأي الصحابة كتاب اخبار علي بن الحسين اخبار محمد الباقر اخبار زيد بن علي اخبار محمد بن الحنفية اخبار العباس بن عبد المطلب اخبار جعفر بن ابي طالب اخبار ام هاني اخبار عبد الله بن جعفر اخبار المهدي اخبار محمد وابراهيم ابني عبد الله ابن الحسن ثم بقية كتبه في ساير العلوم واحوال ساير الامم عامة والعرب خاصة والشعراء على الاخص منها في الدعاء والعوذ والطب والنجوم منها من المتعلق بابن عباس كتاب قوله في قتال اهل القبلة وانكاره الرجعة منها في ذكر الانبياء وكلامه في العرب ومن مؤلفاته اخبار من عشق من الشعراء اخبار لقمان بن عاد اخبار لقمان الحكيم كتاب من خطب على المنبر بشعر اخبار تأبط شرا اخبار الاعراب اخبار قريش كتاب الطب كتاب طبقات العرب والشعراء كتاب السحر كتاب مارثي به النبي (ص) كتاب الرؤيا كتاب اخبار السودان المطر والسحاب والرعد والبرق كل في كتاب اخبار ابن

معديكرب اخبار امية بن ابي الصلت اخبار ابي الاسود اخبار اكثم بن صيفي اخبار خالد بن صفوان اخبار ابي نواس كتاب ماروي في الشطرنج كتاب اخبار ابي بكر وعمر (رض) كتاب خطب ابي بكر كتاب خطب عمر كتاب خطب عثمان كتب النبي رسايل ابي بكر رسايل عمر رسايل عثمان كتاب الطيب كتاب الرياحين كتاب من قال شعرا في وصيته كتاب من اوصى بشعر جمعه كتاب التمثيل بالشعر كتاب قطايع النبي قطايع ابي بكر قطايع عمر وعثمان الوفود على النبي وابي بكر وعمر وعثمان (رض) كتاب اخبار الفرس كتاب البخل والشح اخبار قنبر كتاب الالوية والرايات كتاب رايات الازد اخبار شريح اخبار حسان اخبار دغفل النسابة اخبار حمزة بن عبد المطلب اخبار صعصعة اخبار الحجاج اخبار الفرزدق اخبار العرب والفرس اخبار التراجم كتاب الذكر كتاب المواعظ اخبار جعفر بن محمد الصادق كتاب مناظرات علي بن موسى الرضا عليهما السلام اخبار عقيل اخبار محمد بن مروان

قال النجاشي بعد ان ذكر له ما يناهز الثلثمائة كتاب (وهذه جملة كتب ابي احمد الجلودي التي رأيتها في الفهرستات وقد رأيت بعضها ثم ذكر طريق روايته لتلك الكتب اه نعم ولو اردنا ان نعد من امثال هؤلاء الاعاظم من اهل القرن الثالث من معاصري ابن النديم او قبله ممن اكثر من التأليف في تاريخ اللغة العربية وآدابها وعلومها وشعرائها ورجالها وقبايلها وحروبها وساير احوالها وشؤونها لافتقرنا الى افراد مؤلف ضخم في هذا الموضوع ولكن هب اننا نعتذر لعصرينا المؤلف او يعتذر هو لنفسه بخفاء اكثر تلك الكتب وتلاشيها وعدم وقوفه حتى ولا على اسمائها واسماء مؤلفيها ولكن ما العذر عنه في عدم وقوفه على كتاب النجاشي الكتاب الخطير الشهير الذي فضلا عن انتشار نسخه القلمية في عامة الشرق وخاصة العراق وسوريا وايران والهند فضلا عن ذلك قد طبع قبل ثلاثة عشر عام في بومباي طبعة جيدة ويباع بقيمة زهيدة وقد ملأ المخازن والحوانيت فضلا عن القماطير والمكتبات والبيوت وقد الف هذا السفر النافع في حدود القرن الرابع وهو موضوع لخصوص المؤلفين الى ذلك العهد من رجال الشيعة الامامية وذكر مؤلفاتهم الشهيرة وذكر منهم ما يناهز الفي رجل من ارباب التصانيف وعيون الرجال ممن له طريق الرواية عنهم على عادة القديم والا فلو وسّع الموضوع لزاد على عشرات الألوف واكثر من ذكر ممن له العشرات والمئات من التصانيف في عامة العلوم لا تخص الفقه والحديث

وان كان هو الاكثر وقد رأيت وسمعت قريبا بعضهم وقس على ذاك — ثم بعده بقليل كتاب (معالم العلماء) للنحرير الشهير بابن شهراشوب صاحب التصانيف الطايلة ومنها ذاك الكتاب الذي عقده لخصوص موءلفات مشاهير علماء الامامية الى عصره نعم ولو اردنا التعداد لبلغنا المآت بل الألوف من ذاك العصر الى عصرنا أمّا كتاب معالم العلماء المذكور فهو وان كنت لا استحضر كونه قد طبع ام لا ولكن نسخه القلمية في العراق كثيرة شايعة وليس هو بوحيد ولا على طالبه ببعيد اذاً فما عذرك ايها الواضع على صدره وسام البحث والتنقيب عن العربية واطوارها وتقلباتها ونشوها وارتقائها وعامة شوءونها وعن الاسلام وتمدنه وعهود ادواره وثراه وآثاره ما عذرك في اغفال مثل تلك المواد والمرافق الغزيرة النبع الكثيرة النفع التي لاغنى عنها ولابد في هذه الخطة منها

الذي يشير لائمتي عليك ايها الباحث الموءلف في خاصة كتابك ذا وعامة كتبك حرمان مشروعاتك جمعاء من الاستفادة والامتاع وحظوة الابصار والاسماع حرمانها من الاقتباس والاستظهار بتلك الاسفار بمساعي تلك الطايفة التي لها النهضة الكبرى والصنيعة العظمى لآداب العربية وكافة العلوم والامم وخاصة الامة لاسلامية

تلك المساعي التي يتتوج بها الاسلام ويفتخر بها على ساير الامم وكافة الشعوب

ايها الرجل ان الشيعة الامامية لم يدخلوا بعد بحمد الله في خبر كان ولا هم ممن يرمى بهم الرجوان ولا من يسع ايَّ كاتب ان ينبذهم في زوايا الغفلة والنسيان خذ اليك وفيات الاعيان لأبن خلكان وانظر الى كثرة من صرح بتشيعهم من اعيان اهل العلم وكبار الرجال فضلا عمن اهمل فيهم ذكر ذاك من المشاهير كالخليل بن احمد وابي تمام والبحتري وكثير من نظرائهم ممن لا تخولنا الظروف الحاضرة توسيع نطاق القول في تعدادهم وسرد شواهد تشيعهم من اشعارهم وشهادة الموءرخين في حقهم على اننا لسنا من هذا الصدد في شيء فان في شهادة العلم والتاريخ مقنع وكفاية خذ اليك ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي الدمشقي وعلى ما في هذا الرجل من بعض الانحراف عن العلويين وشيعتهم كما هو الغالب يوم ذاك على الشام من كونهم من احزاب بني امية ولكن اذا تصفحت كتابه هذا لم تجد بابا فيه ولا حرفا الا وسرد به عدة من رواة الشيعة ومحدثيهم وعلمائهم ومهما كانت الاهواء والاميال تعمل فيه على التغاضي عنهم والحط منهم كان بُعد الصيت وواسع الشهرة وعظيم الثقة والامانة

تدفعه الى الصراحة بالحق والانصاف فيثني عليهم احسن الثناء راجع ترجمة ابان بن تغلب تجد هناك رأيا له ابداه ومقالة سردها وتقاسيم للشيعة قسمها ختمها بما مضمونه انا لو اردنا ان نترك كل حديث كان في طريقه احد الشيعة لزم علينا ترك العمل بأكثر الاخبار وله امثال ذلك في الكتاب نفسه وغيره وهكذا ساير المعاجم وكتب التراجم

بلغ حال الشيعة في النبوغ بالشعر والآداب ان الكتّاب وارباب الترجمات اذا ارادوا ان يبالغوا في وفور حظ بعض الشعراء من الشعر والادب قالوا فلان يترفض في شعره وقالوا وهل ترى من اديب غير شيعي

وقال القاضي ابن خلكان في ترجمة ابن الجهم ما نصه (وكان مع انحرافه عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه واظهاره التسنن مطبوعا مقتدرا على الشعر) وفي هذه العبارة كفاية للمتدبر دع عنك اهل النهضات العظمى والآيات الكبرى والدول المهمة في العالم الاسلامي والساعية في مد باعه وانبساط اشعته على البسيطة دع عضد الدولة والبويهيين دع سيف الدولة والحمدانيين دع المعز وعليّة العلويين دع امير الامراء وامير العرب صدقة بن مزيد وساير ملوك بني دبيس لا بل دع المأمون نفسه والمنتصر والناصر وكثيرا من العباسيين بل وعدد من رجال الامويين كسعيد بن العاص من السابقين في الاسلام ونفر من اوايل بني امية فضلا عن اواخرهم كأبي الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني وغيره ممن لا يبعدون عن المتتبع بادىء الامر وعبثا حاول اثبات هذه الجلية الجليلة التي يراها بالناظر المجرد كل احد وانما المعنيُّ بنفثتي هذه ان من حاول تاريخ هذه اللغة العربية الاسلامية ثم فاته الاعتداد بمساعي تلك الطائفة وموروثات مآثرهم وآثارهم في العربية والاسلام فقد فاته الحظ الاكبر والنصيب الأوفر

ويشهد الدين والامانة عليَّ اني ما اردت بكلمتي هذه الاطراء بقومي وابناء نحلتي كلاّ فان الأمر فيهم اوضح واجلى

واذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وانما اقصى الغرض من ذلك اني وجدت مؤلف هذا الكتاب ممن يطلب الحقيقة وقد ضاع عليه منها الجانب المهم فاحببنا تنبيهه عليها ثقة بان سوف تصادف منه قبولا يبعثه الى الطلب ويعتدها لخدمة العلم اقوى سبب وعسى ان يأتي لهذا في ملاحظاتنا هذه مزيد بيان لهذه الجملة ان شاء الله — نعم بقي هنا شيء وهو من الغريب الا وهو عدم ذكره في الكتب التي عوّل على الاخذ منها في مشروعه هذا كتاب معجم

الادباء لياقوت الحموي وهو امتع واجمع كتاب في هذا الموضوع اعني في تاريخ المؤلفين والمؤلفات على طرز الفهرست والوفيات وغيرهما من المآخذ التي عول عليها وهذا المعجم قد طبعت اكثر اجزائه في القاهرة ويبعد جدا ان يكون المؤلف لم يقف عليه ولكن كأنه لم يستفرغ الوسع ولم يبذل تمام الجهد فظهر النتاج خداجا والاثر ضعيفا ناقصا والكمال لله وحده

صفحة ١٧ (ويعبر عن شعايرهم) حق المقام ان يقول عن مشاعرهم بدل شعايرهم والفرق بين اللفظين معنى كالفرق لفظا مما لا يخفى على المترعرع فضلا عن المتطلع

٢٥ (تاثير الحمورابيين في الشرايع) في هذا المقام الى نهايته ترضخات وتخرصات تفوح منهـا رايحـة التلاعب بالاديان والترامي بالشرايع المقدسة مثل (ان صاحب شريعة موسى كأنه اقتبس من شريعة حمورابي) ومثل (ان حوريب مكان عبادة على نحو ما اخذه العرب عن الصابئة العراقيين من تقديس الجبـال واقامة الحرم او الحمى حول المعابد)

وكل من له من الدين عرق ينبض يعرف مرامي هذه الكلمات ومناحيهـا وما يتفوح من فحاويها وقد كان من الحري بالمؤلف ان لا يتعرض لنقل ما يمس الاديان ويثير العواطف بوهم سوء وشايبة شر بل يدع الاديان لاهلها ويحيلها الى حولهـا وقلّبها فان لكل مجال رجال ولكل ميدان فرسان وفيما سوى ذلك له سعة ومندوحه — والحق الذي عليه عامة التواريخ وخاصة الكتب المقدسة ان العرب ما اتخـذوا تقديس الجبال واقامة الحرم حول المعابد لا من الصابئة ولا من غيرهم من الامم وانما اتخذوه من جدهم ابراهيم وابيهم اسماعيل بتعليم الهي وناموس سماوي وبقي محفوظا فيما بين العرب الى يومك هذا لا يزيده مرور الايام الا جدّه ولا تقـادم العصور الا بهجه وكل ما سوى هذه الحقيقة الراهنة فهي رجم بالغيب وريبة في الاديان بلا ريب

صفحة ٢٩ (لا يقل شيئا على احكام اكابر الفلاسفة) حق العربية ان يجعل «عن» في الكلام بدل «على» فيقول لا يقل عن احكام اكابر الفلاسفة كما هو ظاهر

صفحة ٣٩ (على اننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من تلك الالفاظ فاذا راينا لفظا في العربية لم نر له شبيها في العـبرانية او السريانية او الحبشية ترجح عندنا انه دخيل فيها الى آخر ما ذكره في هذا المبحث على طوله)

الذي تقتضيه فلسفة البحث في هذه النظرية اننا اذا وجدنا اللفظ قد استعمله

فصحاء العرب في الجاهلية وشاع او تعدد تزاوله فيما بينهم اعتددنا بذلك اللفظ وعددناه من فصحى الالفاظ العربية ولا يهمنا ان يكون من الصميم او الدخيل بعد افتراضه فصيحا فان اقصى ما يهمنا في الابحاث اللغوية والعلوم العربية ان نعرف الفصيح من غيره حتى نأتي بالكلام المشتمل على الفصاحة العربية على نواميسها ومشروعاتها عند اهلها الذين عليهم المعول ثم ان دفعنا دافع التوسع في البحث والترامي في معارج المبادي والغايات الى النظر في مبادي هذه اللغة واوايلها ومنشئاتها ومستعمراتها وتميز خاصة املاكها من مستعاراتها فبالحري بل اللازم النظر اولا في ان من هم الذين وضعوا اللغات وكيف وضعوها وعلى الاخص لغة العرب التي فيها واليها يساق الحديث

الباحثون في علوم العربية والمتفلسفون فيها في القرون الاولى وضعوا هذه النظريه في موضع البحث واستعرضوها على صفحات احتكاك الآراء والافكار وكل سلك فيها مسلكا واختار بها مذهبا وحاضر الوقت. والقام لا يفسح لنا نشر هذه الدقيقة على حدودها وتخومها ولكن امهات الاقوال فيها ثلثة الأول ان واضع الخلق وموجدهم هو واضع لغاتهم وتحاورهم بتعليم واحد منهم اما آدم ابو البشر اوجذوم اولاده كسام وغيره او يعرب بن قحطان ابو العرب فيما يزعمون بالنسبة الى اللغة العربية وهذا القول واهن واهي ولا حجة لهم فيما يحسبون من ظواهر بعض الآيات كقوله (تعالى) وعلم آدم الاسماء الآية والبسط موكول الى محله الثاني ما ينسب الى سليمان بن عباد الصيمري ان دلالتها باقتضاء ذواتها ومناسبة خاصة بين كل لفظ ومعناه وهذا بظاهره كما ترى اشبه بالسخافة

وكأن شهرة القايل عند العلماء بدقة الفكر ونفوذ الخاطر واعتياص الاقوال صار المؤلفون يطلبون مخرجا لكلامه هذا وكل حمله على محمل ليس بالصحيح السالم والذي كنا نحتمله ايام دروسنا لمباحث الوضع من كتب المعاني والبيان ان لعل نظر هذا الذاهب وفلسفة قوله ترمي الى ان الواضع اياما كان قد لاحظ المناسبة بين المعاني والالفاظ فجعل القصم بالقاف لكسر الشيء الشديد الجبس والفصم للشيء الرقيق ذي الخلل والخضم للشيء الرقيق ايضا ولكن مع الطراوة لا الجفاف فحروف الالفاظ وقعت متغايرة على نسبة المعاني فالقاف والصاد في الاول اشد كمعناها والفاء والصاد في الثاني ارق كما ان معناها الين وارق من الاول والخاء والضاد اطرى واولى

من تلك الحروف كما ان المحسوس الخارجي من معناه اطرى من محسوسات تلك المعاني وربما يعضد هذا التوجيه ان صاحب القول كان من علماء التكسير والمعنيين بعلم الحروف ومعرفة خواصها وطبايعها فيما يزعمون وتقسيمها الى انواع المجهورة والمهموسة والشديدة والرقيقة وامثال ذلك مما اجتذبه بعض الصرفيين الى علمهم وسواء كان هذا التأويل صحيحا ام غير صحيح وتلك المناسبة المدعاة مطردة ام غير مطردة فان ذلك القول على ظاهره اوهن من سابقه

الثالث وهو المرجح عندنا اِبّان اشتغالنا بالمبادي ان كافة اللغات وعلى الاخص العربية كساير الكاينات الحية واقعة في سبيل التحول والتبدل والنمو والارتقاء والتهذب والتشذب تدريجا والبسطة والتوسع شيئا فشيئا على سنن بقاء الاصلح او الصالح للبقاء

وما زالت هذه اللغة الكريمة ـ تتدرج في اطوارها وادوارها الغابرة القديمة ـ لا اقول من عهود قحطان وعدنان ـ بل قبل تلك الازمان ـ ولا من عهد جديس وجرهم ـ بل من زمن اقدم ـ ولا من احقاب قيدار واسماعيل ـ بل قبل ذلك الجيل ـ ولا من عهد عاد وثمود ـ بل قبل تلك العهود ـ ما زالت تترامى في نشأة حياتها وادوار عمرها من مبدأ لا اعلمه على اليقين وقدلا يعلمه الباحثون — ما انفكت تتقلب في تلك الادوار المظلمة حتى بلغت منتهى كمالها وابان زهوها واحسن نشآتها في عصر البعثة عصر بزوغ شمس الكمال على الوجود وانبعاث اشعتها الروحية بالرحمة الكلية على العالمين قد بعثت الفصاحة المحمدية والنفحة القرآنية روحا من الفلسفة الادبية في ساير السايرين على نهجها والمقتبسين من انوارها فما مضى نيّر ذلك القرن الأَول واللغة في اوج ارتقائها عند جميع ابنائها تجدها قد تشذبت وتهذبت وبرزت في ازهى زيها وابهى صورها تجد اكثر السواد وعامة البلاد قد اخذت طرزا حديثا من البيان يحق ان يعد نهجه في الطراز الاول من الفصاحة دع من نبغ في ذلك القرن من مشاهير الكتاب كعبد الحميد وابن المقفع وفلان وفلان وما الفضل في ذلك كله الا لتلك الروح الاسلامية والحياة القرآنية والقصارى والقصد ان ليس واضع هذه اللغة سوى البشر انفسهم وان شئت قلت ليس واضع اللغة سوى عامة اهل تلك اللغة لا خاصة واحد او آحاد منهم

ليس واضع اللغة شخص بعينه صعد منبرا او تربع دستا ونادى ايها الناس اني

وضعت هذه الاسماء لتلك المسميات وهذه الالفاظ لهذه المعاني واخذ يعدد ويسرد ما بايدينا من الالفاظ ولا ان جماعة احتشدوا في ندوة او محتفل وتعاقدوا على ذلك واتبعتهم امة من الناس كلاً ليس الواقعة على ما يتوهم من ذلك حتى تكون الفاظ اللغة محدودة معدودة ضيقة الدايرة ذات فقر وعوز الى غيرها من اللغات بالنسبة الى مايحدث لها من المعاني الغايبة عن الواضعين حين الوضع او الحادثة الحقايق بعدهم فتصبح جملة من الالفاظ دخيلة فيها مستعارة من جاراتها ملتمسة من اخواتها لاوكلا بل كل امة من الناس في بدء العمارة وانتشار هذا الكاين المسمى بالانسان على سطح هذه الكرة المسماة بالارض بعد الطوفان او قبله سواء كان خلقا لجائيا او متسلسلا من نوع واحد اومن انواع

كل امة جمعتها رابطة واحدة من مسكن واحد او انتساب الى اب واحد اندفعت لامحالة بطباعها الى انهام مقاصد بعضها لبعض فوجدت اسهل آلة موصلة لذلك اصواتها التي كانت تستعملها في ذلك يوم كانت في ابسط عهودها واشد سذاجتها يوم كانت هذه الواسطة هي الآلة الوحيدة في افهام جميع طواريها وشؤون مقاصدها فاذا جاعت وطلبت الغذاء بكت واذا تألمت بكت وهكذا ليس عندها من بيان سوى رفع الصوت وقطعه فهو قرين وجودها والذي ركنت اليه في اسبق عهودها وما انفك ينشأ ويربو معها ويشتد ساعده في المساعدة باشتدادها وانتقلت به من البساطة والسذاجة الى التقطيع والتركيب ثم الى التهذيب والتشذيب حتى صار لغة من اللغات وكاينا من الكواين الحية وقد استبان من بيان الواضع كيفية الوضع اذ كلما حضر لها معنى اوشاهدت من الخارج حقيقة او اخترعت صناعة او مصنوعة او الفت من الاعيان الخارجية مركبا اندفعت بسايق الغريزة الى وضع لفظ له للتعبير عنه في مقاصدها وهذا على التعاقب والتعاون لا يحده العام بمبدء معلوم ولا التاريخ باول محدود لا يُضبط عامه ولا تورخ ايامه

وما مضى ردح من الدهر الاً واللغة قد شيّد بنيانها وتوطدت اركانها ورست اصولها وبسقت فروعها واستغنت بنفسها عن غيرها فصارت حتى لو انشأت طريفا جديدا اخذت له ما عندها من الالفاظ تليدا ووضعته له فاستغنت عن مدّ يد الحاجة الى سواها ادبا ومادة

الفاحص المتدبر والباحث المنقب لا يشك ان وضع اللغات كلها كان على هذه السنة

والطريقة ولا شك ايضا ان اللغة العربية قد بلغت اوج مجدها وشأو كمالها واثرى ثروتها ونزلت مغنى غناها في عصر الجاهليه المنبثق عن فجر البعثة بلغت مرتبة استغنائها عن كل لغة لكثرة الاطوار والادوار التي مرت عليها وكانت اهلها قد توسعت في العمارة واستبحرت في العمران وكابدت كل نعيم وشقاء وراحة وبلاء ومارست جميع شؤون الحياة واسباب غضارة العيش والترف لا باحتكاكها بالامم فقط بل بامر عليها من الملك واتساع السلطة من ملوك حمير وتبابعة اليمن وملوك الجزيرة من التعامنة والمناذرة ومن لا احصيهم في موقفي هذا وكل ذلك الملك مما يدعو الى التوسع في العيش وفخامة العظم والقوة وهي مما تدعوا الى توفر المعاني والمعدات فتتوفر الالفاظ والموضوعات وبوضعهم واستعمالهم لها تكون عربية ليس الا والغاية ان اكثر ما يُدَّعى من وجود الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية تلك الالفاظ التي ثبت استعمال فصحاء عرب الجاهلية لها كالمشكاة والنبراس والقسطاس والخوان والطبق والقصعة والخز والديباج والسندس والاستبرق وكثير من امثالها دعوى كونها مستعارة من فارسية وروميه وعبرانية ويونانية وحبشية وغيرها كل ذلك تخرصات ما انزل بها الدليل والبرهان من سلطان سوى ما يدعى من وجود هذه الالفاظ لتلك المعاني اوغيرها ما بين تلك اللغات مع احتكاك الامة العربية بتلك الامم وشدة اعتلاقها وارتباطها بهم

وانت جد خبير ان مجرد وجود اللفظ في اللغتين مع الملابسة ما بين الامتين لا يقضي بالحكم بان هذا اللفظ من مستملكات هذه ومستعمرات تلك وليس هو باولى من العكس وان هذا الا تحكم وقول بلا علم

وليس رأيي هذا بالرأي الفطير ولا هو بالخيال السانح في وقتي هذا بلا تدبر عتيد بل كنت ارى هذا حقيقة راهنة قبل برهة اعوام عند مزاولة علوم العربية في الحداثة ولا ازداد فيه الى اليوم الا صلابة ارى ان اللغة العربية لا تزال غنية بذاتها غير عالة على اخواتها فضلا عن جاراتها ارى ان القرآن المجيد والفرقان الحميد الشتمل على غير العربي ابدا ولا مدَّ الى اللغات الاعجمية من الحاجة يدا تلك هنة اوردها بعض المشككين في الدين وسدر بعض علماء المسلمين على غرارتهم في الذب عنها وتكبد العناء والعلل في توجيهها وهي مبنية على امر هو فاسد في اصله متلاشي من ذاته قبل البناء عليه

كانوا يقولون ذلك في مثل مامر من المشكاة والنبراس والقرطاس ونظيرهـا اما هذا المؤلف فقد جاءنا بادهى وامر — جاءنا يزعم ان مثل الضياء والبهاء والسفينة والمسك والكافور كلها من اللغة (السنسكريتية) اذاً فعلى اللغة العربية لغة الاسلام السلام يزعم ذلك لمجرد ان في تلك اللغة (مشكا) «وكابور» من اخبرك ايها الباحث ان لفظ المسك لم يكن عربي النشأة وانهم استعاروه من المساك بمعنى الجلد حيث وجدوه في فارة المسك وهي كيس من رق رقيق في جوفه فاستعاروا اسم الظرف للمظروف كما هو كثير استعاروا له اسم ظرفه ثم غلب الاستعمال حتى صار علم جنس او اسم جنس له ولعلهم كسروا اوله للفرق بينهما ثم ضرب تجار العرب في الارض حتى جاءوا الهند فسمعوه منهم وغيروه على اقتضاء لهجتهم فصار (مشكا) وهكذا القول في غيره

افلست انت الذي تقول فيما اداك اليه بحثك ان اللغة العربية قد كانت على عهد حمورابي اي قبل المسيح بخمسة وعشرين قرناً وقبل موسى بتسعة قرون ونحن نعلم انها قبل ابراهيم وانها من اصول اللغات بعد الطوفان ولكن هب انها قبل المسيح بذلك الامد افلا تكون تلك اللغة التي مرّ عليها ذلك الأبد الأبيد قد اخذت عدّتها واستكملت مرافقها وتوفرت وسايلها وبواعثها الى الوضع بما نبّهها الى ذلك واستدعاها اليه من معاناة الحوادث ومزاولة الكوائن ومكافحة تقلبات الصروف

نعم لا يبعد في بادي النظر سريان بعض الالفاظ الاجنبية اليها ولكن هي تلك الالفاظ التي تكون مغايرة للاسلوب العربي لفظاً ومعنى كاللوزينج والفالوذج والسكباج والطياهج [1] والجوزينج من المركبات تركيباً فارسياً في اسمها ومسمّاها يزعم الزاعمون انها فارسية اللفظ وذلك واضح في فارسية المعنى لان العرب وقد كانت على توحشها وهمجيتها وبؤس عيشها ما كانت لتعرف هذه المطاعم الملذة والمآكل الشهية

اما نحن فنوافق هؤلاء الزاعمين ولكن بالنظرة الاولى والملاحظة بادي الرأي اما بالفكرة الثانية والملاحظة المتسعة فنرفضه بتاتاً ونرى ان العرب وان كانت فيهم تلك الامم المتوحشة من اهل البادية ولكن حال العرب لم يزل في تلك العصور كحالها في هذه فانها لاتزال ذات عرض عريض واطراف في العيش متباعدة ففيهـا

(١) الاصح ان الطياهج عربية الاصل فصحى واصلها الطواهي قال الجاهلي

ويوم كتنور الطواهي سجرنه * من الجزل حتى كاد ان يتضرما

وقد نظمها امرؤ القيس وظلّ طهاة اللحم الخ

المتوحشون من اهل البادية كالذين هم اليوم في بادية نجد والحجاز وقد باوناهم في فيافيهم فشهدنا من توحشهم الغريب المدهش الذي لو حُدثنا به على النأي لما حسبناه الا ضربا من اقاصيص السعالى والغيلان نعم وفيهم في الزمان نفسه اهل الحضارة الرايقة والغضارة الرايعة والمعارف والآداب وكرم الاخلاق وشمم الانوف وشهامة النفوس ذاك التمدن الصحيح المطابق لنواميس العقل ومقاييس العفة لا ما تسمعه وتراه اليوم من التمدن الغربي تلك الزخرفة العاطلة والفخفخة الباطلة المنفجرة عن كل عهر وفجور وخنا وخيانة

وعلى مثل هذا الزمن حال ساير الازمان — مَن الذي يشك ويرتاب في اتساع حضارة ملوك اليمن من اقيال حمير والتبابعة وسيف بن ذي يزن واضرابهم مَن الذي لايعلم ما بلغ اليه ملوك الشام الغسانيون وآخرهم جبلة بن الايهم من الترف والنعيم وبسطة العيش ومهد الحضارة دع ملوك الارض من بني ماء السماء كالنعامنة والمناذرة واللخميين وملك الحضر — واما ومن نشر اولئك اللواء ثم طواهم ولم يبق منهم الا بعض آثارهم وذكراهم اني لو اردت ان اورد الشواهد والدلايل على ذلك لشحنت القناطير بتلك الاساطير ولكن ليس الغرض هنا الا دعوى امر بسيط ظاهر لا يحتاج الى كل ذلك الكر والفر وهو ان امثال اللوزينج والفالوذج وامثالها من كل مظاهر الحضارة مطعما او ملبسا او مسكنا كل ذلك ما كانت لتضيق سعة ملك العرب عنه ولا لتقصر عنه حضارتهم ولا كانوا اقل نظرا وافكارا عن اختراعه من تلقاء انفسهم وليس تركيب اللوزمع السكَّر والسمن بامر شاسع المنال بعيد عن الافكار ولكن العرب (وحياهم الله) كانت شهامة نفوسهم وعلو هممهم تأبى لهم الاكتراث والتكاثر والتحادث والتذاكر — تأبى لهم ان يتحدثوا بمطاعمهم ومشاربهم ومساكنهم وملابسهم تأبى لهم التحدث الا باحاديث مجدهم وكرم اخلاقهم وصرامة عقولهم يتحدثون في شعرهم ونثرهم ويتسامرون في ندواتهم ومحافلهم بجودهم وسخائهم وشجاعتهم واقدامهم وانتصارهم على اعدائهم نعم كانت قريش تأكل السخينة والضيرة وامثالها ولكن ليس هو طعام جميعهم ولا عامة مآكلهم بل كان عندهم انواع من طيبات الاطعمة يا كلونها ويطعمونها ضيوفهم اليس هذا عبد الله بن جدعان الذي يقول شاعرهم فيه ولعله امية بن ابي الصلت

له داع بمكة مشمعل   وآخر فوق ندوته ينادي

الى ردح من الشيزى ملاء · لباب البر يلبك بالشهاد

ليت ساير الامم جاءونا بواحد من مثل عبد الله بن جدعان اوحاتم الطائي او كعب بن مامة الايادي او قيس بن عاصم او غالب بن صعصعة او مثل عبد الله بن جعفر او واحد من الطلحات اما قريش فقد افرطوا وتناهوا في الترف والنعيم حتى احدثت لهم الخيلاء والزهو ما يحسبون به انهم هم الناس ولا سواهم وكانوا يلبسون الحرير والديباج ويحملون بايديهم مسبحات اللوءلوء حتى يقال كان بعضهم اذا سقطت من يده يأنف من الانحناء لتناولها من الارض فيتركها ويمضي سادرا في خيلائه

انا لااريد ان اذكر شيئا من حضارة العرب لا بل اريد ان اذكر ما لديهم من المهانة والحقارة للترف والحضارة ولكن كيف لي بذلك والقلم يجري بسرعة وسوانح الخواطر تزدحم على الذهن دفعة انما المقصود بالاصالة غير هذا لكن ولا جرم ان ما ذكرناه كاف في ازاحة ماضرب على الاذهان وتمكن منها من ان العرب لم تكن سوى امة وحشية قد بلغت منتهى العجرفة والهمجية ما كانت تعرف سوى اكل الضب واليربوع وام حبين وساير حشرات الارض مما دب ودرج نعم ولا انكر انه قد كان فيهم من هو على هذه الصفة والى اليوم ولا اظن امة من الامم تخلو من امثالهم وممن هو اسوء اثرا منهم باضعاف لاتقدر

وزبدة المخض ان امة توسعت لها الحضارة وامتدت لها اسباب المساعدة وتناوبت في امتلاك اكثر رقاع المعمورة ودام لها الملك ولم تصفر يداها منه من امد لا يضبط على التحقيق بدوءه احرِ بهذه الامه ان تتدافعها افكارها وحاجياتها على التدريج الى استكمال لغتها وعدم عوزها لغيرها وحاجتها وان لا يكون فيها دخيل ومستعار وهي تلك الامة التي لها تلك العصبية القومية للغتها وجنسيتها وحق لها ان تعد المستعار عارا والاستدخال اختلالا هذا من حيث اتساع حضارة العرب لا اتساع لغتها واوضاعها وعدم احتياجها الى غيرها اما من حيث اساليب تلك الالفاظ ومغايرتها للاسلوب العربي فلست في هذا المقام كباحث لغوي ولا اتكلم عن لفظ اختصاصي وانما اقول على الجملة كما قلت اولاً ان ماثبت استعمال فصحاء العرب له ولم يثبت كونه لامة اخرى سبقت العرب في وضعه او استعماله كما لا احسب لاحد من سبيل الى اثباته فذاك هو الاسلوب العربي سواء وجدناه مع ذلك عند امة بنفسه او بشبهه ام لا

كنا نسمع في مبادي التحصيل ان الجيم والصاد لا يجتمعان بلفظ واحد في لغة العرب

ثم وجدنا ذلك في كثير من الكتب اللغوية ولا سيما للمتأخرين كاقرب الموارد وغيره فقد صرحوا بان الجيم والصاد لا يجتمعان في لغة العرب ومن هذا الزعم جعلوا لفظ الجص دخيلا معرب (كج) فارسيا وانت اذا فتحت اي معجم من المعاجم اللغوية وجدت من الالفاظ التي يقومها ذانك الحرفان ما لا يقل عن غيره

قالوا (الصج ضرب الحديد على الحديد والصُجج بضمتين صوت وقع الحديد على الحديد) ولم يذكروا انه معرب دخيل كما صنعوا في غيره مما يزعمون وكذلك قالوا (الصوجان كل يابس صلب من الدواب والناس ونخلة صوجان يابسه — اي صوجان هو اي اي الناس) (وعبد صنهج اصيل في العبودية) (صنج فلان الناس ردهم الى اصلهم وبالعصا ضربه ما ادري اي صنج هو اي اي الناس وكانوا يلقبون الاعشى صنّاجة العرب) نعم ذكروا ان الصنج ذو الاوتار مختص بالعجم وانه معرب ولم يذكروا انه معرب عن اي فارسية كما هو عادتهم في اكثر ما يزعمونه معربا فلله صناعة التعريب ومزعمته ما اكبر الخطة فيها واوسع الدائرة ليس له ضابطة ولا رابطة يقولون جص معرب كج وهب ان الكاف الفارسية تنقلب في العربية جيما ولكن مابال الجيم تقلب صادا فان فن التعريب الغريب ما حدثنا بمثل ذلك ولا جاءنا بمثل له ولعل الباحثون واهل النهضة العربية يجعلون للتعريب حدودا ويستنبطون له نواميس واصولا تخرج به عن هذه الفوضى وصرافة الاحتمال والدعوى ويدحضون عن لغتنا الشريفة المقدسة هذه المعرة المدنسة (اما الباحث المؤلف) الحائز امتياز المحاماة عن اللغة العربية والتناصر لها واستخراج اقدم عهودها وتاريخها فقد اصبحت هذه اللغة بفضل عنائه لها بحيث لو ان بعض اخواتها وجاراتها قد استردت منها مستعاراتها ومستعمراتها لاصبحت العربية في مدقع من الفقر الادبي والمادي لاصبحت كخرساء لاتستطيع نطقا ولاتجدلها في عداد اللغات المتقدمة حقيقة ولاحقا ولقد تلونت علينا آراؤه وتهافتت في امر العربية نظراته فتارة يرفع بضبعها الى اوج الغنا والتقدم والقوة واخرى يهبط بها من حيث يدري ولا يدري الى اسفل هوة

صفحه ٣٩ (وان الفتى بعد السفاهة يحلم) معربا بالكسر ولا وجه له لعدم وجود جازم للفعل والظاهر انه من الاقواء الذي كان شايعا في شعر الجاهلية وجايزا عندهم وحظره الاسلاميون

صفحة ٣٦ (كان فيهم من ذلك العهد البعيد من يقول بمذهب اللاادرية فكان جندب

ابن عمرو يقول (ان للخلق خالقا لا اعلم ماهو) وهو قول جماعة من فلاسفة اليونان) ه

كلمتي التي قلتها ولا اكترث لو كررتها في مواضعها انه ليت الباحث جرجي زيدان ترك التعرض بتاتاً لنقل ما يتعلق بمسايل الاديان فانها ليست من اشغاله ولا هو من فرسان موقفها ولا من رجاله ايها الرجل ليس هذا بمذهب اللاادرية بل مذهب جميع الموحدين والمنتمين الى التوحيد من الاسلام والنصارى واليهود كل هذه الاديان وكتبها المقدسة تعترف وتنادي بالعجز عن معرفة الخالق واكتناهه مع القطع بوجوده على الجملة مذهب الاسلام ورجاله يعلن ان (العجز عن الادراك ادراك) وان (غاية المعرفة العجز عن المعرفة) حتى لقد تغالى بعضهم وافرط بما يستشم منه رائحة التعطيل والجحود بقوله

فيك يا اغلوطة الفكر تاه عقلي وانقضى عمري
سافرت فيك العقول وما ربحت الا اذى السفر
رجعت حسرى وما وقعت لا على عين ولا اثر

اما اللاادرية فهم الذين يقولون لا نعلم ان للخلق خالقاً ام لا — لا الذين يقولون له خالق ولا نعرفه فان هذا هو المذهب الذي لا مندوحة عنه واليه ذهب جميع موحدي عرب الجاهلية من قس بن ساعدة وعمرو بن نفيل وامية بن ابي الصلت وغيرهم وكل موحدي فلاسفة اليونان لا جماعة منهم

ثم اردف تلك الجملة بنظرية من مستنبطات فلسفته ومستخرجات اجتهاده فقال ولا يبعد ان العرب اقتبسوا ذلك وامثاله من مخالطة بعض العلماء الوافدين عليهم او في اثناء وفودهم على الشام او العراق وفيهما العلماء والفلاسفة)

هذا المذهب واعني به معرفة ان للخلق خالقا لم تقتبسه العرب الا بالوراثة من آبائها ابراهيم واسماعيل لم تقتبسه الا من فطرة الله التي فطر الناس عليها اقتبسه بعضهم بالتنبي والالهام كحنظلة وخالد بن سنان العبسي انبياء الفترة واهتدى اليه آخرون بالنظر والفكرة وادمان التدبر والعبرة اهتدوا اليه بصفاء قرائحهم ونفوذ خواطرهم وصحة عقولهم كمن ذكرناه من قس بن ساعدة الايادي والعدوي والثقفي وكثير من اضرابهم ممن رفضوا في الجاهلية عبادة الاوثان والانداد ودانوا بعبادة الواحد الاحد وما زالت العرب في كل عصر من العصور الغابرة والحاضرة لها نوابغ في الحكمة والمعرفة كما لغيرها من الامم من الفرس واليونان مثل ذلك سوى ان هؤلاء جعلوا معارفهم صناعة علمية والاكثر من اولئك ولا سيما الاوائل تركوها

على سذاجة البيان وعلى اقتضاء بسيط الفطرة ولعل هذه الطريقة اتم واسلم ولا سيما بالنظر الى عامة النفوس فدعوى اقتباس العرب هذه المعارف من غيرهم غرارة ظاهرة واسترسال واهن نعم لم يبرح ذلك الاعتقاد الصحيح والمذهب الحق موجودا بين العرب ولكن على تعكير فيه حتى استنار وشع التي الاسلام وانبثقت من دامس ظلام الشرك اشعة انواره على العالم فاوضح ذلك المذهب واناره وقشع غباره واوقف الناس على الحد الوسط فيه فزحزحه من جانبي التعطيل والتشبيه الى مركز التوحيد والتنزيه (وكذلك جعلناكم امة وسطا) هذا وان من الغريب المدهش وصله ذلك الكلام بقوله (ومن هذا القبيل قول الاعشى وكان نصرانيا)

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولّى الملامة الرجلا

وهو مذهب فلسفي يراد به رفع التبعة عن الانسان) ه

وانا احاشي هذا الباحث المؤلف الذي اصبح من مشاهير المؤلفين في هذا العصر احاشيه ان يكون كمن يسطر ولا ينظر ويجري قلمه ولايجاريه تدبره وتفهمه والاً فمن ذا الذي يتلو بيت الاعشى ويعشى عن ان المراد به وضع التبعة على الانسان لا رفعها عنه وهذا هو مذهب العدلية من فرق الاسلام وعلى الاخص هو مذهب الشيعة الامامية القايلين بان الخير من الله وبتوفيقه والشر من العبد بخذلانه وان الله اولى بحسناتك وانت اولى بسيئاتك طباقا لقوله تعالى)

(ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك)

وليس هذا مقام بسط القول في هذه النظرية الغامضة ولكن معذرة اليك ايها المؤلف ان خرجتُ عن دائرة الادب فان هفواتك قد تجاوزت الحد وخرجت عن دائرة هفوات اهل العلم والبيت اجلى واوضح من ان يشتبه فيه احد من البسطاء فضلا عن العلماء ولعل الاشتباه نشأ من توهم ان تولية الشيء هنا بمعنى التولية عن الشيء وافتراض الغفلة والسهو اولى من افتراض ذلك الخطأ في العلم المفرق المستبين بينهما جليا

من آرائه هنا ايضا (ان المسلمين لما تمدنوا وانشأوا العلوم جعلوا اساس علومهم اللسانية والادبية والاجتماعية آداب العرب الجاهلية) ما ادري ماذا اقول هل اقول ما انصفت ام اقول جهلت وما عرفت — أيها الرجل الضليع فيما تزعم بالتمدن الاسلامي — ان الاسلام ولذكره المجد والشرف وعلى مبلغه السلام هو الذي اخذ بضبع الجاهلية الى حالق ، ونهض بها الى شاهق ، وهذب منها الطباع وشذب

الخلايق ، هو الذي دحض عنها الصبغة الدموية وغبرة الهمجية وعجرفة البداوة وغلظة القساوة ووأد البنات وقتل البنين نحن وان كنا نعترف لآبائنا العرب بكثير من محاسن الاخلاق وكرم الطباع وجميل العادات ونجعل لهم الحظ الأكبر من ذاك على ساير الامم ولكنا لا نجهل مزيج تلك الفضايل بكثير من الرذايل

تلك السيئات التي كادت ان تذهب بتلك الحسنات حتى جاء الاسلام وله الفخر فصقل تلك المحاسن وسقاها بماء غير آسن حتى لم يذر على محياها اقل شيء شاين وهذه الصنيعة المشكورة للاسلام وحده على الجاهلية «بل على العالم اجمع» لم تكن اختصاصية في اللسان والآداب والاجتماعيات بل في جميع الشؤون والاطوار بعث في العالم روحا ايقظه من سباته العميق ونومه الطويل

كان اللسان العربي في الجاهلية على ما بلغه من تخوم الفصاحة وماقبض عليه من اعنة البيان ولكن اذا قسته الى الطرز الذي جاء به القرآن الكريم واتخذه الناهجون على اسلوب بلاغته كعبة ومطافا تجد (ولا محالة) لسان الجاهلية (وما اقرب الشبه) كشجرة برية مغبرة الاوراق ماحلة الثمار كالحة اللون — اتاها زراعي ماهر فغرس اصولها في حديقة غناء وتربة دمثاء ارصد لها عين المراقبة تشذيبا وتهذيبا واجرى لها من اعذب المياه ماء معينا فاصبحت خضراء نضراء يانعة الثمار رايعة الازهار تؤتي اكلها كل حين

خذ طليعة المعلقات السبع التي هي طليعة بلاغة العرب وفصاحتها ورجع نظرتك فيها تجدها كسلك واحد نظمت فيه اللؤلؤة اليتيمة والى جنبها الحجارة والجزعة والحرة والدرة والبعرة وامثال ذلك

وهكذا اكثر مشهورات كلماتهم ورنانات قصايدهم فاين هذا من البلاغة المقفعية والرسايل الحميدية وحماسيات الفرزدق وغزليات جرير وهاشميات الكميت وكثير من اقرانهم انقلبت الفصاحه في ذاك القرن الواحد انقلابا كأنه عاد بها من الشيخوخة الى الصبا ومن السقم الى العافية ومن الموت الى الحياة وما الفضل في ذاك كله الا للقرآن وحده لا قبله ولا بعده افهل مع ذلك كله يحسن بالباحث ان يقول ان اساس العلوم اللسانية بين المسلمين والادبية والاجتماعية آداب العرب ثم يردفه بقوله (وما زالوا في كثير منها مقصرين عن ادراك الشأو الذي بلغ اليه اولئك البدو عشراء الجمال وسكنة الصخور والرمال) قل لي بربك الاكرم اي شأو للجاهلية قصر عنه عرب الاسلام افي الشجاعة وقد دكوا عروش كسرى وقيصر ام البلاغة والبراعة وقد

عرفت مقامهم فيها ومحلهم منها ام الجود والكرم وقد كان فيهم الالوف ممن يوءثر على نفسه ولو كان به خصاصة الا ليت الصروف تفسح لي ان اشرح الك متون هذه الكلمات واريك كيف ينبغي للكاتب ان يكتب وللقايل في الاسلام ان يقول ثم ختم هذا الفصل بقواه (لا ينبغي لنا ان نستخف بآداب العرب قبل الاسلام . ولكن اكثرها ضاع لانها لم تدون فذهبت بذهاب الحفاظ با لحروب واشتغال الناس بالاسلام)

الاشتغال بالاسلام كما تعلم انت وستعترف به كما اعترف به كل احد هو الذي ساعد على نشر الآداب العربية وآثار الجاهلية ولولا سعي الاسلام وملوك المسلمين في ترويج آثار الاوايل والاقدمين لذهبت العرب ومآثرها ذهاب امس الدابر واصبحوا كاحدى الامم الغابرة التي لا نعرف منها الآ اسماء الأقلين منها وستذكر انت بعضا مما ذكره الموءرخون من عناء خلفاء المسلمين واكرامهم الطايل لحفاظ اللغة العربية ونقلتها وسيكون كافيا لدفع كلمتك هذه ويبين للقارئين ان اشتغال الناس بالاسلام هو اكبر مساعد لحفظ آداب العرب قبل الاسلام

صفحة ٣٣ تحت عنوان المرأة في الجاهلية والشهيرات في الشجاعة ثم ذكر سلمى بنت عمر احدى نساء بني عدي بن النجار ولم يذكر سوى انها كانت امرأة شريفة لا تتزوج الرجال الا وامرها بيدها

وما ادري ما علاقة ذلك بالشجاعة ثم ذكر هند بنت ابي سفيان وانها بقرت بطن حمزة واخرجت كبده فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها)

ان كانت هـذه شجاعة فالكلب والذئب والهرة وابن آوى وجميع آكلي لحوم الاموات الملقاة اشلاوءها في الفلاة اشجع منها بكثير وهل هذه الاً الغلظة البهيمية والفظاظة الوحشية والنهمة الكلبية ماهي من الشجاعة ولا قلامة ظفر اين انت عن ام هاني بنت ابي طالب التي كان لها من الايد والقوة والغيرة والحمية والشرف والشهامة انه لما استجار بها يوم الفتح الحارث بن هشام هجم عليه اخوها امير الموءمنين علي بن ابي طالب (ع) في بيتها فسل السيف ليقتله فقبضت على يده وكانت لا تعرفه لما دججه من الحديد وقالت والله لا ادعك تقتل من دخل في جواري فحدثت على رسول الله صلى الله عليه بما جرى وقال والله انها لما قبضت على يدي لم استطع تحريكها فقال رسول الله صلوات الله عليه لو ان ابا طالب ولد الناس جميعا لكانوا كلهم شجعانا انتهى ملخصا من ربيع الابرار للزمخشري ولو اردنا ذكر النساء اللاتي يحق ذكرهن تحت عنوان الشهيرات

بالشجاعة لطال بنا مدى القول ولخرجنا عن النقد الى الاستدراك ولسنا هناك
قال في صفحة ٣٤ (وهل اكبر نفسا من الخنساء عندما حرضت اولادها على الثبات
في واقعة القادسية) نعم ايها الباحث اكبر نفسا منها اسماء ذات النطاقين بنت
الخليفة ابي بكر (رض) حين حرّضت ولدها عبد الله بن الزبير حتى ازّت به الى القتل
لزّا والقصة وان كانت شهيرة ولكن كان بالحريّ ان تذكرها او تشير اليها وتجعلها
طليعة عنوانك وفاتحة بيانك في الشهيرات بالشجاعة ان كان المراد بها قوة القلب
وثبات دعايم الصبر نعم ذكرتَ اختها ام المومنين عايشة (رض) ولكن لم تذكر من
مزاياها سوى (انها كانت تحفظ كل شعر لبيد)

صفحة ٣٥ (قبل ان تزوجها) الافصح بل الاصح قبل ان يتزوجها

صفحة ٣٧ (احد ابناء سام مما يطول الكلام فيه) حق الكلام حسب الصناعة العربية
ان يقول وهو مما يطول الكلام فيه كما لايخفى

صفحة ٤٦ (ليس في جزيرة فقط)

الظاهر انّ الطباعة اسقطت العرب لفظا (لاسقطوا معنى ان شاء الله)

صفحة ٤٧ (اركنوا الى الرخاء) هذا الفعل بهذا المعنى مجرد لامزيد فاللازم ركنوا

صفحة ٥٠ (وقد خطب واصل بن عطاء خطبة طويلة لم يرد فيها حرف الراء)
ليتك ابصرت فذكرت خطبة امير المومنين علي ابن ابي طالب سلام الله عليه
الخالية من حرف الالف التي هي من اكثر الحروف دورانا في الكلام وهذه الخطبة من
جلايل خطبه الكبيرة الرنانة نشأها على عادته صلوات الله عليه ارتجالا وارتجلها
ارسالا وهي مع خلوها من ذاك الحرف الذي هو عمود الكلام لاتجد فيها
اثر التكلف ولا صبغة التصنع بل هي كساير خطبه لايحسّ بتلك الخاصة فيها من لم
يسبق اليه خبرها والخطبة شايعة مشهورة في كثير من كتب الامامية (كالبحار) وغيره

صفحة ٥٢ (من آداب العرب الهامة) كثر استعمال هذه الصيغة عند كتبة العصر ولا اعرف
له وجها على اصول العربية والصحيح المهمة فانه من (اهمه) فهو مهم لا من (همه) فهو هام
الا على تكلف بعيد عن الفصاحة ثم تعريفه للامثال بانها عظات بالغة من ثمار الاختبار
الطويل والعقل الراجح لاينطبق على اكثر امثال العرب فان الكثير منها لايرتبط بالعظة بوجه
ابدا ولا يحتاج الى اختبار طويل ولا عقل راجح مثل (ماوراءك ياعصام) (وافق
شن طبقه) (ماء ولا كصدّى) وامثال ذلك كثير وانما هو كلام عادي دارج استحسن

السامعون اختصاره او اصابته موقعه فتمثلوا به في موارد تطابق مورده بعض المطابقة حتى شاع وصار مثلا وهذا هو القسم الثاني من تقسيمه فاطلاق القول اولاً على مطلق الامثال انها عظات لاوجه له (وفيها) سبق السيف العزل بدل العذل ولعلها من سوء الطبع

صفحة (٥٤) (فالحفر يصورها بارزة) وقد يصورها واطية غير ناتية كما لا يخفى

صفحة (٥٥) (فياليلي كم من حاجة لي مهمة) غلط فاحش مخل بالوزن وانما هو بالترخيم (فياليل) ليستقيم الوزن ويتم التجنيس

(٥٦) (الاسلام يمحو ما كان قبله) ليس معنى هذا الكلام ما حمله عليه في سياق كلامه كما لا يخفى على المراجع على ان الرواة قد نقلوا بعض ذلك ويوجد شيء منه في الاغاني وغيره

(فيها) (كما ابادوا اي المسلمين مكاتب الفرس ومصر) هذا لم يثبت وان نقل ولكن قد نقل خلافه (كما ارادوا هدم ايوان كسرى واهرام مصر) ولكن للارتفاق بها لا للعصبية ومحو الآثار ولذلك عدلوا عنه لما راوا ان النفقة عليه توازي ثمنه

(٦٣) (وهو اي الشعر يصدر عن احد اربعة فواعل الرغبة والرهبة والطرب والغلب) الغلب نوع من الطرب وبقي من الفواعل الحزن وهو تألم النفس وانفعالها بخسران ما يعز عليها من نفس اومال اوشرف وهو غير الرهبة ولا نوع منها لانها عبارة عن خوف خسران مستقبل والحزن تأثر من خسار غابر والفرق بينهما كالفرق بين الهم والغم ولا هو من الرغبة كما لا يخفى

(فيها) (جوههم) بدل جوهم وهو من اغلاط الطبع

(٦٤) (والشعر يوجبه الحرب او الحب او الموت) اعترف هنا بفواعل خلاف ما تقدم وهي مما لا تندرج في الاربعة الا بتكلف

(٦٦) (وهي حرب البسوس بين كليب وجساس ... وفي اثنائها نبغ مهلهل اخو كليب وشهد تلك الحروب و كان شاعرا مطبوعاً فتوسط في المصالحة بين القبيلتين) انّ هذا لمن الخلط والخبط المدهش الذي لاوجه له الا ان المؤلف يكتب كيفما اتفق من دون تثبت عند الكتابة وقد فاض على الالسنة فضلا عن التواريخ والصحف وقد عرف كل ذي المام ان حرب البسوس كانت بين مهلهل وجساس من جراء قتله لكليب اخ المهلهل لابين كليب نفسه وجساس وانّ الذي قام بهذه الحرب واضرم نارها وعانى امراسها من بدئها لغايتها هو المهلهل لا انه نبغ في اثنائها

وانه هو الذى هلهل برد الشعر للشعراء فلقب بذلك و كان اسمه مرة اوغيره من الاسماء وانّ الذي توسط في المصالحة بين القبيلتين الحارث بن عباد وكان من كبار تغلب وحلمائها وذوي الراي فيها ولكن اعتزل الحرب ولم يتحزب لاحد الطرفين حتى قُتل ابنه فتكرّم وتحلم وقال عسى ان يحقن الله به الدماء وتضع الحرب اوزارها ويعتدّه المهلهل بواء باخيه كليب فبلغ المهلهل ذلك فقال هربشسع نعل كليب فاغارت الحارث هذه المهانة واحمته وعزم على مخاضة تلك السعير الموقده وانشأ قصيدته الرنانه الشهيرة التي اولها

قرّبا مربط النعامة مني لقحت حرب وايل بالتزال

يقول فيها لم اكن من جناتها علم اللـــه واني بحرّها اليوم صالي

هذا مابقي على صحيفة خواطرنامن الحداثة والى اليوم ماسمعنا ولا راينا مايشعر بخلافه والله اعلم

قوله فيها (ناهيك بالحروب التي جرت) ما اكثر مايستعمل هذه اللفظة فيما سبق ويلحق بغير معناها فانه يريدها بمعنى فضلا عن كذا او كيف بكذا مع ان صميم معناها حسبك وكفاك فيقال ناهيك به عالما اى اكتف او كفاك او كافيك وهذا لايلايم موارد استعمالاته وسياق كلماته فليتنبه القراء والكتاب لذلك

صفحة (٨٠) (وان اشعر بيت انك قائله) الصحيح (انت قائله) ومثله في (٨١) (فافنيت علاتى فاذا اقول) الا ان الغلط افحش فيه لاختلال الــوزن والصحيح (فافنيت علاتي فكيف اقول) ومثله في (٨٣) (هجزا) يحك ذراعه بذراعه) والصحيح (هزجا)

(٨٤) (اكنه متى علم) الى قوله ادرك مراد الشاعر — ان التعقيد هنا ليس من غرابة الالفاظ فقط بل من سوء التأدية وضعف التركيب كقول الفرزدق

(ابو امه حي ابوه يقاربه) وحاصله عدم وقوع الالفاظ والجمل وضعا كموقعها طبعا وخير الشعر مالو اراد المتكلم ان يتكلم على صرف طبعه لما قدّم منه موءخرا ولا اخرّ مقدّما ولا امكنه ان يحذف منه شيئا لاحتياج الكلام الى كل اجزائه كقول الفرزدق في الامام زين العابدين عليه السلام ردّا على هشام بن عبد الملك

وليس قولك من هــذا بضائره الحلُّ يعرف من انكرت والحرم

او قول نصيب في سليمان بن عبد الملك

فجاءوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

وعندي ان هذا من اهم شروط البلاغة ومقومات الشعر وهو المعيار في حسنه وقبحه (فيها) (فان شعر عدي بن زيد وهو جاهلي اسلس من شعر الفرزدق وجرير وهما اسلاميان) ليس كل شعر جرير والفرزدق على الحالة التى وصفت من الخشونة والوعورة التى يفوقها شعر عدي بل الكل منهما كثير من السهل الممتنع على عدي وكثير ممن هو في طبقته خذ من شعر الفرزدق تلك الميمية التي يقول في اولها

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

التي يقول فيها

يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم

في كفه خيزران ريحها عبق من كف اروع في عرنينه شمم

اذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرم

ومثل قوله في الحماسة

اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقوله اذا ابصروا نارا يقولون ليتها وقدخصرت ايديهم نارغالب

وكذا اذا نظرنا في شعر جرير وجدنا فيه ما هو ابهج من نسيج الديباج والحرير مثل قوله في الغزل

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهن اضعف خلق الله اركانا

وقوله في المدح الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

ونظير هذا من سائر شعرهما كثير فقل لي اصلحك الله اين تجد فيهما جلافة البادية وجفاء الاعراب واشهد ان عدي بن زيد لم يسمع ولم ير مثل هذا الديباج الخسرواني مدة عمره على ماذكرت له من ملازمة الحضارة واستبطان الريف فتثبت ياهذا فيما تسطر وانظر فيما تقول فلعل امامك من الناس من يعرف شيئا ولا يروج عليه المزيف ولا يخفى عليه المبهرج

صفحة (٨٥) (وقد يتكلم بالمثنى كأنه يخاطب اثنين كقول عبد يغوث

الا لا تلوماني كفى اللوم مابيا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا

الم تعلما ان الملامة نفعها قليل وما لومي اخي من شماليا

انا لاادري ماوجه رواية البيتين بحذف الالف من الروي مع لزومه في قواعد العربية واختلال الوزن بدونه كما لا ادري ، الغرض وما المراد وما الغاية والفايدة منه فليتنبه الناظر وليتدبر (صفحة ١٠٢) (ولذلك فلا تكاد) لاوجه لهذه الفاء في العربيه والاصح ولذلك لاتكاد وقد كثر هذا التعبير في كتابه فليتدبر

ص ١٠٩ (فصاروا اي المعلقات ثمانية) الاصح فصارت ثمانية

١١١ (ان تهب صبا الا اطعم) الاصح ان لا تهب

١١٥ (يزعمون انه قالها ارتجالا وذلك بعيد لانه ذكر فيها عدة من ايام العرب) لا اعرف وجه هذا الاستبعاد فان ايام العرب ووقايعهم كانت على طرف السنتهم وحاضر خواطرهم ولم يكن فيها اخبار عن الوقايع المتأخرة حتى تكون من قبيل الملاحم فتحتاج الى فكر وروية فراجع

نعم والمرجح ان اغلب شعر العرب وعلى الاخص الجاهلية كان ارتجالا اومايقرب منه نظرا الى قلة الكتب والكتابة فيما بينهم وكان الشاعر يقف فينشد شعره ويملي على السامعين قصيدته التي قد تتجاوز المائة عن صفحة خاطره لا صحيفة يده وهذا من نفوذ خواطرهم وصحة ضمايرهم وصفاء قرايحهم ولا اظن امة من الامم توازيهم في ذلك

١١٨ (مطلعها)

لغير العلى مني القلا والتجنب ... ولولا العلى ما كنت للعيش ارغب

الاصح في العيش اما هذا المطلع فلا شك انه للشريف الرضي وهو موجود في نسخة ديوانه القلمية والمطبوعة بتغيير لفظ العيش بالحب لا غير ويبعد ان يعمد مثل هذا السيد الابي الشهم العظيم القدر الى بيت مشهور لذلك الشاعر المشهور فينتزعه ويجعله طليعة قصيدة من غرر قصايده كما يبعد ان يكون من قبيل توارد الخاطر ومن راجع القصيدتين عرف انه بسلك السيد اشبه والى اسلوبه اقرب على ان الديوان المنسوب لعنترة اكثره او الكثير منه مستعار من السيد الرضي ونظرائه الذين بلغ الشعر في اعصارهم الى ارقى معارجه وانق مناهجه والطف اساليبه وما ابعد ما بين شعر عصر عنتره من الشعر الذي ينسب اليه وهذا شيء يعرفه اهله والله اعلم بالحقيقة

١٢٤ (ومن مراثيه باخيه) والاصح ومن مراثيه لاخيه

١٢٥ (ونبغ من اهله غير شاعر) الظاهر سقوط لفظ واحد والا فلا معنى للعبارة يريد انه نبغ في قومه شعراء كثيرون بدليل قوله بعد هذه الجملة (وكلهم فحول)

١٢٦ اذا قالت حزام فصدقوها فان القول ما قالت حزام

هذه هي تلك الشنشنة المصرية والسورية من ابدال الذال زاء وبالعكس احيانا وقد نبهنا عليها غير مرة لينتبه الكتاب الى الحياد عن هذه الوصمة فيما يلي ان شاء الله

١٢٨ (ومن نظمه اي قيس بن عاصم)

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

الى تمام الابيات الاربعة — المشهور ان هذه الابيات لحاتم الطائي وهي باسلوب اشعاره وآثاره اشبه وكفى دليلا على صحة هذه النسبة رواية ابي تمام لها في ديوان الحماسة الى حاتم لا الى قيس وعلى مثله المعول في امثال ذلك فانه الثقة الثبت والخريت في هذه الطرق والمسالك

١٣٤ ضربت بذي الزجين ربقة مالك فابت بنفس قد اصبت شفاءها

وساحني فيها ابن عمرو بن عامر خراش فادى نعمة وافادها

الصحيح وافاءها

ص ١٤٠ (كان شعره قاسيا حافيا) الاصح جافيا — فيها (وحاتم الطائي عشق ماويه) الذي يظهر ان ماوية الذي يغلب على حاتم في شعره خطابها هي بنته لا عشيقته وكان يلهج بها في قريض الكرم والسخاء لا في قريض الغزل فليراجع

(فيها) (ثم تكاثر الشعراء العشاق بعد الاسلام لانتشار التسري)

يا هذا ان العشق لا ربط ولا علاقة له بالتسري فتلك نفحة روحية ملكية وهذه بهيمية حيوانية واكثر الشعراء المشهورين في صدر الاسلام والقرن الاول كانوا من اهل البادية الذين يقل فيهم التسري واتخاذ الجواري والانهماك في التباضع بل اهل اكثرهم لا يعرفون السراري وامتلاك الجواري الا بالزيجة للطاهرات المصونات قل لي افكثير عزه ام جميل بثينة ام عروة عفراء ام غيلان مية ام قيس لبنى ام قيس ليلى كانوا يعشقون لانتشار التسري والاركان الى الرخاء وترف العيش اشهد ياهذا انك افسدت تلك الجوهرة الشريفة جوهرة العشق واذبت وجوه اولئك العشاق حياء وخجلا اولئك الذين مثلوا لنا روح العفة والطهارة اليست العرب هي التي تقول ان نكح الحب فسد وتقول لمن زاد من محبوبة على الحديث والكلام انما هو طالب ولد اما الذين تشير اليهم من اهل التسري ورخاء العيش ولعلك تومي الى ابي نواس

ومن في طبقته فاولئك ليسوا من العشق في شي. كما انهم ليسوا من العرب في الصميم

ص١٥٣ (ذكران سائلا سأل عليا ان يهجو قريشاً ذباً عن رسول الله (ص) فقال ان أذن لي النبي فقيل يارسول الله أتأذن لعلي ان يهجو القوم الذين هجونا فقال صلى الله عليه علي ليس هناك اوليس عنده ذاك) ولا مرية عند احد انه ان صح هذ الخبر فقصد رسول الله الاشارة الى اجلال مقام علي عليه السلام عن الشعر وتنزيله منزلة النبي (ص) في انه لا ينبغي له الشعر وقد ذكر المؤلف نفسه في هذا الكتاب ان الملوك والاكابر من العرب كانوا يأنفون من نظم الشعر وان امرء القيس كان يعد ممن تنازل عن مقامه وتطامن للنظم ونحن سواء سلمنا بهذه المزعمة ام رفضناها نظر الى مايروى من الشعر للنعمان بن المنذر وغيره من ملوك العرب ولكنهم ان نظموا لايضربون على وتر الشعراء وانما ينظمون على الحشمة والفخامة وما يناسب مقامهم من الشعر الملوكي والنظم الادبي وعلى اي فالنبي (ص) يوعز في هذا الى ان مقام علي اعلى من قول الشعر على عمومه فضلا عن الهجاء ولو كان بحق

(اذا ما اجتررت سفاه السفيه علي فاني اذاً اسفهُ)

واحلم عن سباب الناس جهدي واكره ان اعيب وان اعابا

نعم وان لعلي عليه السلام غنى بسلة سيفه عن اسلة لسانه وان كانتا لمن اساء سواء ولقد تقاضى منهم يوم بدر وأحد والاحزاب ونظايرها نعم تقاضى فاستوفى ونهض بالثار فشفى واشفى ولو اراد الشعر لهز المراكز وجاء بالهزاهز ولكن التشفي باللسان ياهذا حرفة عاجز ويأبى الله ورسوله ونفس امير المؤمنين له ذلك فلا يسترسل الكاتب ولا يغفل الناظر والقارئ. والله ولي التوفيق

ص١٥٧ (اشوقا ولم تمض لي غير ليلة) الاصح ولما تمض لي ليستقيم الوزن

١٥٩ (اودي وهل تنفع الاشاحة من شيء قد يحاول النزعا

هذا البيت على هذه الصورة مختل الوزن اختلالا غير مغتفر ولا تحضرني روايته الصحيحة ولكنه يستقيم بمثل

اودى فهل تنفع الاشاحة من شيء لمن قد يحاول النزعا

او ما يشبه ذلك

ص١٧٠ (وكان لكل قبيلة خطيب اوغير خطيب كما كان لها شاعر اوغير شاعر) ليتفضل الافاضل او نفس المؤلف في توضيح مراده من هذه العبارة فاني ورب الشاعر

وغير الشاعر والخطيب وغير الخطيب كلما اعملت الفكر في تحصيل معنى يتسع ظرف هذا اللفظ به ويليق له لم اجده ولم اعثر عليه نعم اظنه يريد ان يقول (والكل قبيلة خطيب واحد او خطباء كما ان لهم شاعر واحد او شعراء ولكني احاشيه عن تحميل هذه العبارة الطويلة ذلك المعنى المختصر الذي يمكن اداءه باقل من ذلك اللفظ واكثر منه في الايضاح عن المراد بان يقول شاعر اوشعراء وخطيب او خطباء احاشيه عن ارادة ذلك وغفلته عما فيه من التعقيد وسوء التأدية بل الغلط الفاحش والخروج عن موازين العربية الذي يحق لقاصده ان ينشد له

تعس الزمان لقد اتى بعجاب ومحى رسوم الفضل والآداب
واتى بكتّاب لو انبسطت يدي فيهم رددتهم الى الكتّاب

حاشاه وهو المؤلف الشهير الذي نقد عمره في مهنة التأليف والتصنيف بالعربية عن ان يريد ما لا ينطبق عليها — اذاً فما المراد بها ايها الفضلاء

ص ١٩٥ (اشهر خطباء ذلك العصر الامام علي بن ابي طالب فقد جمعت خطبه في كتاب نهج البلاغة ... ولا نظن كل ما حواه من الخطب له)

ايها المؤلف رويدك وعلى هونك فنحن قد راينا جزمياتك وقطعياتك فكيف بظنوناتك وموهوماتك الاوان الشريف الرضي اصدق منك ظنا وابعد اثرا واقرب عهدا واصح نقدا واعرف بلحن آبائه واجداده منك ومن جميع ماقذفت به ايامنا وحوته عصورنا من فطاحل العلماء وافاضل النقدة فضلا عن غيرهم نعم وان السيد الرضي لاعرف بالدين واعرق بالصدق واشد حريجة وخوفا من الله كما هو اكبر نفسا واعلى شرفا واشم انفا من ان يدس في كلام امير المؤمنين ما ليس منه او يفتري على الله واوليائه الكذب فتنبه ايها الرجل من غلوائك فقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم عليها من عليه الحكم لها فلا تقضي وتحكم لنا في مذاهبنا وامهات كتبنا التي لست منها في شيء

ايها الرجل لتعتقد انت وكل شاك ان هذا الكلام الذي حواه ذلك المجموع كله لامير المؤمنين اعني ما نسبه السيد له سلام الله عليه ليس كلمة منه لغيره وكفاك شهادة البحاث الشهير الكاتب النحرير عبد الحميد شارح النهج فانه غزير الاطلاع واسع الفضل بحاث عن الحقايق كما يعلم من كتابه وتشهد له اشعاره وآثاره وقد سجل في مواضع وبالاخص الخطب التي وقع الوهم والاحتمال

انها ليست لامير المؤمنين سجل انها له ونقل عن جماعة من فطاحل العلماء والمؤرخين انهم وجدوا تلك مروية لامير المؤمنين في الكتب التي كان نسخها قبل ان يخلق الشريف الرضي بمائة عام

ثم ولا يذهبن عليك ان لامير المؤمنين في كتب الامامية من خطبه وكتبه وعهوده اضعاف مافي النهج وكلها على اسلوبه وعهدي ببعض افاضلنا قد تصدى لجمعها وجعلها مستدركا على النهج وكان قد جمع منها شيئا كثيرا يتوفر على النهج اضعافا كله على شريطة ان يكون على ذاك النمط من البلاغة وان لا يذكر سواه ولم يكن قد اتمه فاسأله تعالى توفيقه لاتمامه وانتشاره ان شاء الله تعالى

ص ٢٠١ (فانتقلت الى عند ابنته) اقحام عندهنا ليس بالفصيح او ليس بالصحيح والاصح الى بنته

٢٠٧ (فصارت في ايامهم ماكاعضودا) الظاهر انها تحريف عضوضا والافلا معنى لها

٢٠٨ قال رجل يمني من انصار علي (ايها الناس هل من رايح الى الله تحت العوالي والذي نفسي بيده لنقاتلنكم على تاويله كما قاتلناكم على تنزيله) المعروف في كتب التاريخ ان هذا الكلام لعمار بن ياسر وهو من المهاجرين لا الانصار ومن العدنانية بالولاء لا من القحطانية

(فيها) (بجدل تصحيف بجدل

٢١٢ (فعمد) (اي ازدشير) الى استرجاع علوم الفرس من اليونان او الاستعاضة بمثلها) وهكذا نقل عن انو شروان من التعويل على كتب اليونان والمرجح ان الفرس كانت مستغنية بعلومها عن غيرها وما كانت عالة على سواها وكانت الحكمة والفلسفة والفلكيات على اوليات الدهر فيهم ومنهم وكانت فيهم طوائف مهمة من الفلاسفة والحكماء وارباب التشريع وواضعي النواميس كالاصفهبذية وقبلها الجمشيدية وقبلها الزرداشتية ومن مارس الفلسفة وقف على كثير من آرائهم الراقية وافكارهم السامية التي تقضي لهم بالتقدم على اليونان والسبق عليهم وحسبك من ذاك ان كتاب حكمة الاشراق للشيخ شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب وشرحه للقطب الشيرازي اكثره مبني على تلك الاسس والدعايم وهو يخالف الحكمة اليونانية وينهج في منهج اعلى منها بل هو من اجل كتب الحكمة واعلاها وادقها وارقاها والغرض ان الفرس كانت اغزر مادة واوسع علما ونظراً من اليونان

وان كانت الشهرة والتداول لعلوم هؤلاء دون اولئك والموروث عنهم اكثر واشهر

٢٢٢ (واقدم من دوّن الاحاديث مالك بن انس في كتاب الموطأ) الثابت المحقق ان اول من دوّن في الحديث ابن ابي رافع كاتب امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وخازنه على بيت ماله وهو قبل الامام مالك بزمان كثير

(فيها) من اغلاط الطبع (انصرفت قرائحهم الا الفلسفة وفرعها) والصحيح الى الفلسفة وفروعها

٢٢٣ (وتكوّن فقههم اي المسلمين وهو من افضل شرايع العالم وقد اسرعوا في ذلك سرعتهم في تأسيس دولتهم ونشر دينهم) حياك الله وبياك ايها الباحث ويعجبني ان اشكرك في موضع الحسنة كما انتقدعليك في موضع السيئة نعم واصابتك الحقيقة ثم اعترافك بها لمن اجدى الحسنات وان الحسنات يذهبن السيئات ان شاء الله

٢٢٥ (فالظاهر ان العرب لما خالطوا السريان في العراق اطلعوا على آدابهم وفي جملتها النحو فاعجبهم فلما اضطروا الى تدوين نحوهم نسجوا على منواله) هذا من قبيل ما يقال من الاجتهاد في مقابلة النص واعمال الحدسيات ضد الحسيات فان المؤرخين وثقات العربية قد فاضت رواياتهم بان امير المؤمنين قد القى اصول النحو على ابي الاسود وقال له الكلمة اسم اوفعل او حرف والاسم ما انبأ عن المسمى والفعل ما انبأ عن حركة المسمى والحرف مادلّ على معنى في غيره والكلام ظاهر او مضمر وما ليس بظاهر ولا مضمر الى غير ذلك من القواعد وامير المؤمنين ممن لم يعهد له مخالطة مع السريان ولا مزاولة لهم وكان بما الهمه الله من العلوم والكفاءة غنيا عنهم وعن غيرهم وممن شرح القصة واسباب الوضع ونسبته الى امير المؤمنين ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني والزجاج وغيره فليراجع

ص ٢٢٨ (من احراف الالسنة الاخرى) لم يعهد هذا الجمع ولم نجده في اللغة والموجود حروف واحرف

٢٢٨ (ذكر الحركات الثلاث من الضمة والفتحة والكسرة وارجعها بالمناسبة والمشابهة الى الواو والالف والياء ولم يذكر علامة الجزم واهمل البحث والتعرض لها بتاتا

٢٣٠ (فلما ظهر الاسلام واشتغل المسلمون بالفتح والحرب حتى استتب لهم الامر ونزعوا الى الجهاد تدرجوا في وضع التاريخ) سياق الكلام يعطي ان مراده النزوع عن الجهاد لا اليه بدليل قوله واستتب لهم الامر فليتدبر

٢٣٧ (اصحاب شعر وخيال وحساسة مثلهم) لا احس لهذه الصيغة حسا في العربية ولا اعرف وجها لهذا التركيب الغريب فلو قال اصحاب شعر وخيال واحساس لكان اولى واحسن

٢٣٨ (لكنه كان من اصحاب الشاعرية) لا يخفى ركاكة هذا التعبير وتفاهته ان صح له مخرج في العربية

٢٥٠ (فكان اكثر الشعراء في هذا الدور اما على الحياد خوفا من معاوية او ينصرون العلويين) الاصح اعادة اما بدل او كما صرح علماء العربية فيما لو تأخرت اما كما في المقام

(فيها) (وخالف على مروان) والاصح وخالف في مروان

٢٥٦ (وخذوا مسايحكم بنو النجار) الصحيح (وخذوا مسا حيكم بني النجار)

٢٥٧ (بطرد المتنين منتبر الخصر) الصحيح منبتر الخصر)

٢٦٢ (قوله في هجو التيم) تيم وعدي كقريش لاتدخل عليها الالف واللام الا عند النسبة فيقال التيمي والعدوي والصحيح هنا في هجو تيم

٢٦٣ (يظهر ان القول الكا منه) هذا من اغلاط الطبع الغريبه ولعله يريد القوى الكا منه

٢٧٨ (و كان من احسن الشباب وجها) الصحيح من احسن الشبان وجها

ص ٢٩٤ (اني لاذكرها بما تكرهون) الصحيح لا اذكرها

٢٩٧ (وقلبي الى البيت الذي لا ازور) الشطر غير مستقيم الوزن فليراجع

٣٠٣ (في كفه خيزران ريحها عبق) الاصح ان هذين البيتين من جملة قصيدة الفرزدق التي تقدم بعضها في الامام زين العابدين عليه السلام

٣١٢ (فتبين لنا من ذلك انه لا يقرأ) هذا مغاير لما تقدم من حفظه القرآن ويبعد حفظه على غير قراءة منه والحق ان الفرزدق كان من اكمل الشعراء واوفاهم عهدا وازكاهم عملا واصحهم دينا وابرهم بوالديه وباخوانه وقد حج بامه مرارا التي في احداهن الامام الحسين بن علي بن ابي طالب سلام الله عليه عند توجهه الى الكوفة فقال له في طويل محاورة بينهما يا سيدي ان قلوب اهل العراق معاك وسيوفهم عليك ثم سأله عن مسائل في الحج والصلاة وودعه ومضى

(فيها) (ويقال ان ذا الرمة ايضا كان لا يقرء) الذين كانوا لا يقرأون كثيرون

ولكن حبذا لو دلنا المؤلف على الكتّاب والقراء منهم فانه هو الحري بالذكر

تلك ملاحظاتنا على هذا الجزء حينما نحن نستطرده أستطرادا وننحدر في مطالعته انحدارا وننقد ما خطر على الفكر عرضا وسنح على الخاطر عفوا وجاءنا من النظر ارسالا من دون ريث وامهال وتأمل ومراجعة ولا استمداد من المصنفات تعويلا على المصادر والامهات لعدم وفاء الوقت بذلك لوكانت عتيدة حاضرة فكيف واليد عنها قاصرة وشقة السفر دونها حاصرة

والغرض اننا لا نأمن الخطأ فيما نقدناه ولا ندعي العصمة فيما قلناه وانما ذكرنا ماخطر لدى الوقت والله اعلم بالحقيقة

كما احسب ان الناقد المتتبع والباحث المتطلع سوف يعثر على كثير من الملاحظات على الكتاب فاتنا الالتفات لها او التنبيه عليها لضيق المدة وقلة العدة وها نحن نراجع الجزء الثاني منه ونقيد في اثناء المطالعة والمراجعة ما يسنح لنا من الملاحظات عليه والله ولي الصواب والهداية

نقد الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية

صفحة ١٠ (في سبب وضع النحو) عرفت فيما سبق ان وضع النحو كان بتعليم امير المؤمنين لأبي الاسود وهذا هو المرجح من المصادر الوثيقة كاغاني الاصبهاني وامالي الزجاج وطبقات الانباري وغيرهم من مشاهير علماء العربية وهم اسبق واوثق من القاضي ابن خلكان فيما نقل من نسبة الواقعة مع زياد

(١٢) ذكر ان اسباب تدوين الفقه هو صيرورة الاسلام دولة . ولا علاقة لصيرورته دولة بذلك ابدا وانما الباعث على تدوينه توقف العبادات الواجبة على كل مكلف عليه كيف والاسلام لم يصر دولة الا بعد مضي مدة الخلافة طبق ما انبأ به النبي صلوات الله عليه في اعلام نبوته من الحديث المشهور (الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير ملكا عضوضا) و اول من صنف احاديث الفقه ابو رافع مولى رسول الله واحد الخصيصين بامير المؤمنين عليه السلام

ثم ابنه عبيد الله بن ابي رافع وهو تابعي من خيار الشيعة و كان كاتبا له وله حفظ كثير وجمع كتابا في فنون الفقه من الوضوء والصلاة وغيرها كما ان لابيه كتاباً في ذلك وكان ابو رافع صاحب بيت المال بالكوفة لامير المؤمنين وابناه عبيد الله وعلي

كاتباه ولآل ابي رافع هؤلاء مزايا جليلة ومساعي جميلة ومآثر في الاسلام جمة من ارادها فليراجع كتب الامامية ومؤلفاتهم في الرجال

والغرض ان الفقه دوّن وصنف قبل ان يصير الاسلام دولة وتعود الخلافة ملكا

صفحة ١٣ (لم يصلنا من اساليب الانشاء الجاهلي غير سجع الكهان الخ) قف هنا فستعجب اشد العجب اذا تذكرت ان المؤلف نفسه قد ذكر في الجزء الاول من كتابه هـذا قصة النعمان مع كسرى انو شروان يوم بعث النعمان اليه بخطباء العرب وحكمائها كاكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة والحرث بن ظالم وقيس بن مسعود وعامر ابن الطفيل وجماعة من نظرائهم فلما دخلوا على كسرى خطب كل واحد منهم خطابة باهرة تشتمل على مزايا العرب وآدابها ومكارم اخلاقها والقصة بتفاصيلها مذكورة في الجزء الثالث من العقد الفريد كأن المؤلف نسي هذه الخطب اولم يراجعها او انه يرى انها ليست من اساليب الانشاء الجاهلي على حين ان سجع الكهان منه نسي هـذا كما نسي خطب وفود قريش على سيف ابن ذي يزن بعد قتله الحبشة وكان في جملة الوافدين سيد العرب عامة وقريش خاصة عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله سلام الله عليه وعلى اجداده واولاده

ولعبد المطلب هناك خطبة شهيرة تتدفق بمياه البلاغة والفصاحة نسي وفود حسان بن ثابت على النعمان بالحيرة وعلى آل جفنه بالبلقاء نسي خطبة النابغة عند النعمان يفضله على بعض اقرانه من الملوك ويقول فيها والله ان شمالك خير من يمينه وقفاك خير من وجهه ويومك خير من سنته الى آخرها افليس هذا كله من اساليب الانشاء فكيف يسوغ لمثل هذا المؤلف المؤرخ لآداب اللغة العربية ان يدعي عدم وصول شيء من اساليب الانشاء الجاهلي غير سجع الكهّان وكل هذا بمرأى منه ومسمع

٢٤ في احوال افلاطن انه قال بثلاثة اصول (الاله والمادة والادراك) اقول ليس من الانصاف ولا من حسن الجزاء وكرم الوفاء ان يرمي هذا الفيلسوف الكبير بالشرك وهو الذي مهد قواعد التوحيد ووطدّ دعائم ادلته وقد ثبت من حاله ومن السبر لكتبه ومقالاته انـه لا يقول الا باصل واحد وهو الاله الاول موجدا اصول العالم المادة والصورة والادراك

٤٦ (وكنت في حياتك لي عظات فانت اليوم اوعظ منك حيا)

انظر ما افحش هذا الغلط المخل بالوزن والمعنى سواء كان من سوء الطباعة ام

الطبع والصحيح (وكانت)

صفحة ٤٨ في الماجنين (امامهم ابو نواس) من يستقصي النظر في مطيع بن اياس وحماد عجرد واصحابهم ويحيي بن اكثم وحزبه في عصره ممن جمع بين الخمر والغلمان والزندقة وهتك حرمات الدين ونقض عروش الطهارة والعفة يستبين له ان ابا نواس كان اخفهم واهونهم وان امامهم الذي سن لهم هذه الخلاعة وفتح لهم بابها الوليد ابن اليزيد بن عبد الملك وقبله عمه صاحب حبابة وقبلهم الوليد بن عقبة بن ابي معيط الذي صلى الغداة بالناس في مسجد الكوفة اربعا وهي ركعتان ثم التفت وقال ازيدكم فقالوا حسبنا فما زلنا منك في زيادة وقاء الخمر مرة اخرى في المحراب وبالجملة فما من بلية دخلت على الاسلام الا وجدتها لو فتشت عنها امويه وما هذه الامور باعظم عند الله من قتل ريحانة رسول الله وسبطه وسبي ذراريه واهله ولا اشد بلية على الاسلام من هدم الكعبة وسفك الدماء على قبر رسول الله يوم الحرة

ص ٥٧ تحت عنوان شعراء الشيعة عدَّ ثلاثة السيد الحميري ودعبل وديك الجن مع ان في ذلك العصر وما يقاربه من شعراء الشيعة عدد كثير كصريع الغواني مسلم ابن الوليد وكان من المجاهرين بالتشيع ولما شاعت ابياته التي منها قوله

انس الهوى ببني علي في الحشا واراه يطمح عن بني العباس

تطلبه الرشيد حتى ظفر به واراد قتله فقلب الابيات الى مدح بني العباس في الحضرة فتعجب الرشيد من بداهته وعفى عنه — وكابن الرومي وله في ذلك نظم وقصايد رنانة منها قصيدته الطويلة التي ذكرها بطولها ابو الفرج الاصبهاني في آخر كتابه الشهير بمقاتل الطالبيين المطبوع منذ اعوام والقصيدة اولها

بعينك فانظر اي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج

وهي من غرر القصايد في اهل البيت فارجع اليها ان شئت وكابي تمام وحسبك منه ذلك قصيدته المطبوعة في ضمن ديوانه الشهير

اظبية حيث استنت الكثب العفر رويدك لا يغتالك اللوم والزجر

يقول فيها

ويوم الغدير استوضح الحق اهله بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر

منها وكوفي ديني على ان منصبي شآم ونجري اية ذكر النجر

وكالبحتري وكفاك قصيدته القافية تضمنها ديوانه المطبوع ومستهلها

ألفاق صب من هوى فافيقا

فارجع اليها تجد فيها من ذلك شيئا كثيرا

ومنهم العكوك وابو دلف وابو نواس على الاغلب ومنصور النميري على اليقين والاشجع السلمي على الظن وخلق كثير من مشاهير الشعراء وكبارهم ولا يسع الوقت لتعدادهم وسرد الشواهد على تشيعهم وقس على هذا ساير العصور السابقة على ذلك العصر واللاحقة فراجع

٨٧ (فتى نزار وكهلها واخي الجـ ود حوى يمانيـه من كثب)

هكذا روي البيت وهو فاقد الوزن والمعنى ولا تحضرني روايته الصحيحة فليراجـع

٩٠ ابن عبد القدوس وهو القايل

اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

بودي ان لا يظهر للمؤلف مثل هذا الاهمال والاسترسال ولكن ما ادري بايِّ عذر اعتذر عنه واي نسيان يبلغ بالمرء هذا الحد (عافانا الله) افليس هو قد ذكر في الجزء الاول في ترجمة عمرو بن معديكرب هذا البيت من جملة اشعاره وما كنت احسب احدا يتمثل بهذا المثل الساري على اطراف الالسنة الا وهو يعلم انه لعمرو بن معديكرب من قصيدته التي يستهلها بقوله

امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع

ومن حكمها

وكيف تريدان تدعى حكيما وانت لكل ما تهوى تبوع

وقد طفحت كتب الادب بنسبة البيت الى ابن معديكرب حتى البحتري في ديوان حماسته وغيره في غيره وقد ضمنته الشعراء واشار بعضهم الى قايله في نفس شعره فقال بعضهم واحسن ما شاء

فهلا اذ عجزت عن المعالي وعمّا يفعل الرجل القريع

اخذت بقول عمرو حين ذكى وشب لناره الشرف الرفيع

اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

ص ١١٢ (زعم ان ابا الاسود وضع النحو في العصر الاموي) وقد عرفت انه لم يضعه في الاموي بل وضعه بتعليم علويّ في العصر العلوي

في صفحة ١٣٧ وما بعدها ذكر الفقه وايمة الفقهاء الاربع وذكر ان المنصور

نصر ابا حنيفة واصحابه وروّج مذهبه وهذا شيء لم يعهدولم يعرف الا خلافه كيف والمنصور ضرب ابا حنيفة بالسياط واراد ان يسقطه من عيون الناس بتولية القضاء فلما ابى ضربه ونكبه وازرى به اشد الازراء والاسباب السياسية في ذلك ان المنصور كأنه احس برأي ابي حنيفة وانه زيدي المذهب يرى ان الخلافة لاهل البيت وكان قد بايع محمد وابراهيم قتيل (باخمرا) الذي خرج على المنصور هو واخوه حتى قتلهم وكان ابو حنيفة يحث الناس سرا على الخروج مع ابراهيم في نواحي الكوفة ويقول لولا دين علي وامانات للناس عندي لكنت اول الخارجين معه وهذا ذنب لا يحتمله المنصور من ابيه وجده فكيف بابي حنيفة ويظهر انه كان يتربص الدواير لقتله لولا دفع الله وظني انه قد اشار الى بعض ذلك ابو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين او غيره من كتبه فليراجع هو او (الحدايق الوردية في ائمة الزيدية) وهو من الكتب المهمة لم يطبع حتى الآن وفي مكتبتنا بالعراق نسخة منه ثم ذكر المؤلف ائمة الفقه الاربعة وكان حتما على مبتغي الاستقصاء والاحاطة ان يذكر في طليعتهم سيدهم وامامهم واسبقهم واقربهم الى رسول الله حسبا ونسبا واشرفهم في العلم نفسا وجدا وابا الا وهو الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب بقية رسول الله من بضعته الزهراء سلام الله عليهم جميعا وهذا السيد الامام قد قرأ عليه ابو حنيفة (رض) كما نص عليه جماعة منهم عبد الحميد في اول شرح النهج وقرأ عليه مالك (رض) كما نص عليه الذهبي في ميزانه وبالجملة فان مذهبا لا يزال الداينون به على اوليات الاسلام والى اليوم لايقلون عن مائة مليون اعني ثلث المسلمين لحرّي بالذكر جدير بالتبجيل فكيف وهو مذهب اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

ص ١٤٤ (ومن الفقهاء في هذا العصر فقهاء الشيعة لم ينبغ منهم من يستحق الذكر هذا موضع المثل

والنجم تستصغر الابصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

ما ذنب فقهاء الشيعة ونوابغها ان قصر ذرع باعك وضاق وسع اطلاعك عن حظوتك بالوقوف على شهير آثارهم وعظيم مساعيهم

انا وربك الكريم واقف في مقامي هذا وقوف المتردد الحاير ما ادري ما اقول في قبالة قولك هذا كما لا ادري اني او اردت ذكر نوابغ الفقهاء من الشيعة في هذا

العصر الذي تشير اليه اعني عصر المائة والاربعين عصر الاستنارة بوجود الامام الصادق جعفر بن محمد سلام الله عليه وعلى آبائه اكان يسع اخبارهم وتراجمهم قدر جزئي كتابك هذا ام لا كما هو الاغلب هب يا هذا انك لم تقف على شهير كتب الشيعة التي طبعت طبعات متعددة فضلا عن واحدة في ايران والعراق والهند وبومباي ولكن افلا عدات في الوزن فنظرت في ميزان الاعتدال المطبوع في مصرك لترى من نوابغ فقهاء الامامية في ذلك العصر ما تودّ لو وقفت يدك ولم تكن كتبت ما كتبت ولا قلت ما قلت اين غاب عنك ذكر ابان بن تغلب وابان بن عثمان وجابر الجعفي وهشام بن سالم وهشام بن الحكم وزرارة بن اعين واخواه حمران وبكير وباقي بني اعين واولاده العشرة ومحمد بن مسلم وابو ليث المرادي وبريد بن معاوية العجلي اولئك الذين يقول فيهم امامهم ومعلمهم جعفر الصادق لولا هؤلاء لذهب الفقه ولم يعرف الاستنباط احد الذين يقول فيهم وهو الصادق اولئك امناء الله على حلاله وحرامه اولئك الذين رووا فاكثروا واستنبطوا فمهروا حتى ملأوا الطوامير والقماطير بفقههم وعلومهم وصفوا لمن بعدهم مناهله واوضحوا معالمه ودلائله ولكن ليست هذه باول ظليمة على العلم والعلماء وبخس لحقوقهم وحطّ لاقدارهم فالحافظ الذهبي وان اكثر من ذكرهم ولكنه قد مال لسان ميزانه فلم يسلم سوى اقلهم من وصمة وصمهم بها ونقيصة قذفهم فيها وهم برآء منها براءة النجم من الاوحال والشمس من تقوّس الهلال يبرءون الى الله منها براءة الذيب من دم ابن يعقوب

نعم واعظم عند الله من ذلك ما نبزهم به الشهرستاني في الملل والنحل راجع ما ذكر في هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي وما رماهم به من القول بالتجسيم وغيره من الشناعات والفظايع التي لا ظل لها من الحقيقة ابدا فهذه كتبهم ومقالاتهم واخبارهم محفوظة عندنا يدا بيد ومن عصر الى عصر ليس فيها الا الحكمة العالية والفلسفة الشرعية المنزهة من كل وصمة واوثة ولكن (وما آفة الاخبار الا رواتها)

ليس في اقوالهم وآرائهم الا ما هو طبق مقالات امامهم ومعلمهم الامام جعفر بن محمد الصادق الذي عليه تخرّجوا وعلى منواله نسجوا وهو اعرف بالله وبشريعة جده من كل احد قبله او بعده واولئك الاعاظم ما اخذوا من غيره ولا اقتبسوا العلم من سواه وقد تناثر الثناء منه عليهم وحسبهم بذلك مجدا وكرامة واستدراكا لكل فرية عليهم ووقيعة

فياليت ما بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

ولقد كان بودي بسط الكلام في هذا المقام باكثر من هذا ولكن بكرهي وقفت وكففت دون بلوغ الغاية وقبل استيفاء الغرض وايضاح جلية الحال

ولولا المزعجات من الليالي لما ترك القطاطيب المنام

ما الحكم الا لله ولا حول ولا قوة الا به

ص ١٥٨ ذكر في هذا العصر ابن الرومي والبحتري وغيرهما ولم يميز بين شعراء الشيعة وغيرهم كما صنع في العصر الاول وقد عرفت فيما سبق اخلاله بالتنبيه على تشيع كثير منهم في ذلك الدور كابي تمام ومسلم وغيرهما كاخلاله هنا بالتقسيم وتعيين المتشيع من غيره واكثر من ذكرهم هنا هم من الشيعة الصراح كابن الرومي والبحتري والبسامي والخبزارزي

ص ٢٠٨ تحت عنوان علماء الكلام واول من عدّه من علماء الكلام ابا حنيفة كما انّ اقدم كتب الكلام الفقه الاكبر وان هذا لمن الغريب المدهش ان يُعدّ ابو حنيفة وهو امام الفقه وكبير الفقهاء من علماء الكلام ويعد كتابه واسمه الفقه الاكبر من اقدم الكتب الكلامية اذاً فاللازم ان يعد الاشعري من ائمة الفقهاء وكتابه اللمع من اقدم كتب الفقه ولكن دخالة المرء فيما ليس له ولا هو منه يوقع في مثل ذلك ثم ذكر بعض اكابر المعتزلة كالعلاف والجبائي وشيخ الاشاعرة ابا الحسن الاشعري ولم يذكر احدا من مشاهير الشيعة ومتكلميهم كانّ الشيعة ما كانت ولم تكن او كانت ولكن ليس لها متكلمون وحكماء كما ليس فيها فقهاء يستحقون الذكر فيما يزعم

لقد فاتك يا هذا علم كثير وضيعت على نفسك طرفاً من التاريخ كبير وفي الشيعة عدة وافرة من مشاهير المتكلمين من معاصري ابي حنيفة وممن قبله قد صنفوا وألفوا وبحثوا في الكلام والحكمة ونقبوا ولهم المقالات الخطيرة والمباحثات الشهيرة مع مخالفيهم وقد مرّ عليك اسماء طرف منهم كابان بن تغلب وابان بن عثمان ومحمد ابن سنان وهم اقدم من ابي حنيفة وكهشام بن الحكم وهشام بن سالم وابي جعفر محمد الاحول المعروف عند الشيعة بمؤمن الطاق وكان لشدة عارضته وقوة حجته وسلاطة لسانه يلقبّ عند غيرهم بشيطان الطاق — حسبك ان الشهرستاني على تحامله على اولئك الكرام الفطاحل ورميهم بكل عوراء هم الى الله منها براء لم يستطع اخيرا الا ان اعترف بغزارة علمهم وجلالة اقدارهم واشار الى براءة ساحتهم من تلك التُّهم التي

الصقت بهم وادرك منشأ تلك النسب والاسباب التي اوهمت اعتزاءهم الى تلك المزاعم الباطلة فقال ما نصه (وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الاصول لايجوز ان يغفل عن الزاماته على المعتزلة فان الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ودون ما يظهره من التشبيه وذلك انه الزم العلاف فقال انك تقول الباري عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في انه عالم بعلم ويباينها في ان علمه ذاته فيكون عالما لا كالعالمين فلم لا تقول هو جسم لا كالاجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالاقدار الى غير ذلك) وما اجلى هذه الحقيقة وابينها واصحها وامتنها وليته اطرّد القول عليها في غيره من امثال هشام ولكنه ما لبث ان ذكر الزرارية اصحاب زرارة بن اعين والنعمانية اصحاب محمد بن النعمان الاحول مؤمن الطاق فخلط فيهم مثل ذلك الخلط الذي وصم به هشام ثم رحضه عنه بتلك الحقيقة التي اصابها وانصف فيها وبالجملة فهذه الفرق التي ذكرها كلها فرقة واحدة وكلهم شيعة امامية يضربون على وتر واحد وينهجون على منهج فرد وهم دعايم مذهب الشيعة واصول اركانه وبوساطتهم انتقلت الينا علوم آل محمد عليهم السلام لم تختلف عقايدهم ولا تعدّدت مذاهبهم لا في الاصول ولا في الفروع لانهم يمتاحون من قليب واحد وعين صافية ولكن لقوة عارضتهم في مقام الحجاج مع خصومهم قد يلزمون الخصم بلازم فاسد وتال باطل فيحسب الجاهل او المتجاهل ان ذلك قولهم فيبادر بالطعن عليهم ويجعل ذلك من معتقداتهم والا فاقوالهم وآراؤهم محفوظة عندنا ضمن اصولهم وكتبهم المتسلسلة روايةً عنهم ليس فيها شيء مما يرميهم به خصومهم واغيارهم قال شيخنا النجاشي في اثناء ترجمة مؤمن الطاق (اما منزلته في العلم وحسن الخاطر فاشهر وقد نسب اليه اشياء لم تثبت عندنا وله كتاب افعل لا تفعل رايته عند احمد بن الحسين كتاب كبير حسن وقد ادخل فيه بعض المتاخرين احاديث تدل فيه على فساد وله كتاب الاحتجاج على امامة امير المؤمنين وكتاب كلامه على الخوارج وكتاب مجالسه مع ابي حنيفة والمرجئة وله مع ابي حنيفه حكايات كثيرة منها ثم ذكر الحكاية المعروفة وقد ذكر الشهرستاني بعض هذه الكتب وزاد فيها فقال وقد صنف محمد بن النعمان المشيعة كتبا جمة منها كتاب افعل لم تفعل وكتاب افعل لا تفعل ه ثم ان هؤلاء واضعافهم كلهم من متخرجي الامام جعفر بن محمد الصادق وابيه محمد الباقر صلوات الله على جدهم وعليهم ومن مشاهير المتكلمين في ذلك العصر المتخرجين على ذلك الامام ع المفضَّل بن عمر الجعفي صاحب كتاب التوحيد المشهور بتوحيد المفضل الذي املاه عليه الامام الصادق عليه

السلام كدروس متسلسلة في ايام متوالية مشحونة بالادلة على اثبات الصانع وتوحيده والعلوم الكونية واسرار الوجود ويحق ان يقال انه احسن ما قيل وألف في رد المعطلين والملحدين (اوله)

روى محمد بن سنان قال حدثنا المفضل بن عمر قال كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وانا مفكر فيما خصّ الله به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله من الشرف والفضايل وما منحه وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الامة فاني لكذلك اذ أقبل ابن ابي العوجا فجلس بحيث اسمع كلامه واذا رجل من اصحابه قد جاء فجلس اليه فتكلم ابن ابي العوجا فقال لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله فقال له صاحبه انه كان فيلسوفا ادّعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء ودخل الناس في دينه افواجا قرن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت اليها دعوته برا وبحرا وسهلا وجبلا ليتجدد في كل ساعة ذكره ولا يخمل امره فقال ابن ابي العوجا دع ذكر محمد وحدثنا في الاصل ثم ذكر بدء الاشياء وزعم ان ذلك باهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صانع

... قال المفضل فخرجت من المسجد محزونا مفكرا فيما بُلي به الاسلام من كفر هذه العصابة وتعطيلها فدخلت على مولاي صلوات الله عليه فاخبرته بما سمعت فقال يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري جل وعلا في خلق العالم والسباع والبهايم والطير والهوام والنبات والشجر ما يعتبر به المعتبرون ويسكن الى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون فبكّر علي غدا ان شاء الله ثم ساق الكلام في الكتاب الى آخره وهو ينتظم من اربعة مجالس في اربعة ايام من الغدوة الى الزوال وفي آخرها يقول له الامام انصرف اذا شئت مصاحبا مكلوء فانت منّا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى ولا تسألن عما وعدتك به حتى احدث لك منه ذكرا قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لا ينصرف احد بمثله والحمد لله رب العالمين

وله ايضا كتاب آخر على هذا النمط والاسلوب يعرف بكتاب الاهليلجة واوله حدثنا محرز بن سعيد النحوي بدمشق قال حدثني محمد بن ابي مسهر بالرملة عن ابيه عن جده قال كتب المفضل بن عمر الى ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما

السلام يعلمه ان اقواما من اهل هذه الملة يجحدون الربوبية ويجادلون على ذلك ويسأله ان يردّ عليهم قولهم ويحتج على حسم ما ادعوا حسب ما احتج على غيرهم فكتب ابو عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم وفقنا الله واياك لطاعته واوجب لنا ولك رضوانه برحمته ثم ساق الكلام الى آخر الكتاب وكله من كلام الصادق عليه السلام وفيه من مواد العلم وينابيع الحكمة ما يشهد انه ما تدفق الا من ذلك الينبوع ولا لمع الا من ذلك القبس ولكن الناس لما انزووا عن بيت الرحمة وهجروا مصابيح الهدى حرموا انفسهم الاقتباس من تلك العلوم والاستضاءة بتلك الانوار الا من سبقت له العناية وسيقت له من الله الهداية وعلى ايّ فللمفضل هذا من الفضل ما لا يسعه المقام وله عدة كتب غير هذه منها كتاب بدء الخلق كتاب علل الشرايع كتاب يوم وليلة ولاصحابنا الامامية فيه كلام طويل في الجرح والتعديل والحق الذي لا غشاء عليه انه من اجل اصحاب الائمة واصحاب الاسرار والمعارف والمقامات العالية كما ذهب الى ذلك جماعة من باحثي علمائنا المتاخرين المتضلعين في نقد الرجال ومعرفة الاحوال

ومن اكابر المشاهير في هذا العصر من متكلمي الشيعة وفقهائهم محمد بن ابي عمير الازدي من موالي المهلب بن ابي صفرة وهو من جلالة القدر وغزارة العلم بمكان حتى عند غيرنا وقد تكرر ذكره في كتب الجاحظ منها في المفاخرة بين العدنانية والقحطانية وقال في البيان والتبيين حدثني ابراهيم بن داحية عن ابن ابي عمير وكان وجها من وجوه الرافضة ه

وقد عرفت اننا لا نريد في هذا المقام ان نستوفي ذكر جميع اولئك الائمة الاعلام وقد سبق منا الاعتراف بعجزنا وعجز المجال عن الاضطلاع بهذا العبء الثقيل ولكن كلمتنا التي نريد التسجيل عليها فيما ههنا انه اليس من المزري بمدعي التضلع والجالس على منصة الحكم والقابض في تاليفه حسب زعمه على دفتي الرتق والفتق اهمال مثل هؤلاء الاعاظم والاساطين والدعايم اليس من الحيف والجنف الفاحش عدم ايفائهم حقوقهم مع ما لهم من السوابق والمآثر في الاسلام وقدامى التاليف والتصنيف والمساعي التي تفوقهم على كثير ممن ذكر — فان اهماله في ميدان امثالهم لا يخلو اما لعدم الوقوف عليهم او للتهاون بامرهم وفي كلا الامرين من الانتقاد ما لا يخفى

ص ٢٠٩ (واصحابها ثقة) لا يتم هذا التركيب على العربية ويبعد كونه

من اغلاط الطبع

٢١٠ ذكر الصحاح الست وترجمة موءلفيها وبخس نفسه في عدم الوقوف والحظوة باصول الحديث من كتب الامامية التي دونت في نفس ذلك العصر وما يقاربه كالكافي الذي يحق ان يجعل في عليَّة كتب الحديث وارقاها وهو من تاليف ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني وقد جمعه في عشرين سنة وشحنه بابواب الحكمة والتوحيد والنبوة والامامة والاخلاق وآداب العشرة وجعل ذلك في عدة كتب ومجلدات يجمعها في الطبع مجلد واحد ضخم ثم الفروع من ابواب الطهارة الى آخر الديات في مجلدين فخمين مطبوعتين طبعة هندية وطبعات ايرانية في غاية الحسن والجودة والاتقان ثم الروضة وهي مجلد مستقل ولكن ليس كتلك فيه نوادر وفوايد كثيرة عن اهل البيت من حكايات واقاصيص عن الامم الغابرة والرسل السالفة ويليه في الفضل كتاب (من لا يحضره الفقيه) لمحمد بن علي بن بابويه وهو مطبوع في مجلدين طبعة جيدة في الهند وفي ايران وكذلك التهذيب والاستبصار لمحمد بن الحسن الطوسي هذه هي الكتب الاربعة التي عليها معول الشيعة الامامية من عهد عشرة قرون الى اليوم وكلها من مصنفات القرن الرابع للهجرة وهي خلاصة الاصول الاربعمائة التي الفها اصحاب الايمة من عصر الصادقين اعني قرن الهجرة الى المائتين وخمسين ولعل آخر الاصول كتب محمد بن الحسن الصفار صاحب بصاير الدرجات وقد عدّ له النجاشي سوى ذلك ثلاثة وثلاثين كتابا وذكر انه توفي بقم سنة تسعين ومائتين وبصاير الدرجات شايع مشهور قد طبع في ايران طبعة قديمة جيدة وهناك كتب كثيرة من كتب الحديث في القرن الثالث والرابع راجع من النجاشي ترجمة محمد بن احمد بن الجنيد الكاتب الاسكافي ومحمد ابن علي بن الحسين بن بابويه القمي فقد ذكر لكل واحد منهم ما ينيف على مائتي تصنيف وكثير من تصانيف ابن بابويه اليوم شايعة مشهورة وذكر لمحمد بن مسعود العياشي السلمي وهو قبلهما ما يناهز مائتي كتاب هذا بعض ما تيسر لنا الاشارة اليه من كتب الحديث للامامية في خصوص تلك العصور المتقدمة فما ظنك بما بعدها من اول القرن الخامس الى يومك هذا حسبك كتاب واحد منها وهو كتاب البحار للعلامة محمد باقر المجلسي من اعيان القرن الحادي عشر يبلغ قدر هذا الموءلف الفخم ضعف صحيح البخاري اكثر من ثلاثين مرة وقد طبعت اولا متفرقات من اجزائه في تبريز وطهران ثم طبعت تمام دورته في سبعة وعشرين مجلد ضخام في طهران بطبع حجري

ولكنه في غاية الحسن والاتقان وكانت طبعته على نفقة امـين دار الضرب (ضرب النقدين) ثم وزع هذا الكريم الشهم اكثر نسخه على اهل العلم مجانا ومع ذلك فقد بلغ ثمن الدورة الواحدة اكثر من عشرين ليرة عثمانية برهة من الايام في العراق

هذا انموذج من مآثر الشيعة ومأثوراتهم فانظر ما ذا اضعت على نفسك من متسع العلم وجليل الآثار نعم اضعت على نفسك جانبا مهما من تاريخ العربية والاسلام افهل يسوغ لمن يتصدى لمثل ما تصديت له ان يسترسل كاسترسالك ويغفل مثل غفلتك ويتهاون باهم امة من الامم الاسلامية كتهاونك مع تيسر الاسباب وتوفر الدواعي وتسهل الوسائل

ص ٢٤٥ (اشهر شعراء هـذا العصر) يعني العصر العباسي الثالث ثم ذكر المتنبي وابا فراس وكشاجم ونظرائهم ونقـدنا السابق يأتي عليه هنا ايضا فقد كان ينبغي بل يلزم على طرز سياقته الاولى وطليعة افتتاحه هذا الجزء ان ينبه على شعراء الشيعة ويفردهم بالذكر عن غيرهم كما صنع في العصر الاول اذ اللازم اما رفض هذا الاسلوب راسا وتركه بتاتا واما الجري على سياقته الى غايته اما التفصيل فـلا نعرف وجهه كما قدمنا بيدان اكثر شعراء هذا العصر وادبائه بل وملوكه ووزرائه كانوا من تلك الطايفة الاسلامية اعني الشيعة الامامية ناهيك بأبي فراس الحمداني صاحب القصيدة الذهبية الشهيرة التي شرحت بشروح كثيرة التي يقول في اولها

الحق مغتنم والدين مهتضم وفيء آل رسـول الله مقتسم

وفيها من الحجاج والبراهين لتفضيل ابناء علي على من سواهم من العباسيين وغيرهم والاعتراف بامامتهم ما يحق لها ان تجعل في ساقة الكتب الكلامية على انها من اعلى طبقات الشعر في البلاغة تحسبها من السلاسة شعرا منثورا او حديثا منشورا مثل قوله

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرضا لو انصف الحكم

وظني انه لو ميزهم عن سواهم لم يبق له من غيرهم الا اقل مصاديق العدد حسبك بكشاجم والسري الرفا والسلامي والنامي فضلا عن مثل الشريف الرضي ومهيار الديلمي وابن هاني الاندلسي

بل وابي العلا المعري على رغم الزاعمين نزوغه عن الـدين ومروقه عن صوب الصواب وشواهدنا على ذلك من شعره ونثره في رسايله ورسالاته مما لا يحصى وهو مما يمكن افراده بالتاليف ولعل اللزوميات وحدها كافية بالتزام عده في علية الموحدين اما الشواهد على كونه بالاخص من الامة الامامية فهي ايضا بمكان من الظهور والوفور

ولعلك تجد كثيرا من تلك النوافح في رسالته البديعة المشهورة بالغفران ويعجبني من السقط قوله في مدح بعض العلويين

وعلى الدهر من دماء الشهيـ ـدين علي ونجله شاهدان
فهما في اواخر الليل فجـ ـران وفي اولياته شفقان
ثبتا في قميصه ليجيء الـ ـحشر مستعدياً الى الرحمن
يا ابن مستعرض الصفوف ببدر ومبيد الجموع من غطفان
احد الخمسة الذين هم الاغراض في كل منطق والمعاني
والشخوص التي اضاء سناها قبل خلق المريخ والميزان
قبل ان تخلق السموات او تو مر افلاكهن بالدوران

فيما بتلك الخمسة الشخوص ان هذا الشعر ما خرج الا من فؤاد شيعي بحت وعلوي محض قد ضرب للتشيع جرونه وعرف سره وسريرته وجعله دينه وعقيدته وهذا لحن يفهمه اهلوه وذوق يعرفه شاربوه نعم وانك لتعرف ان ابا العلاء وان كان في علية الشعراء ولكن لم يكن هنا ضاربا على وترهم ولا آخذا بجميع طرائقهم من التملق والاستخذاء والمبالغة والاغراق في مدائحه وممدوحيه طمعا في جلب حطامهم او خوفا من سطوة انتقامهم والمرء اذا خلا من الخوف والرجاء لم يبارح لا محالة جادة الصدق والبوح بحرية الضمير ولم يحد لاحد ابدا عن محجة القول بالحق انَّ الرجل الذي يحرّم على نفسه تورعا مدة عمره اكل اللحوم واقتراب النساء حتى يكتب على قبره

(هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد)

لم يكن ليبيح لنفسه المجاهرة بمثل قوله

احد الخمسة الذين هم الاغراض في كل منطق والمعاني
والشخوص التي اضاء سناها قبل خلق المريخ والميزان

ما كان ليقتحم هذه العويصة اغراقا ومبالغة دون ان يراها حقيقة راهنة ويجد لها مخرجا في فلسفة الدين حسبما هو فيه من بعد غوره ودقة افكاره وغامض اشاراته واسراره — كلا لا يقول ذلك من اجل انتهاز قدر من فضلات الارض يسمونه بالدرهم او الدينار لا فرق عند العارفين بينها وبين ساير الاحجار كلا لا يقول ذلك الا عن عقيدة راسخة ومعرفة ثابتة ونية خالصة تدفعه الى المجاهرة بها رغماً عن كل العوايق والعقبات وله من ذلك النظير كثير وليس الغرض هنا سوى الالماع والاشارة

بيد ان لنا على ما ذكره المؤلف في ترجمته (صفحة ٢٦٠) وما بعدها ملاحظات حرية بالذكر اهمها التهافت في عده اولا من اللاادريين او المعطّلين مع تصريحه عقيب ذلك بان اعترافه بالخالق ووحدانيته ظاهرة في كثير من اشعاره ثم من الهضم المؤسف والبخس للحقايق وصمه بان اشعاره تمتاز بصبغة سوداوية واحتمال ان اسبابها اختلال عمل الهضم بتوالي الصوم والاقتصار على نوع او نوعين من الاطعمة وان هذه الا نزغة تشف عن مماحكة الاديان والغميزة في نواميس الشرايع عصمنا الله و كافة اهل الفضل من الزيغ والنزغات ان شاء الله

ص ٢٥٣ ابن هاني الاندلسي (وفي الفاظه قعقعة ونين) هذان اللفظان لا تناسب بينهما اصلا اذ القعقعة يناسبها الغلظ والانين يناسبه الرقة فلو قال قعقعة ورنين لكان اولى

ص ٢٥٤ (الوأواء الدمشقي وما زال يشعر) استعمال يشعر بمعنى ينظم الشعر عامية ساقطة لم ترد في الفصيح فكان الاولى بدلها وما زال يقول الشعر او مثل ذلك

٢٥٥ (نزل على الصاحب باصفان) سقطت هاء اصفهان من الطبع

٢٦٠ (المهيار الديلمي) وله من جملة قصيدة

(اذا صور الاشفاق لي كيف انتم وكيف اذا ما عنَّ ذكري صبرتم)

الى ثلاثة بعده وان من الغريب اختياره لهذه الابيات من كل شعر المهيار ومقاطيعه الشهيرة التي فيها المطرب المرقص والمحزن المشجي والغزل الغرامي وما يقف عنده الوصف وينكص عن تصويره القول

ما ادري من اين جاء بهذه الابيات الواهية البنا المحلولة العرى المشبعة بسوء الاساليب وركاكة التركيب فان جعل انتم وصبرتم وارقتم وامثالها من الضماير قوافيا لا يحسن باوائل المبتدئين في نظم الشعر لاشتمالها على الايطاء بل على اسوء اقسامه — واذا كان اختيار المرء ترجمان فضله وقطعة من عقله وابو تمام بما هو مختار اشعر منه بما هو شاعر فهلا كان المختار من شعر المهيار من طراز قوله على الوزن والقافية وشتان

أأحبابنا بالغور والركب متهم ايعلم سالٍ كيف بات المتيم
رحلتم وعمر الليل فينا وفيكم سواء ولكن ساهرون ونوَّم
بكيت على الوادي فحرمت ماءه وكيف يحل الماء اكثره دم

هلا كان مثل قوله من غرامياته

سألتك بالمودة يا ابن ودي فانك بي من ابن ابي احق
وان شق البكاء على المعافى فلم اسألك الا ما يشق
اسل بالجزع دمعك ان عيني متى استبررتها دمعا تعق

انظره على طلاوته وبداوته وغراميته، ووجده تجده مع حسن سبكه ورونق مائه لم تفته لباقة الصنعة من البديع بل اشتمل على اغر انواعه واعز اساليبه انظر كيف قابل (تعق) (البر والجزع) فجاءت متضمنة لمعنيين العقيق في مقابل الجزع والعقوق في قبالة البر فتمت بها التورية واستتبت له محاسن الصناعة ولكن من حيث يخفى ولا يكاد ان يحس وهذا امهر وابهر نعم ومما لا يخفى على الفطن الاريب ما يشف البيت عنه من حسن التعليل ودفع منقصة الجمود عن عينه مع دعوى الحب فكأنه يقول لابن وده اسق بدمعك الدار فاني كلما اردت سقياها بدمعي اسالت مقلتي عقيق الدموع فعقتني بما لا ينفع في السقيا

وما كنت لولا ان دمعي من دم لاحمل منّاً للسحاب بسقياه

وهذا من ارقى معاني الشعر الخيالي والتصويرات المثالية والقصارى ان من يريد ان يمثل الشاعر ومقدار شعوره بشعره فبالحري بل المحتم عليه ان ينتخب من منظومه او منثوره ما ينبىء عن مقدار قرائحه وقصارى تصوراته وابدع تمثيلاته والا فقد خان الامانة فيه وبخس حقوقه وحقا ان الامام في الانتخاب والقدوة في هذا الباب القاضي ابن خلكان فانك تراه ينتخب ما لو كلفت الشاعر نفسه ان ينتخب اجود شعره لما جاء باحسن مما اختاره له

ص ٢٦٤ ابن زريق (لا تعزليه فان العزل يولعه) قد تكررت في هذا الكتاب هذه اللثغة الشايعة وحبذا لو تجنبها مثل المؤلف من مشاهير الكتاب واذا كان مثل هذا المتضلع في التاريخ والعربية لا يسلم منها فما ظنك بغيره

٢٧١ (ظلت تظللني عن الشمس) الموجود من رواية هذين البيتين في كتب البيان والبديع والادب كالمطول وغيره على اجمل من هذه الصورة وهو هكذا

قامت تظللني من الشمس نفس اعزّ علي من نفسي
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس

٢٨٨ (الشريف المرتضى ومن تصانيفه نهج البلاغة) الى قوله وان كنا نرى كثيرا من تلك الخطب ليست لعلي الخ) الباحث الذي لم ينتفع من بحثه بمقدار ان

يعرف موءلف الكتاب من غيره ولا يميزه من سواه كيف يسوغ له ويرضى لنفسه ان يتربع على منصة الحكم ويجلس في مجلس الفصل والقضاء. اقول ذلك لاني ما كنت احسب انه قد بقي في عصورنا هذه من لم تتضح له الحقيقة ولم يتجلّ له الواقع ان جامع النهج ليس هو الشريف المرتضى بل اخوه الشريف الرضي ولئن كانت هذه الشبهة تخطر على بعض الاذهان في العهود الغابرة فانما هي لقلة انتشار الكتب وعدم تيسر المواصلات اما في هذا العصر الذي يسمونه بعصر العلم وعصر النور فما كان في حسباني خفاء هذه الجلية على من له اوهى مسيس من العلم كيف وقد صدعت بها الشروح والشارحون وسطعت سطوع العضب تصقله القيون وتستله الاغماد والجفون بل هي شبهة داحضة من ذاتها لا تعتدل على اصل ولا تستند الى سبب والشارح البحاث المتضلع ابن ابي الحديد قد ارسل نسبته الى السيد الرضي ارسال المسلمات ولم يتعرض بتصريح ولا اشارة الى وجود مخالف في نسبته للسيد الرضي مع انه كما يظهر من كتابه كان ممن يبحث عن الفتيل والنقير ويحاسب على القيراط حساب القناطير فلو كان ادنى شبهة يعتد بها لاشار اليها نعم قد ذكر ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى انه وقع الاختلاف في نسبة النهج اليه او الى اخيه الرضي ولكنها لفظة رمى بها من غير سدد وجاء بها غير معول على سند وابن خلكان ليس من رجال هذا الميدان فانه بالادب والادباء اعرف منه بالعلم والعلماء وعلى ايٍّ فان الامر اليوم قد صار اشهر واجلى من النهار في رابعته ولكني بحرية اقول اني احسب ان الرجل لا يفرق بين السيد الرضي والمرتضى والا لما كان يرسل ارسال المتفق عليه المتسالم فيه انه للمرتضى في مقامين من كتابه في الجزء الاول والثاني ولا يشير الى احتمال انه لاخيه الرضي او القول بذلك ولا وجه لهذا الا احد امرين اما ان الموءلف يكتب ولا يدري ما يكتب او انه لم يعرف حتى الآن ان الرضي والمرتضى موجودان متباينان وان هما الا اخوان وقد ذكر هو لكل واحد منهما ترجمة مستقلة ولكنه نسي وما اكثر ما ينسى الانسان (نعم واول ناس اول الناس) والغرض من كل هذه المقدمة ان من لم يعرف الى اليوم موءلف نهج البلاغة وجامعه من هو مع وضوح الامر وصيرورته بعد عشرة قرون من الضروريات والبديهيات الاولى ان شخصا هذا مقامه ومركزه كيف يسوغ له ان يحكم قايلا (وان كنا نرى كثيرا من تلك الخطب ليست لعلي) وهذا الامر الذي القاه في الجزء الاول على سبيل الظن قد صار هنا جزميا الا هكذا فلتتجلّ الحقايق ولتظهر المعارف ولتتنزل موحيات

العلوم في هذا العصر على اقلام الكتاب والمؤلفين وحق لعصرنا ان يفتخر على ساير العصور بما ظهر فيه من نوابغ المؤلفين والمؤلفات وفلسفة تاريخ الآداب واللغات

صفحة ٢٩٣ (وجرت بين الطايفتين ثماني وقايع) الصحيح ثمان بلاياء

٣٣١ (علم الكلام) (نبغ غير واحد في هذا العصر من علماء الادب لبعضهم مؤلفات جاء ذكرهم في ابوابها كالشريف المرتضى) عدُّ السيد المرتضى في الادباء كان من الظلم الفاحش وسوء الترتيب وعدم وضع الناس في مراتبهم وهضمهم حقوقهم ولقد كان المرتضى يلقب بابي الثمانين فان له ثمانين تصنيفا كلها في الحكمة والكلام والتفسير والفقه منها كتاب الشافي في الرد على ابي جعفر النقيب وعبد الجبار المعتزليين وهو كتاب فخم ضخم طبع في ايران منـذ زمان طبعة جيدة وليتك تراه فتعرف كيف انك ظلمته حيث اعددته من الادباء والشخص يعدّ في اظهر ما يعرف به وما كان الادب من السيد الا من قبيل الفكاهة والتحميض لا انه موضع عنايته ومطمح همته ولكن البلية عناء المرء بما ليس من وظيفته ودخوله بما ليس من شغله وقيامه بما ليس اهلاً له

في هذه الصفحة ايضا (وكيفية الوقوف على عجز القرآن) هذه عبارة من قعد به العجز عن البيان وكان حريا به ان يتأخر عن التصدر للتأليف الى العجز وما ادري أيّ عيّ وعجز يبلغ بالمرء الى حيث يقعد به عن ان يقول العبارة الشايعة (الوقوف على اعجاز القرآن)

ص ٣٣٢ (التصوف) (هو من العلوم التي نشأت ونضجت في هذا العصر وخلاصة تاريخه انه من العلوم الشرعية الحادثة) ثم قال بعد اسطر (وعندنا انه مشتق من لفظة يونانية الاصل (صوفيا) وايد ذلك بانهم لم يظهروا بعلمهم هـذا ولا عرفوه بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية وجعل اصل اللفظ (فيلوصوفيا) يعني محب الحكمة وهي بالعربيـة (الفلسفة) الى آخر كلامه ولا احسب ان من له ادنى المام بهذه العلوم او وقف على ابسط تاريخها ومواضيعها وعلمائها يخفى عليه مواضع الخلط والخبط هنا فضلا عن التهافت بين جعله من العلوم الحادثة الشرعية تارة ثم جعله من علوم اليونان اخرى ومن الوهم والرجم بالغيب على غير خبرة عدّ التصوف من العلوم الشرعية فان العلوم الشرعية بحسب الاصطلاح بل وفي الحقيقة الواقعية انما هي علوم الفقه من العبادات والمعاملات والحدود والاحكام ويجمعهـا انها النواميس التي جاءت بها هذه الشريعة وتعبدت الدانيين بها من دون ان تدرك او تصاب بالعقول

لولا بيان الشريعة فتلك هي العلوم الشرعية لا الحقايق الراهنة الثابتة في ذاتها حسب الواقع وللعقول والآراء مجال وسيع في اصابتها كعلم الاخلاق وتهذيب النفس وعلوم التوحيد فانها جميعا امور ثابتة في ذاتها وان ذكرها الشارع وبحث عنها ولكن لا بما هو شارع ولا على ان تكون من جعله ونواميسه ومنشآته بل هي كالعلوم الكونية ومباحث الطبيعة واسرارها فان تعرض الشارع لها وخوضه فيها لا يصيرها شرعية واغرب واعجب من هذا جعله علم التصوف هو علم الحكمة او راجع اليه او مأخوذ منه على حال انه لا مسيس لاحدهما بالآخر ولا علاقة بينهما بوجه من الوجوه لا في المبادي ولا المسايل ولا الغايات الا بمسافة بعيدة فان مبادي التصوف على الرياضة ومجاهدة النفس والتروع عن الدنيا بكل شؤونها وعلايقها حتى يحصل للنفس من الصفاء ما تستعد به لمشاهدة الحقائق على وجه المكاشفة وغايته الوصول الى الحق ثم الفناء فيه فناء القطرة في البحر حيث لا يبقى لها اسم ولا رسم ولا تعين وهذا من باب التمثيل والتقريب والحقيقة عندهم من وراء ذلك اما الحكمة والفلسفة فهما علم آخر مبني على مبادي فكرية واصول نظرية ومباحث صناعية من المعرف والحجة وانواع الاشكال والاقيسة وغايته معرفة حقايق الاشياء على ما هي عليه فاين هذا من ذاك وما هذا الخلط الغريب وما زالت الحرب والمطاعنة سجالا بين الفريقين اعني الحكماء والمتصوفين كل يزعم ان الحق في جانبه والصواب في صوبه نعم قد حاول صدر المتالهين اعظم فلاسفة الامامية من المتأخرين ان يوفق في كتابه الشهير بالاسفار ويصلح بين الفريقين بدعوى التلازم بين الغايتين كالتلازم بين نفس الطريقين موعزا الى عدم غناء كل واحد عن الآخر وانه لابد منهما معا في تحصيل الغاية المقصودة والضالة المنشودة ويوجد هذا في متفرقات مباحثه وابوابه رمزا وايماء لاصراحةً وجهارا وعلى ايٍّ فليس القصد هنا الخوض في هذه الملتويات العويصة وسلوك هذه الفجاج العميقة وانما الغرض الاشارة الى مواضع الخلط والخطأ نصرة للحقايق وتمحيصا لها عن الاغاليط ثم ان الاعجب من تلك الاعاجيب ما ايد به دعواه (من انهم اي الصوفية ما ظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية ودخول لفظ الفلسفة)

افهل يقضي وجود لفظ الفلسفة في اليونانية ودخولها الى العربية ان تكون هي التصوف وان لا يكونا لفظين لمعنيين والبحث فيه بحثا فلسفيا لا يخوله اطلاق اسم

الفلسفة والا لجرى ذلك في اكثر العلوم

اما زعم ان الصوفيه ما ظهروا بعلمهم هذا الا بعد ترجمة كتب اليونان فهـذا ذهول لعلنا نعذره فيه لعدم وقوفه على سلاسل الصوفية وغاياتها ولا ساقته البواعث على الاحاطة ببعض المؤلفات الكافية فيها وما عثر عليه من القشيرية يظهر انه لم يستوفه تماما وبالجملة فان علم التصوف حدث في الاسلام وعرفه المسلمون قبل ان يسمعوا او يعثروا على كتب اليونان فان الترجمة كانت في الدولة العباسية وعلم التصوف تلقاه المسلمون من الحسن البصري و كان قد اقتبسه من امير المومنين علي عليه السلام وجميع الطرايـق تنتهي اليه سوى طريقة النقشبندية فانها تنتهي الى الخليفـة ابي بكر (رض) وقد كان جماعة من اصحاب امير المومنين زهدوا في الدنيـا ولازموا خدمته للاقتباس من علومه ومعارفه وكانوا يعرفون باصحاب البرانس ومنهم همام بن شريح الذي سأل امـير المومنين ان يصف له المتقين وكان ناسكا عابدا ومن شيعته واوليـائه فتثاقل عن جوابه فلما عزم عليه خطب له امـير المومنـين تلك الخطبة البـاهرة فما اتم كلامه حتى استقبل الرجـل حمامه وفارقت روحه الدنيا والقصة مع الخطبة مذكورة في متن النهج — وكان من الملازمين له سلام الله عليه الزهاد الثمانية اربعة منهم من اوليائه والخاصين به والمجاهدين في صفين بين يديه وهم الربيع بن خيثم وهرم بن حنان واويس القرني وعامر بن عبد قيس ومن الباقين الحسن البصري الا ان اعظمهم اويس القرني الذي اهدى النبي سلامه اليه وبشر به امته قبل ان يراه ثم من هؤلاء الثمانية وعلى الاخص الحسن البصري واويس القرني عرف التصوف وكان هؤلاء الزهاد يلبسون برانس الصوف ثم لبسوا مدارع الصوف تدريجا روى الكشي عن الاصبغ بن نباتة قال كنا مع علي بصفين فبايعـه تسعة وتسعون رجلا فقال اين تمام المائة لقد عهد الي رسول الله ان يبايعني في هذا اليوم مائة رجل واذا برجل عليه قباء صوف متقلدا بسيفين فقال ابسط يدك ابايعك على بذل مهجتي دونك فقال عليه السلام كن اويسـا فقال انا اويس قال كن قرنيا قال نعم اويس القرني فلم يزل يقاتل حتى قتل في رجاله وكان النبي صلى الله عليه قال في حقـه يشفع لمثل ربيعة ومضر واما الحسن البصري فحاله في مـلازمة الصوف وما خشن وجشب مشهور ومن هذا العصر صار كل من يدخل في هذه الطريقة اعني طريقـة الزهد والتقشف يلبس الصوف ويسمى الصوفي فاين هـذا من ترجمة كتب اليونان

والاخذ منهم والتعويل عليهم واين قولك لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوه بهذه الصفة الا بعد الترجمة وها هم قد عرفوه بتمام صفته واكمل معرفته وسموه بهـذا الاسم قبل الاشتغال بالترجمة بمائة عام نعم اصابوا تلك الحقايق الراهنة اعني حقايق التصوف من عنـد انفسهم وصفاء قرايحهم كساير العلوم التي اخترعوها من دون اعتماد واستناد الى غيرهم ازيدك على ذلك ان ابن ابي جمهور الاحسائي من اهـل القرن الثامن الى التاسع وهو من مشاهير متصوفة الامامية وفلاسفتهم ومحـدثيهم روى في كتابه عوالي اللئالي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان لفظ الصوفي مركب الاصول من حروف ثلاثة الصاد والواو والفاء فالصاد قايم على ثلاث دعايم الصدق والصبر والصفاء والواو قائم على دعايم ثلاث الود والورد والوفاء والفاء على دعايم ثلاث الفرد والفقر والفناء فمن وجدت فيه هذه المعاني فهو الصوفي والافكلب الكوفي خير من الف صوفي — امليته هكذا من خاطري عن حفظ قديم ولعل فيه بعض التغيير او الزيادة والنقص ولكنه على اي هو بهـذا المضمون وما يقرب منه اذاً فهذا العلم بهذا الاسم قد وجد في صدر الاسلام فاين كانت كتب اليونان ولكن المؤلف اصلحه الله لا يزال مع العربية والاسلام على حد المثل

رام نفعا فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا

فانا نحاشيه ان يقصدها عمدا بسوء ولكن

يصيب ومايدري ويخطي ومادرى وكيف يكون .. الا كذلكا

صفحة ٣٣٩ (الكيميا واول من اشتغل في نقلها الى العربية خالد بن يزيد وعنه اخذ جعفر الصادق .. وبعده جابر بن حيان ثم الكندي) هذه هي الطامـة الكبرى التي ما جئتنا في كتابك هذا ولا غيره بادهى منها وامر ايّ طامة ادهى من ان يُدّعى ان جعفر الصادق وهو ابن خمسة ايمة وابو ستة ايمة تعتقد امـة مهمة في العالم منذ اثني عشر قرن فاكثر انهم ايمة معصومون طاعتهم فرض من الله وحتم على العباد وانهم عالمون بتعليم الهي اغناهم عن كافة التعاليم البشرية يُدّعى ان مثل هذا الامام يطلب الكيميا التي لا يطلبهـا الا السقاط وضعفـاء العقول حتى عدت من الخرافات ثم ممن يطلبها — يطلبها من خالد بن يزيد بن معوية

(عفاً على العالم) متى كانت اداني بني هاشم تأخذ شيئا من العلم عن بني امية او ترى لهم من الفضل حظا فكيف بسيد بني هاشم وامامهم وصادقهم بل متى كان

عبد من عبيد بني هاشم يرى شأنا لكبار بني امية فضلا عن احداثهم وشبانهم ومسخرة عبد الملك وربيب مروان انَّ الدنيا وان اصبحت ولا تزال

قد بُدّلت اعلى منازلها ... سفلا واصبح سفلها يعلو

ولكن هيهات — ألا ان حزب الله هم الغالبون

ولقد كان عند جعفر بن محمد من العلوم ما هو على الحقيقة والواقع اعزُّ من الكيميا واعلى قدرا منها كان يقول عندنا الجفر الاحمر والجفر الابيض وكتاب علي باملاء رسول الله ومصحف فاطمة فيه علم ما كان وما يكون الى يوم القيامة وقد ذكر هذا الجفر ابو العلاء المعري في شعره فقال

لقد عجبوا لاهل البيت لما ... غدوا وعلومهم في مسك جفر

فمرآة المنجم وهي صغرى ... تُريه كل عامرة وقفر

وقد تواتر عنه سلام الله عليه انه اخبر بني العباس عدة مرات في ايام بني امية انهم سينالون الخلافة حتى نصَّ على خصوص ابي العباس السفاح وابي جعفر المنصور في دولة بني امية يوم كان اكبر من في بني العباس يرى ان تناول السماء ادنى اليه من تناول ادنى الامارات فضلا عن الخلافة

هذا ابو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين المطبوع باحسن طبع حجري ذكر عدة روايات مستفيضة هاك خلاصة مجموعها روى باسانيده انَّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالابواء وفيهم ابراهيم بن محمد الامام واخوه السفاح والمنصور وعبد الله بن الحسن وولداه محمد وابراهيم وصالح بن علي فقال صالح قد علمتم انكم الذين تمد الناس اعينها اليكم وقد جمعكم الله في هذا الموضع فاعقدوا بيعة لرجل منكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين

ثم طلبوا حضور جعفر بن محمد سلام الله عليهما فلما جاء اوسع له عبد الله ابن الحسن ثم طلب البيعة منه لابنه محمد يعني صاحب النفس الزكية المعروف بقتيل احجار الزيت فقال جعفر لا تفعلوا فان هذا الامر لم يأت بعد فلما الحَّ عليه عبد الله قال له لا والله لا ندعك وانت شيخنا ونبايع ابنك فغضب عبد الله وقال لقد علمت خلاف ما تقول ولكن يحملك على هذا الحسد فقال ما والله يحملني ذلك ولكن هذا الامر والله ليس اليك ولا الى ابنيك وانما هو لهذا يعني السفاح ثم لهذا يعني المنصور ثم لوُلده لا يزال فيهم حتى يؤمّروا الصبيان ويشاوروا النساء فقال عبد الله بن الحسن

يا جعفر والله ما اطلعك الله على غيبه وما قلت هذا الا حسدا فقال والله ما حسدته وان هذا يعني ابا جعفر المنصور يقتله على احجار الزيت ثم يقتل اخاه بعده ثم قام يعني الصادق مغضبا يجر رداءه فتبعه المنصور فقال اتدري ماقلت يا ابا عبد الله فقال اي والله ادريه وانه لكائن وفي واقعة اخرى قال لعبد الله بن الحسن لما طلب البيعة لابنه محمدا أرأيت صاحب القباء الاصفر يعني المنصور قال نعم قال فانا والله نجده يقتله قال ايقتل محمدا قال نعم يقتل محمدا واخاه قال راوي الحديث فقلت في نفسي حسده ورب الكعبة ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رايته قتلهما ثم لما حارب المنصور ابراهيم في باخمرا من نواحي الكوفة وظهرت اولا امارات الغلب لجيش ابراهيم جعل المنصور يقول ويلك يادبيع كيف ولم ينلها ابناؤنا فاين امارة الصبيان هذا خلاصة ما ذكره في ذلك الكتاب وفي غيره انه كان يقول اين قول صادقهم تلعب بها صبيانهم على المنابر بل في بعض المصادر ان ابا مسلم صاحب الدعوة حين طمحت نفسه الى نقل الدولة الى بني هاشم وتحويلها من بني امية اول ما بدء بها الصادق ودعاه الى القيام بها واكثر عليه من الكتب والامام عليه السلام لا يجيبه بشيء فارسل اليه خصوصيا من يطالبه بالجواب فاخرج الامام كتب ابي مسلم وكانت في محضره الشريف شمعة مسرجة فقال للرسول هذه كتب صاحبك ثم ادناها جميعا من الذبالة فاحرقها وقال قل له هذا جواب كتبك ويؤيد هذا ما ذكره الشهرستاني في كتابه الشهير مانصه (وكان ابو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية في اول امره واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها واحس منهم ان هذه العلوم مستودعة فيهم وكان يطلب المستقر فيه فانفذ الى الصادق جعفر بن محمد اني قد اظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني امية الى موالاة اهل البيت فان رغبت فيها فلا مزيد عليك فكتب اليه الصادق ما انت من رجالي ولا الزمان زماني فحاد الى ابي العباس بن محمد وقلده الخلافة)

نعم ولعله سلام الله عليه لم يرث ذلك عن كلاله ولا تلقف هذه العلوم عبطة بل هو متوارث بينهم خلف عن سلف الى ابيهم امير المؤمنين وجدهم خاتم النبيين سلام الله عليهما وقد استفاض ان عبد الله بن العباس لما ولد له ابنه علي جد المنصور والسفاح جاء به الى امير المؤمنين ليبارك عليه فاخذه وكبر في اذنه اليمنى واقام في اليسرى ثم دفعه اليه وقال له خذ اليك ابا الاملاك — وذكر الدميري في كتابه الشهير حكاية خلاصتها ان الاصمعي حاور الامين والمأمون يوما ليختبر ماعندهما من العلم والفضل

فلما رأى ما اعجبه اطراهما عند الرشيد واثنى عليهما فتحسر الرشيد ودمعت عيناه وقال كيف بهما اذا تحاسدا وتنافسا على الملك حتى يقتل احدهما الآخر ثم ذكر بعض ما جرى بين الامين والمأمون بعد عدة اعوام قال المأمون وكان ابي قد سمع كل ذلك من موسى بن جعفر عليهما السلام. اناوحرمة الانسانية وذمة الانصاف لا ادري كيف افصح الك في مضيق مقامي عن اوائل ذلك المقام الواسع وباي عبارة وبيان استدني القريب من ذلك الخطر الشاسع

ولكني ولا ازال اقول ليت الاسباب والحظوظ ساعفتك بالوقوف على شيء من المولفات التي تشتمل على ذرو يسير من علوم جعفر بن محمد من حكمه وحكمته في فلسفته الكونية وعلومه الآلهية فضلا عن الاخلاقيات والشرعيات والادعية والمناجاة وامثالها ليتك وقفت على شيء من ذلك ليحصل عندك في امره ما يصدك عن ان تكيل له بالكيل الطفيف او ان تزنه بالوزن الخفيف

معاذ الله بل انما تبخس وزنك وتطفف كيلك وتحط من الخطوة بمعالي العلوم وعليات العلماء مقامك امِنَ النَّصَفِ ياهذا ان يكون كتابك هذا المشتمل جزآه على ماايناهز السبعمائة صفحة وفيه ذكر كل ماهب ودب من كسير وعُوير ومن ليس بذكره خير ولكن لا اذكر فيه لجعفر بن محمد الا في هذا المقام السخيف (تعلم الكيمياء) ثم من البلوى التي ما عليها من مزيد ان يتعلمها من خالد بن يزيد هب انك لا تدري بشيء من تلك الشؤون ولا تعرف ما بين ذينك القبيلتين ولا التفاوت في المنزلة بين الشخصين ولكن افلا تدبّرت تاريخ عصريهما وانّها مزعمة يشهد زمانهما ببطلانها ويشهد التاريخ ببهتانها فان خالد بن يزيد مات سنة ٨٥ والصادق عليه السلام كان مولده الشريف سنة ٨٣ فيكون عمره (ع) عند موت خالد سنتين افهل كان تعلُّمه الكيميا في هاتين السنتين آفدنا ايّها المؤرّخ الباحث الشهير

ثم هب انك لا المام لك بشيء من كتب الشيعة لتعرف شيئا من مقامات ذلك الامام ومركزه من المحيط الاسلامي ولكن افلا سنح الك النظر في كتاب نحل الشهرستاني الذي ما كنت احسب ناظرا في التاريخ وباحثا عن احوال الامم الا ويتصفحه اولاً قبل كل كتاب خذ اليك ما ذكر به جعفر بن محمد على انه ممن لا يقول بامامته ولا يدين بعصمته قال مانصّه في الباقرية والجعفرية « كما توقف القايلون بامامة ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق وهو ذو علم غزير في الدين وادب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات وقد اقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه

ويفيض على الموالين له اسرار العلوم ثم دخل العراق واقام بها مدة ما تعرض للامامة قطّ ولانازع احدا في الخلافة ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شطء ومن تعلّى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حطء وقيل من آنس بالله توحش عن الناس ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس وهو من جانب الاب ينتسب الى شجرة النبوة ومن جانب الام ينتسب الى ابي بكر رضي الله عنه » ا. هـ ثم ذكر تبرّءه مما كان ينسب اليه بعض الغلاة والرافضة نعم ومذهب الشيعة الذي ينتمي اليه اليوم ويعرف بالمذهب الجعفري يبرء مما برء منه سلام الله عليه يبرء من تلك الشنايع من التناسخ والحلول والتشبيه وامثالها هذا وما ذكره الشهرستاني وذكرناه بغير مبالغة ولا اغراق من فضل جعفر بن محمد وآبائه اهل البيت سلام الله عليهم قطرة من سحاب وذرة من هضاب على ان فيه ما يغنيه عن تعلم الكيميا من خالد بن يزيد بن معاوية والله المستعان على دحض الباطل وتحقيق الحقايق وهو حسبنا ونعم الوكيل

٣٤٢ في جمعية اخوان الصفا (قد دوّنوا فلفستهم في خمسين رسالة) لا بل هي احدى وخمسون حسب النسخة المطبوعة في بومباي وهذه الواحدة كبرنامج حاوٍ لروءوس تلك المباحث والآراء

٣٤٤ (اشهرهم اي المنجمون بنو شاكر) بل لعل اشهر منهم بنو نوبخت وهي اسرة كبيرة واسعة الاطراف تسلسلت مع الخلافة العباسية فان جدهم نوبخت عاصر المنصور وفي ربيع الابرار لما فرغ المنصور من بناء بغداد سنة ست واربعين ومائة امر نوبخت المنجم ان يأخذ طالعها فوجد المشتري في القوس فحكم بظهور فضلها على ساير البلاد فسرّ المنصور بذلك ثم قال وخصلة اخرى انه لايموت بها خليفة ابدا هـ واستمرت تلك القبيلة الى اواخر الخلافة العباسية وفيهم نوابغ في الحكمة والفلكيات وساير العلوم وهم الذين قاموا مع بني شاكر بعمل الرصد الماموني اول رصد عُمل في الاسلام وقد فات المؤلف ان يذكره وهو من اهم الآثار والآداب العربية التي يجب ذكرها والبحث عن تاريخها ولكن المؤلف اصلحه الله قد يطيل عناءه ويوسّع نطاق البحث في اوهن موضوع ثم يضرب صفحا عن اهم المواضيع واسنى حسنات التاريخ ومن غريب امره انك تجده يبحث في بعض الموضوعات بحثا مدققا حتى تحسبه وقف على الصميم منه وتجاوز الشغاف فيه ثم غب يسير تقف على زلة فيه لاتقع الا ممن لاخبرة له بشيء منه

(نموذج ذالك) انك اذا نظرت في بحثه عن المعلقات وترجمته لاربابها وكثير من شؤونها واسبابها حسبت ان كل بيت من المعلقات بل كل كلمة من تلك الابيات

مرتسمة على صحيفة خاطره حاضرة على طرف لسانه فما ختم ذلك الجزء حتى هفا هفوة من لم يقف على شيء من المعلقات حتى كانه لم يسمع بها فانه ذكر في ترجمة زياد الاعجم صفحة ٢٧٦ ان من شعره او من حكمه قوله

وكاين ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه بالتكلم
لسان الفتى نصف ونصف فواده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

أكان يسنح على خاطرك ايها القارىء الكريم ان اديباً او متأدباً او شادياً في مبادي العلوم العربية لم يسمع بهذين البيتين ان لم يكن قد حفظهما وحفظ انهما من معلقة زهير بن ابي سلمى الشهيرة ذات الحكم الباهرة والآداب المحكمة الذي قد ذكر المؤلف نفسه بعض امثالها ومحكمات حكمها في اول الجزء الاول من كتابه صفحة ٢٩ ومن الغريب ان آخر مانقله منها البيت المشهور

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

ثم البيتان اللذان نسبهما لزياد الاعجم بعد هذا البيت بلا فصل فما ندري من اي تساهلاته في هذا الكتاب نعجب امن نسبة الاشعار الى غير قائليها كما مر عليك غير مرة او من نسبة الكتب الى غير مصنفيها كما سمعت من نسبة النهج الى الشريف المرتضى ثم انكار كونه جميعا لامير المؤمنين (ع) اما هذه المزعمة فقد كفانا الشارح ابن ابي الحديد مؤنة توسيع مخاضتها بما سجل عليه في عدة مواضع من كتابه استحضر منها الساعة على خاطري موضعين احدهما في الخطبة الشقشقية من الجزء الاول والثاني في الجزء الثاني صفحة ٥٤٦ من طبعة مصر وقد ذكر ذلك في سوى هذين الموضعين فليراجع والى هنا فقد انتهت ملاحظتنا بانتهاء مطالعتنا للكتاب ونحن واثقون ان مباحثنا هذه ستلقى ارتياحا وقبولا من المؤلف وغيره من اهل العلم اذا علموا (ويشهد الله والعلم على ذلك) ان يراعتنا مارشحت بشيء من البيان هنا الا عن خالص نية وصافي طوية وغيرة على الحقايق ان تمتزج بخلافها وتختلط باضدادها وهذا ما نرومه ونسعى اليه جميعا نحن والمؤلف وساير الباحثين ان شاء الله والجميع منا تمام السلم والوادعة فانا على ما نقدناه ووجدناه نعرف عظيم عنائهم ونقدّر قدر مجاهداتهم في امثال هذه المشروعات والموسوعات ونسأله تعالى لهم التوفيق والمزيد وان يصحح نياتنا ويصلح دخايلنا فما المستعان الا به ولا التكلان الا عليه

﴿شيعي نجفي﴾ ﴿من آل كاشف الغطا﴾

التقريظ والانتقاد

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الاول والثاني(١)

لجرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال التي تصدر عن مصر طريقة مبتكرة في التأليف وخطة بكر لم يطمثها قبله موءلف عربي وهو ولوع في تدوين تاريخ العرب ولغتهم وآدابهم وجميع شوءونهم وقد الف في ذلك عدة كتب مشهورة ترجم بعضها لعدة لغات اعجمية وكل موءلفاته تدل على سعة اطلاع وحسن اختيار وابتكار والطف تنسيق وتبويب ومن جملة موءلفاته النفيسة هذا الكتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) الذي نتكلم عنه الآن

حوى الجزء الاول منه تاريخ آداب اللغة العربية في عصر الجاهلية وعصر الراشدين والعصر الاموي وقد بين المراد بآداب اللغه بما يلي

« آداب اللغة علومها . والمراد بتاريخ آداب اللغة تاريخ علومها او تاريخ ثمار عقول ابنائها ونتاج قرائحهم . فهو تاريخ الامة من الوجهة الادبية والعلمية . ولكل امة تاريخ عام يشمل النظر في كل احوالها ويتفرع الى تاريخ سياسي وآخر اجتماعي وآخر اقتصادي وآخر ادبي او علمي . فالتاريخ السياسي يبحث فيما مرّ على الامة من الفتوح والحروب وما توالى عليها من الدول وانواع الحكومات ونحو ذلك والتاريخ الاجتماعي يبين الادوار التي تقلبت بها تلك الامة من حيث عاداتها واخلاقها . والاقتصادي يتناول النظر في تاريخ مالية تلك الامة وثروتها واحوالها الزراعية والصناعية وغيرها وقس على ذلك سائر ضروب التاريخ ومنهما التاريخ الادبي او العلمي وهو يبحث في تاريخ الامة من حيث الادب والعلم فيدخل فيه النظر فيما ظهر فيها من الشعراء والادباء والعلماء والحكماء وما دونوه من ثمار قرائحهم او نتاج عقولهم في الكتب وكيف نشأ كل علم وارتقى وتفرع عملا بسنة النشوء والارتقاء »

(١) طبع الجزء الاول منه في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١١ والثاني سنة ١٩١٢ وعدد صفحات الاول ٣٢٠ صفحة والثاني ٣٥٧ صفحة بقطع العرفان وطبعه وورقه جيد ويطلب من مكتبة الهلال بمصر وثمن كل جزء منه ٢٠ غرشا مصريا اي خمسة فرنكات

فانت ترى ان المؤلف عرّف تاريخ الآداب تعريفا مهد له بعض العذر في اقتضابه تراجم الادباء اقتضابا مخلا وخذ لك مثالا من ذلك ترجمة الشريف الرضي فانه ترجمه بصفحة وبعض صفحه مع انا ترجمناه في المجلد الثالث من العرفان باربعة وعشرين صفحة ووجدنا نفسنا مقصرين ولكن المؤلف لو سلك مسلك التفصيل وايفاء كل مقام حقه لاحتاج موضوعه هذا الى عدة مجلدات ضخمة فكأنه اراد ان يكون كتابه فهرستا يرجع اليه المتوسع ويستفيد منه المتأدب

قرأنا ونحن في السجن الجزء الثاني من هذا الكتاب برمته فرأينا بمطالعته لذة وفائدة وسلوى غير انا انتقدنا على المؤلف امورا اخل بها وقيدناها لننبه عليها وعرضنا ذلك على استاذنا صاحب مقالة نقد آداب اللغة العربية فرغب الينا ان يكون هو الناقد فاستحسنا ذلك غاية الاستحسان لانا نعلم ان الاستاذ ابن بجدتها وفارس عقوتها فتكرم وكتب ما كتب مما استغرق عدة صفحات مما يصح ان يكون كتابا مستقلا ولا نشك ان الرصيف المفضال صاحب الهلال لا يستاء مما كتب لان الحقيقة ضالته المنشودة وان كان النقد لا يخلو من بعض التحامل في بعض المقامات غير ان الكاتب حسن النية سليم الطوية ينتقد ما يعتقده خطأ ويقول ما يوقنه صوابا والنقد اعظم ممحص للحقائق والعاقل يفضله على التقريظ والاطراء وكثرة نقد الكتاب دليل على عظم خطره والا فاي عاقل ينتقد كتابا لا يوبه به ولا يعتنى فيه والمؤلفون في اوروبا ينتظرون نقد مؤلفاتهم وكل كتاب لا ينتقده نقدة الكتاب والعلماء هناك لا يحفل به فكثرة انتقاد مؤلفات جرجي افندي زيدان اظهر دليل على عظم شانها ويمتاز المؤلف في الاطلاع الغزير على الموسوعات من عربية وافرنجية لكنه نظرا لكثرة مهامه واشغاله يرسل بعض المسائل ارسالا بدون تثبت فيقع في الخطأ ولو تسنى لهذا المؤلف النشيط جمعية تمده بالمال وتطبع مؤلفاته على نفقتها بحيث يتفرغ للتاليف في الامور التي اختص بها لكانت آثاره من اعظم الآثار العربية خطرا واكثرها نفعا وفائدة ولو اراد ان يفي كل مقام حقه لضاع عليه الربح المادي ولما تيسر له الاسترسال في التأليف والنشر

اما الجزء الثاني فقد حوى (آداب اللغة العربية في العصر العباسي من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ ويدخل فيه تكون العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج العلم في اواسط القرن الخامس للهجرة)

وسيلي هذا الجزء الجزء الثالث وانت ترى ان موءلفات هذا الرصيف الحصيف مع ما بها من الاغفال والخلل جزيلة النفع متوفرة الفائدة لا يستغنى عنها بغيرها وجل من لا عيب فيه فنصوغ للموءلف عقود الشكر على خدماته النافعة للناطقين بالضاد ونحث على اقتناء كتبه الممتعة خصوصا هذا الكتاب المستطاب

اريج الزهر (١)

كتاب اخلاقي اجتماعي ادبي جمع طرفا من مقالات صديقنا الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني استاذ اللغة العربية في المكتب السلطاني والكلية العثمانية وقد صدر برسم الاستاذ وبمقدمة موضوعها حب الظهور بقلم الشيخ محي الدين افندي الخياط الفاضل المعروف تطرق بها الى ترجمة صاحب المجموع فاجاد وافاد وتلا المقدمة منتخبات مقالات صاحب الكتاب بدأ بها بمقالة موضوعها (نهج البلاغة او اساليب الكلام العربي) ننقل منها ما يلي

«من اراد ان يكون كاتبا عربيا فعليه بالاكثار من مطالعة الشعر الراقي كديوان الحماسة والمتنبي والبحتري وابي تمام وغيرها من دواوين واشعار فحول الشعراء ومطالعة كتاب الاغاني والعقد الفريد وكتاب عبد القاهر والغزالي والشيخ محمد عبده وكتابات السيد محمد رشيد رضا والزهراوي واليازجي والمنفلوطي ومحمد كرد علي والخياط والحوراني وغير هوءلاء الكتاب المجيدين من قديم وحديث

ومن احسن ماينبغي مطالعته لمن يتطلب الاسلوب العالي كتاب (نهج البلاغة) للامام علي رضي الله عنه وهو الكتاب الذي انشأت هذا المقال لاجله فان فيه من بليغ الكلام والاساليب المدهشة . والمعاني الرائعة ومناحي الموضوعات الجليلة ما يجعل مطالعه — اذا زاوله مزاولة صحيحة بايغا في كتابته وخطابته ومعانيه كان هذا الكتاب درة في صدف بعض المكتبات (٢) حتى اتيح لشيخنا المرحوم الاستاذ الامام الشيخ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رضي الله عنه ، ان يطلع عليه ، ويبرزه الى

(١) طبع في المطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٩ طبعا جيدا على ورق جيد وعدد صفحاته ٢٤٠ صفحة بقطع العرفان ويطلب من المكتبة الاهلية في بيروت ومن مكتبة العرفان في صيدا وثمنه خمسة بشالك ولطلاب العلم والمدارس بثلاثة بشالك

(٢) طبع النهج قبل ذلك في ايران غير انه لم ينتشر في الشرق انتشارا عاما الا بعد طبعه في بيروت مشروحا بقلم الاستاذ الامام جزاه الله خيرا

عالم المطبوعات ليكون استاذا للمنشئين ورائدا للبلغاء . وقد علق عليه شرحا(١) جزيل الفائدة كبير المغزى وقد طبع الكتاب بضع مرات مشروحا بقلم الأستاذ عليه الرحمة فاستفاد منه اقوام كثيرون منهم كاتب هذه السطور فالى اقتناء هـذا الاثر العظيم ياطلاب الاسلوب العالي ورواد الكلام البليغ فان فيه ما ترغبون»

فانت ترى اسلوب الشيخ في الكتابة وانه حفظه الله نسي او تناسى كثيرا من الكتاب القدماء والمحدثين فكأن مقامات الحريري ورسائل الخوارزمي والبديع والصابي والصاحب وعبد الحميد واضرابهم ليست مما تعين على الكتابة و كأن أمالي القالي والبيان والتبيين وفقه اللغة غير جديرة بالذكر كالاغاني وكتب الغزالي بل كأن المويلحي وزغلول وحافظ ابراهيم وعبد الغني العريسي والشيخ احمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والشبيبي والشرقي والزهاوي ليسوا شيئا امام الذين عدهم من العاصرين فسامح الله شيخنا الغلاييني ما اكثر نسيانه

هذا ولم يسمح لنا الوقت بان نتصفح الكتاب بتدقيق تام لنطيل في انتقاده رضي الشيخ ام غضب غير ان المؤلف نقي العبارة جلي البيان وان لم يكن على كتابه تلك المسحة التي على كتابة المنفلوطي واضرابه من كبار الكتاب لكن ما يكتبه نافع مفيد خصوصا لأبناء المدارس الذين نحثهم على اقتنائه وقطف ورده واجتنائه

ومما آخذنا به المؤلف عدم وضع فهرس للكتاب هذا وما الكمال الا لله وحده

آثار ذوات السوار(٢)

كتاب نسائي اخلاقي ادبي جمع شوارده ونسقها صديقنا محمد علي افندي حامد حشيشو احد اساتذة المدرسة الرشدية في صيدا (يحتوي هذا السفر على ما دار بين فاضلات النساء وبين كبار الرجال من جميل المحادثات وبديع المطارحات الادبية الجديرة بالاطلاع)

---

(١) من اراد ان يطلع على اعجاز كلام الامام عليه السلام فليطالع شرح عبد الحميد بن ابي الحديد فانه جمع فاوعى وبه فلسفة التاريخ وفوائد لا تجدها بغيره وقد طبع في مصر باربعة مجلدات ويباع بمكتبة العرفان بستة مجيديات ونصف

(٢) طبع بمطبعة العرفان سنة ١٣٣٠ ولم يذكر تاريخ طبعه وهو خلل ظاهر وعدد صفحاته ١٦٠ صفحة بقطع العرفان وورقه الجيد وطبعه وثمن النسخة ربع ريال مجيدي بالافراد ويطلب من مكتبة العرفان بصيدا ومن وكلائه في الجهات

التقريظ والانتقاد

الدين والاسلام

او

الدعوة الاسلامية

كان الدين وما زال هو العامل القوي لزجر الناس عن ارتكاب الموبقات ،
ان المنكرات ، لانه ما من دين الا ويامر بالعرف وينهى عن النكر غير ان احكام
ن ونواميسه قد يطرأ عليها بعض التغيير والتبديل من بعض حملة الدين الذين يظهرون
الملائكة وما هم بالحقيقة الا ابالسة وشياطين وخلاصة القول ان احكام
ن مصونة عن الامر بفعل الشرور ، وارتكاب الخنا وشرب الخمور ، وماشاكل
، ولم تجيء الرسل ومبلغوا الشرايع الا لحفظ النظام ، وايجاد الالفة بين جميع
م ، نعم هناك قوم حرفوا وبدلوا واتبعوا الهوى والشهوات فضلوا واضلوا واتخذوا الدين
كة للاصطياد ، وأحبولة للعيش في البلاد ، وبث روح الفساد ، حتى وصل الحال
اقامة الحروب الطاحنه باسم الدين المسيحي القائل من ضربك على الخد الايمن
له الايسر ومن طلب منك صاعا فاعطه صاعين الى غير ذلك من الآيات البينات
ة على زرع بذور السلام لكن ما العمل في دعاة السوء واتباع الباطل والضلال
لايتسنى لكل انسان الدعوة الى الدين لان لذلك شروط قلما يتيسر اجتماعها في كل
ومنها حسن البيان وفصاحة التعبير والتقريب من الاذهان بحجج وبراهين معقولة والخام
م بدليل العقل الدامغ فلذلك كان دعاة المسلمين من المتاخرين الذين اثروا الاثر المطلوب
ل جدا ولم نذكر ان رجلا قام بذلك حق القيام غير الاستاذ الامام الشيخ محمد
، فانه رحمه الله لم يبق فيما كتبه مغمزا لغامز ، ولا ملمزا للامز ، وقد رأينا
علماء العصر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي ينحو ذاك النحو في كتابه
ن والاسلام الذي صدر الجزء الاول منه وقرب انجاز الثاني ويتبعهما الثالث والرابع

طبع بمطبعة العرفان سنة ١٣٣٠ وعدد صفحاته ٢٤٠ صفحه بقطع العرفان وثمنه اربعة بشالك
لافراد ويطلب من مكتبة العرفان في صيدا ومن المكتبه الاهلية في بيروت

يشهد الله انا ماقرأناهذا الكتاب الا وجدنا به معنى جديدا وفائدة حادثة فضلاعن لذة قراءته لجميل اسلوبه وبلاغة عبارته ، وما احسن ماوصفه به الشيخ جواد شبيب شيخ ادباء العراق فيما كتبه في ترجمة المؤلف قال عندما اشار الى مصنفاته « فمنها هذه الدعوة البالغة بل الشمس البازغة ، بل الصواعق التي هي للباطل دامغة ، التي جمع فيها بين العقايد والاخلاق والحكم والآداب والفصاحة المعجبة ، والبلاغة المغربة ، ودقايق الفلسفة العقلانيه ، وحقايق الحكمة الايمانيه ، وتشهد الخبرة والعبرة والانصاف والتدبر انه ماسمح الزمان بمثاله ولا نسج احد على منواله ولا وصف الاسلام واصف كوصفه ، ولا احتج له كاحتجاجاته الخ

وحبذا لو ترجم الاستاذنفسه بنفسه فان مثله ممن بلغ هذا المبلغ من العلم والفضل والمجد والسؤدد لايحتاج الى من يترجمه وآثاره تدل عليه وحسبك ان جده الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء الامام الكبير قدست نفسه وهكذا أخذ العلم كابراعن كابر وبه يقول الشاعر

فحاز مجاري القمرين مجدا بجعفر جده وأبيه موسى

على ان المقام ليس مقام تقريظ الرجل فكتابه ينم عن فضله ويصفه بافصح لسان واحسن بيان

حوى هذا الجزء سوانح خمسة في الاسلام واسباب تاخره ومكايد الاغيار له ومقدمة في وجوب النظر ولزوم المعرفة وفصول اولها في اثبات الصانع وثانيها في توحيد الصانع ونفي الشريك عنه وثالثها العدل وهناك كلام في العدل الاعتقادي ومباحث القضاء والقدر وانك لتقرأ به فلسفة الاديان عامة والدين الاسلامي خاصة

هذا كلامنا في الثناء على هذا الكتاب الجليل وان لم نبلغ كنه وصفه وبعض ما حواه من الفوائد والفرائد غير انا لا نريد ان نقف عند التقريظ لما كتبه صاحب الكتاب نفسه بآخر هذا الجزء حيث قال ولنعم ما قال

« لا أبتغي من الكتاب والافاضل الثناء عليه ، والاطراء فيه وتصفيف الاقوال الضخيمة ، والمقالات الضافية الفخيمة ، (كذا) في تقريضه وتوصيفه بل بغيتي منهم ورغبتي اليهم ان ينظروا اليه نظرا مجردا ويضعوه في محكمة التمحيص والتدقيق عاريا فيذكرون فضلا منهم ما له وعليه »

بناء على هذا ننتقد الكتاب ونعلم ان الاستاذ يرتاح الى الانتقاد فنقول صاحب الكتاب طويل النفس جدا في حسن الترسل وصوغ العبارات فلذلك

ب على كتابه التطويل وقد يشعر من نفسه ذلك احيانافيستدرك الامربقوله خرجنا
الموضوع او نحو ذلك من العبارات
كما انا كنا نضن بادب الاستاذ وفضله ان يدنس قلمه بعبارات ينبوعنها السمع
جاء في صفحة ٤٠ ، ٤١ من كتابه وهل الدعوة الى الاسلام تتأتى بمثل هذه
ارات ومن تعاليم الاسلام (ادفع بالتي هي احسن ، ولا تجادلوا أهل الكتاب
بالتي هي احسن) الى غير ذلك من الادب الرائع على انه لو صدرت من الخصم
ت بذيئةفارغة فلايليق بنا ان نقابله بمثلهاوالا فاي فضل لناوما الفرق بين المتدين وغيره؟
كما انه جاء بالكتاب كثير من الغلطات في الرسم والاملاء ومخالفةاللغةالصحيحة
يانا كما في صفحة ٢٦ سطر ١٨ والانات والصحيح والاناة وصفحة ٢٩ سطر ٥
رضخ لها والصحيح لم يخضع اوما في معناهالان رضخ لا تجيء بهذاالمعنى وفي صفحة
٠ سطر ١٨ تو٠ل والصحيح تو٠ول وفي نفس الصفحه سطر ٢٣ قضائها والصحيح
اوءها وفي صفحه ٤٠ سطر ١٦ عباء والصحيح عبأ وفي صفحه ٤٢ سطر ٦ جائتنا
صحيح جاءتنا وفي نفس الصفحه سطر ٢٣ الجرائات الفظيعه والبذائات الشنيعه
صحيح الجراءآت والبذاءآت وفي صفحه ٤٣ سطر ٢٠ بالجرئة والصحيح بالجرءة وفي
حه ٤٧ سطر ١٩ وقواميس مجاري والصحيح مجار بدون ياء وفي السطر نفسه
٧ لجائه والصحيح لجأة وفي صفحه ٤٨ سطر ٥ وعدم تلقي والصحيح تلق بدون ياء
ي صفحة ٥٠ سطر ١٥ كما أن رفضها والغائها والصحيح وألغاءها وفي صفحه ٥٥
طر ٢٦ مبدى والصحيح مبدا وفي صفحه ٥٦ سطر ٤ وما جاو٠ا والصحيح جا٠وا
في نفس الصفحه سطر ١٣ وللمعارف ان تقام لها المآتم والصحيح المناحات لان
تم هو اجتماع عدة نسوة لخير او شر وفي صفحه ٧٤ سطر ١٦ وما تعمل السماء
مائها والصحيح وماوءها وفي آخر صحفه ٧٥ و (ح) يعـني وحينئذ مع ان ذلك
ن قبيل اللغز وما الداعي اليه وقد كرر ذلك ايضا وتكررمن المو٠لف كتابة انشاء
كذا انشاء كما في صفحه ٨٠ وغيرها وان لاهكذا وانلا وذلك غير جائز وفي صفحه
٩ نشأ وشبا والصحيح وشبّ بدون الف والظاهر انه اراد مراعاة السجع فوقع
هذا الخطأ هذا بعض مالا حظناه عرضا ولا يحط ذلك من شان الكتاب لان هذه
لاعراض لا يخلو منها كتاب قط وللمو٠لف بعض آراء قد لا يوافقه عليها الكثيرون
ل قد يكون متفردا بها كقوله في صفحه ٥١ مامو٠داه ان الطبيعي لا يتحامى عن

فعل المنكرات وارتكاب اعظم الموبقات لعدم اعتقاده في دار غير هذه الدار وهذا مسلم بالنسبة الى عامة الناس اما الخاصة المتعلمين والعلماء الاساطين فقد يكون الامر معهم بالعكس ولو لم ينتهوا عن اتيان الشرور الا محافظة على صحتهم واحتفاظا بحياتهم التي لا يرون بعدها حياة لكني وهل يفعل اغلب الناس الافعال الحسنة الا طمعا بحسن الذكر والمحمدة من غير ما التفات الى الجزاء في الاخرى فاعراضهم عن ارتكاب المحظورات لا يعد سفها منهم كما ذكر بل يعـد تعقلا وتيقظا وهذا امر لا يمتري فيه اثنان فليشطب الاستاذ ما كتبه بهذا الشأن كما وعد ووعد الحر دين ولنا ملاحظة ايضا على ترتيب الكتاب فان وضع ملزمة في وسطه منمرة بالحروف لا يعد من حسن الذوق ومن هذا القبيل تنوع الورق وجل من لا عيب فيه فندعو كل عالم ومتأدب الى اقتناء هذا السفر النفيس فانه من خيرة الكتب التي اخرجت لابناء الناطقين بالضاد وحبذا لو نحت منه كتابا مختصرا مدرسيا ليكون مساعدا على تحسين الانشاء في المدارس وعلى الله قصد السبيل

* * * *

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر



الشيخ عبدالله المازندراني

فاجأتنا رصيفتنا المصباح البغدادية بنعي المرحوم المبرور الشيخ عبد الله المازندراني احد اساطين علماء الشيعة المجتهدين ومن اعظم موسسي النهضة الدستورية في ايران ومن خيرة المجاهدين في سبيل الدستور والحرية قضى رحمه الله بعد داء عضال اصيب به من بضع سنين وذلك عقيب اقل من سنة من موت رفيقه في جهاده الامام الخراساني رحمه الله رحمة واسعة وعوض المسلمين عن فقده خيرا

خاتمة السنة الرابعه

او خاتمة صدور العرفان

نختم سنتنا الرابعه كما بدأناها في حمد الله على نعمائه ، ونشكره على جميل آلائه ، ممده ان وفقنا لخدمة العلم ومنّ علينا في السعي لرقي الوطن والجهاد لانهاض الأمة ، ولي الانعام فله الشكر في البدء والختام

وبعد فقد مضى على صدور العرفان اربع سنين كاملة وهي تجاهد وتجالـد ، كتب وتخطب ، وتصيح وتصخب ، وتدعو الى العلم والفضيله وتزرع بذور هضة وتسعى السعي الحثيث في سبيل استنارة الاذهان وبث روح الآداب والعرفان ، الت بحمد الله بعض المأمول ، واصبح لها مقام غـير مجهول ، وتطلع لاقتنائها مو ازرتها علية القوم وافاضل الناس حتى ان احد اعيان وفضلاء صهيون في لـواء لاذقيه اشترك بعشر نسخ منها ودفع القيمة سلفا ووعد بعض مشايخ العرب بتقديم نني عشر ليره سنويا مساعدة لها وللجريدة غير ان هذا العمل يحتاج الى مصـارف هظة لا يقوم بها واحد او اثنان ولئن لقينا محبذا ومنشطا فقـد لقينا ماية مستاء مثبط فكم وكم من هو لاء المشتركين الذين لم يدفعوا قيمة الاشتراك فضلا عـن يرها الابشق النفس ، وقلع الضرس ، حتى رأينا بعد طول الشقه ، وبعد المشقه ، ن هذه المهنة لايكون متعاطيها في الشرق عامة وفي سوريه خاصه وعلى الاخص في جبل عامل عزيز النفس محترم المكانه خصوصا من يحبس نفسه وينفق ماله على خدمة طائفة كالطائفة الشيعية اوهل يكون جزاءه الا كجزاء سنمار ومن العار والشنار ، ان رض المرء لنفسه الضعة والصغار ، تلك امور دعتنا لترك الصحافة الآن بعد جهاد اربع سنين وراينا ان نشر العلم بواسطة طبع الكتب المفيده انفع لنا واحفظ لكرامتنا فعولنا على ذلك مستعينين بالله المعين وقد اقترح علينا بعض افاضل العلماء ان نعلن بانه اذا ارسل المشتركون اشتراكهم سلفا نعود الى اصـدار المجلة بعد شهرين بمعنى انا اذا راينا القيمة التي ترد الينا كافية لمصارف الطبع والورق اضطردنا في سيرنا والا ارجعنا للدافعين ما دفعوه وقد قبلنا هذا الاقتراح عارفين بعدم صيرورته ولكن لتقطع جهيزة قول كل خطيب ونسأله سبحانه هدايتنا الى سبيل الرشـاد ، أنه ولي الأمر كله وبيده التوفيق والسداد